الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم والعلوم الهندسية
قسم العمارة

الموضوع

الساحات العامة في المدينة ما بين التصميم والإستعمال
دراسة حالة : المسيلة

رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية

تخصص
العمارة والسكن في المناطق الجافة والشبه الجافة
نظام أوت 1998

من إعداد :
الوافي عبد اللطيف

تحت إشراف :
د.عميش علاوة

لجنة المناقشة:

د. الديب بلقاسم .أ. م. جامعة باتنة ..... رئيسا
د. عميش علاوة .أ. م. جامعة المسيلة..... مقرر
د. بن الشيخ محمد الفاضل.أ. م. المركز الجامعي أم البواقي..... عضوا
د. معزوز السعيد .أ. م. جامعة بسكرة..... عضوا
د.فرحي عبد الله أ.م. جامعة بسكرة.....عضوا

2003

I – مقـــدمـــة :

لا نخـــتلف في أن المدينة نتاج لعمليات وتطورات مستمرة في ميادين مختلفة: إجتماعية، سياســـية، ثقافـــية...وهي منظومات تعبر عن أشكال الحياة العامة فيهامن جهة، ومن جهة ثانية عمليات تمس تصميم وشكل المدينة أو أجزاء منها، أي الفضاء الذي تدور فيه مختلف الأنشطة والممارسات اليومية للحياة. إن تلك التغيرات على إختلافها يمكن أن تظهر في صور من النمو الحضـــري، وهـــو الـــذي يعبر عن تنظيم فيزيائي للفضاء تترجمه أشكال من استغلال الأرض المنظم أو غير المنظم.

المديـــنة تـــبرز مجموعة من العلاقات المتبادلة بين جانبها الفيزيائي المتمثل في المباني، والجانـــب الروحـــي الـــذي يعني سكانها، وأيضا علاقات متبادلة ضمن جانبها الفيزياء بين ما يعـــرف بالفـــراغ المبني وغير المبني، والذي يشكل الإنشاءات المعمارية من منازل وتجهيزات وغـــيرها، فـــي حين غير المبني الذي عبر عنه بمصطلح جديد ظهر خلال القرن التاسع عشر عرف بالفضاءات الحضرية "الفضاءات العامة...عنصر من التركيب الحضري شكل منذ الأزل الرابط العضوي بين المباني كما عبر عن روح المدينة، فلا يمكن تصور المدينة من دونها..." .(Sablet,1988,p7)

المديـــنة فـــي مجملهـــا وعـــبر التاريخ عرفت تطورات تبعا لمؤشرات اجتماعية سياسية اقتصادية،ثقافية... ساهمت في تغيير بنيتها وشكلها وكيفية نموها وتطورها. والفضاءات العامة هـــي الأخـــرى كعنصـــر مهم في تركيبها تأثرت بتلك التطورات، وهذا ما جعلها تحمل أشكالا مختلفة ومتباينة.

أما الدلالات والوظائف التي كانت تحملها في المدن القديمة فلم يبقى على حالها أمام أفكار ومـــيولات العصر الحالي الذي يتسم بالتكنولوجية والتطور في شتى الميادين، وهو الأمر الذي نتجت عنه صورة جديدة للمدينة وفضاءاتها أيضا.

ان التأمل في تاريخ الفكر المعماري سجل حدثا تاريخيا هاما (1933) تمثل في مؤتمر الهندسة المعمارية الحديثة، كرس اهتمامه بالجوانب الوظيفية للمدينة على حساب الجوانب الجمالية والرمزية، فجاء لتغيير المظهر غير المناسب الذي تبديه المدينة، ولحل مشاكلها مع مسايرتها للتطورات السريعة في التكنولوجيا والتعمير، وما نتج عن ذلك من آثار على المجتمع

والمدينة ككل، حيث دعا هذا المؤتمر إلى تصميمات عمرانية ومعمارية حديثة مع تقسيم المدينة إلى أربعة مناطق وظيفية: السكن، العمل، الحركة والراحة وهنا يمكننا تسجيل غياب توجيهات واضحة حول الفضاءات العامة، التي أصبحت تبدو في معزل عن محيطها المبني، وفي >لك كتب (Robert Venturi) قائلا:" ...لقد تجاهلنا الدراسة في الهندسة المعمارية في حين تقبلنا النوعية الوظيفية للمبنى...العمران يأتي من الفضاء ومدلولاته وكذلك من أنماط الحياة الحضرية التي تجري في داخل وخارج المبنى..." (Robert Venturi,1978,p8).

يمكننا الإشارة أيضا إلى تيارات جديدة تنادي بتقسيم المدينة إلى مناطق (التنطيق) (Zoning) وهو الذي جعل تأثر بعض الفضاءات لا يتعدى الحدود المرسومة لـــها،حيث صورها المعماريين ضمن مخططات تفتقر إلى الروح والواقع الاجتماعي مثل: المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير (PDAU)، ومخطط شغل الأرض(POS)، مخططات التجزئة التي تأخذ القيم والتصميمات بدلالات مجالية فتعالج المدينة على أنها إسقاط ذو بعدين يفتقر إلى الروح، فضلا عن أن الفضاءات العامة صارت تحكمها معايير ومبادئ مثل معامل شغل الأرض(COS) ومعامل استغلال الأرض (CES)...،وهي تطبيقات حديثة لم تتجنب التصور التمثيلي للفضاءات ولم تصل لعمق تصور الفضاء العام.

وإن كان شكل ونوعية الفضاءات العامة الهدف الرئيسي للمشاريع، وذلك ببحثا عن فضاءات راقية لها دلالاتها الرمزية والوظيفية، خدمة للحياة الاجتماعية وتلبية لحاجيات مستعمليها، ظهرت العديد من الأبحاث والأعمال تثير اهتماما كبيرا بدلك ووعيا لضرورتها وأهميتها داخل الأنسجة الحضرية، وهو الأمر الذي يتطلب جهود كبيرة وتضافر اختصاصات مختلفة، بإعتبار الفضاءات العامة تضم أشكالا مختلفة، فعلى مستوى المدينة نجد الساحات العامة، الحدائق العمومية، الأنهج...وعلى مستوى الأحياء والتجمعات فنجد الساحات الصغرى أو الرحبات، الحدائق الجوارية، حدائق الأحياء...

حتى لا تضيع بنا في بحثناسنتطرق للساحة لأنها تمثل الشكل الأول في الفضاء الحضري الذي تبناه الإنسان عند ميلاد المدينة.

الساحة وإن اختلفت مفاهيمها وتعاريفها عنت عند الكثيرين ذلك الفراغ الواقع بين المباني، الذي تمارس فيه الحياة الاجتماعية للسكان، ولقد عرفت الساحات أشكالا عديدة كما احتلت مكانة

كبيرة في المدينة وفي ذلك يقول جاكورجفيك نقلا عن بوسانياس (Pausanias):" ...المدينة لا تحمل هذا الاسم ما لم تملك مباني هامة وساحات... "(jakorljevic,1964)

لقد اعتبرت الساحات العنصر المهيكل للمباني الهامة والعامة في وسط المدينة، حيث شكلت منذ القديم المكان الذي يمثل مركز المدينة والذي تتركز فيه المباني الهامة، ويتجلى ذلك في الأشكال الأولى منها كالآقورة(Agora)، الفوروم(Forum)...، كما شكلت الساحة في عصور النهضة المكان الذي تقام فيه مختلف التظاهرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، فمثلت بذلك رمزا للحياة الاجتماعية والحضرية في المدينة القديمة.

لقد اكتسبت الساحة قيمتها وجاذبيتها من خلال مورفولوجيتها والخدمات التي وفرتها، وكذلك الممارسات اليومية للحياة الاجتماعية التي احتضنتها من خلال مظهرها الناتج من العلاقة المتبادلة بينها وبين المباني التي تحيط بها، فعبرت الساحة عن الفضاء الذي يحمل رموزا تعبر عن الحرية الاجتماعية والتعايش بين الأفراد، فشكلت بذلك رمزا لتاريخ وثقافة المجتمع عبر تاريخه.

لقد تراجعت الدلالات التي حملتها الساحات قديما أمام أنماط الحياة الاجتماعية والتطورات الراهنة، في كثير من الحالات تحافظ على تلك المكتسبات القيمة إذ تعرف في الوقت المعاصر العديد من المشاكل، في هذا السياق نقل جاكورجفيك عن(Andru Vera) قوله وهو يخاطب المعماريين:"... الإخفاق بين لنا وأفهمنا بأننا لا شيء...الأكثر غالبا يسطرون الساحة ويقدمونها من خلال معالجتها، صورتها تبقى راسخة ليس في العقل فقط ولكن داخل قلب السكان ولا تمحى خلال غياب طويل، فتطرح فقط ليس وزنا وأبعادا لكن أشكالا في واجهات المنازل...أكثر من ذلك تستجيبون إلى حاجة اجتماعية وسياسية وتهيئة شاملة لمكان وإطار الاجتماعات للسكان...أنتم تجدونها كما في العصور الجميلة والرائعة...الدولة ليست مجموعة الأفراد بكونها روح ووعي، ونحن لسنا غرباء عن بعض، نحن سكان ومواطنون هذا ما يجب لكل ساحة أن تجسده ليس فقط بتشكيل مظهرها ولكن أيضا بواسطة عدد الفنانين والحرفيين والدين سنستدعيهم لإنتاج هذا النظام المميز..." (jakorljevic,1964,p13)

لقد نادى هذا الأخير بالدور الاجتماعي للساحة وقدمها على أنها مكان لممارسة الحياة الاجتماعية، باحثا عن شكل لفضاء حضري أكثر حيوية، أمام ساحات أصبحت تبدوا اليوم وفي

الكثـير من المدن عبارة عن مساحات حرة أو ساحات سكنية، فضلا عن أنها تحولت في الكثير من الأحيان إلى فراغات بين المباني تخضع إلى معايير مثلCOS،CES...، أو ربما عبرت عن فـراغات داخل التصميم أو جيوب حضرية في المدينة، ليس ذلك فحسب بل صارت أيضا تمثل جـزء من مخطـطات الحركة في المدينة، إضافة إلى الكثير من المظاهر التي أفقدتها دلالاتها الرمزية ووظائفها المختلفة.

وانطلاقـا مـن هـذه المشـاكل التي تعرفها الساحة، والتطورات على مستوى الوظائف والـدلالات، تشـكل موضـوع البحـث إلى أين يصل الفارق بين التصور الاجتماعي للساحة وتصميمها ؟

II- الإشكاليـــــــة :

مجـتمعات اليوم تعبر عن مجتمعات حضرية، تمثل فيه المدينة ذلك الواقع، حيث أصبحت موضـوع أبحاث متنوعة من بينها الدراسات التي تعالج إشكالية التفاعل بين الإنسان ومحيطه، الـذي يعـبر عـن تركيـبة بيـن فضاءات مبنية وغير مبنية تعرف بالفضاءات الحضرية أو الفضاءات العامة.

فـي الجزائروجدت الساحة منذ القدم في أشكال وحملت (الساحة، الرحبة، ساحة السوق وغـيرها) وعرفـت تغيرات شكلية، نموذجية، وظيفية حسب فترات زمنية من تطور المجتمع الجزائري متأثرة بثقافات محلية وأخرى ذخيلة من فترة الإستعمار الفرنسي.

عرفت الساحة صراعات نظرا للتطورات التي تعرفها المدن المعاصرة والأشكال المتنوعة للتعمير،فجعلها تظهر أشكالا جديدة ومختلفة، أدى ذلك التطورإلى أشكال منها لا تعبر في الكثير من الحالات على مكان للرفاهية والتعايش، كما في بعض الحالات تبدو كفراغات عولجت بشكل غـير مـتكامل مـع المبانـي المحيطةبها، أو الموقع الموجودة فيه، وفي حالات أخرىغزتها السيارات وبعض السلوكات غير المرغوبة، فأصبحت بذلك مكانا للتلوث بكافة أشكاله(الأخلاقي، الاجتماعي...).

إن تراجع قيم ومزايا الساحة سواء على مستوى الأنسجة العمرانية القديمة أين تحولت إلى فـراغات تغزوها السيارات إضافة إلى أنها تبدو في شكل متدهور يكشف عن تهيئة قديمة، أما شكلها لم يعد يتلاءم مع التطورات المعاصرة على مستوى الأشكال الجديدة للتعمير بكل أنواعها

لقد أصبحت التوسعات العمرانية الحديثة مفرغة من الحياة الاجتماعية الحضرية تفتقر إلى الحـيوية والنشاط نتيجة اهتمام السلطات المعنية بالسكن، وهي عملية قابلها عدم إهتمام بالمحيط والفضـاءات التي يحتويها،في حين الساحات داخل التجمعات السكنية المنجزة وفق المخططات العمرانـية الحديثة أصبحت تخضع لقوانين ومعايير مجالية مثل معامل شغل الأراضي(COS)، وهـو الأمـر الـذي يضع تساؤلا كبيرا حول هذه المعايير، وهل هي تعبر عن ثقافة المجتمع وأفكاره ؟ إضافة إلى ذلك نجد هناك قصور واخفاق على مستوى التخطيط أين أصبحت الساحة تمثل حلا بديلا بالنسبة للمساحات المتبقية في التصميم وكذلك الفراغات الواقعة في زوايا صعبة الخـيارات المعمارية، وفي بعض المخططات تبدو الساحة جزء من مخطط الحركة في المدينة كل تلك الجوانب جعلت الكثير من الساحات مكانا فقيرا شكلا ووظيفة ودلالة.

إن المشـاكل التـي تعانـي مـنها الساحة لا تعكس واقعا تصمميا فقط، بل تعكس أيضا تغيرات في الحياة الاجتماعية، فأصبحت صورتها تعبر عن مجالات عمرانية لاتمثل المضمون الإجتماعـي والثقافي للمجتمع ولا تلبي طموحاته ورغباته، كما أن أشكال الاتصال بين الأفراد والجماعـات أخذت وجها حديثا بظهور مباني عامة منافسة للساحة تساهم في ذلك، إضافة إلى ظهـور وسـائل أخرى للاتصال بين الأفراد كالهاتف،الإنترنت...وبذلك أصبحت الساحة تعبر عـن فراغات بسيطة لا تشحن العلاقات الإنسانية بين الإنسان ومحيطه، فضلا عن ذلك انعدمت فيها الحرية الاجتماعية وحتى الأمن، فباتت تستعمل في أوقات محددة ومناسبات قليلة من طرف فئات محدودة من المجتمع.

إن هـذا الواقع الذي آلت إليه الساحة يدفعنا للتساؤل حول العلاقة الموجودة بين العناصر المكونة لهذا الفضاء من جهة، ومستعمليه من جهة أخرى وهذا ضمن المحيط الموجود فيه.

مديـنة المسيلة، مدينة لها تاريخ وللساحة أيضا عمق تاريخي في هذا الفضاء الجزائري، ونظـرا لتصـنيفها تحت صنف المناطق شبه الجافة، وللتنوع الشكلي والوظيفي الذي يبديه هذا الفضاء العمراني (الساحة) بهذه المدينة في صورتيه العمرانيتين الجماعية والفردية المخططتين وكـذا الأنسـجة القديمة، ذلك ما يدفعنا للدراسة لهذه المدينة كنموذج للعديد من المدن بالجزائر تعاني الساحة فيها مشاكل عدة ومعقدة.

إن لوضعية الساحة تشكل تساؤلات يطرحها الملاحظ المعماري أو العمراني وكذا التنفيذ حـــول الأســـباب التي أدت إلى عدم إبراز أهميتهامن ناحية التصميم ؟ وبعبارة أخرى يبدو أن الاهـــتمام بالســـاحات من الجانب التصميمي يأتي في مراتب ثانوية، إذ العديد من الساحات لا تعرف إقبالا ولا استعمالا كالذي عرفته نظيرتها عبر التاريخ.

III- الفرضيات :

للإجابة عن التساؤل المطروح يمكن صياغة فرضيتنا على النحو التالي:

عدم ارتقاء العملية التصميمية للساحة كمنتوج للإستجابة لحاجات المستعمل يفرغها من قيمتها، ويمكن قراءة ذلك على:

- مستوى التصميم والتهيئة وما يتعلق بهما من قوانين وطريقة التصميم.
- مستوى استعمال المواطن للساحات الموجودة وتفاعله معها.

IV- أهداف البحث :

يهدف هذا البحث للإجابة عن التساؤلات المطروحة حول الساحة، ونتوخى البلوغ إلى هدف رئيسي يتمثل في إبراز مدى أهمية الساحات في المدينة، وذلك من خلال:

* معرفة الأسباب التي أدت الى إهمالها وتدهورها، يندرج ضمنه أهداف ثانوية أخرى هي:

* دراسة أنماط من الساحات للتعرف على الجوانب الشكلية والوظيفية للساحات، مع الأخذ بالحسبان إدراك المستعمل لها والصورة التي تعكسه هذه الفضاءات، مما يساهم في فهم المغزى الحقيقي من الساحات وبالتالي محاولة تجسيده.

* الوصول لتوصيات في مجال الإنجاز والتدخل على هذا الفضاء بالنسبة للموجودة أو المبرمجة مستقبلا حتى يتسنى لها خدمة أكبر لمستعمليها، وكذا جعلها جزء لا يتجزأ من مشاريع الإسكان والتصميم الحضري، لتبدى تكاملا مع محيطها وتتوافق مع استعمالاتها.

* استجلاء العوامل المؤثرة في سلوك المستعمل داخل الساحة والعلاقة التأثيرية المتبادلة.

* تحديد معايير قياسية للساحة لغاية استخلاص تقييم لها حسب التصميم وكذا حكم المجتمع على أهميتها وضرورتها.

V- المنهجية:

إن طبيعة الموضوع يحتم علينا المنهج الوصفي التحليلي كمنهج عام لبحثنا هذا حيث نقوم بتحليل تمركز الساحات على مستوى المدينة شكلا وظيفة وتأثيرها على محيطها وتحليل الأسباب التي أدت إلى ذلك.

VI- التقنيات المستعملة:

بناء على المنهج المختار سوف يتم إعداد التقنيات المناسبة لهذا المنهج والتي سوف تشكل عونا في البحث وهي:

1. **الملاحظة:** تعتبر الملاحظة تقنية ذات فوائد كثيرة، إذ تعطي لنا مجالا لوصف الساحات العامة (حالتها، وظيفتها، المشاكل الناتجة عن غيابها أو عدم تهيئتها...) وتتم الملاحظة العلمية إما بالمشاركة أو بدونها، وسوف نستخدم الملاحظة البسيطة بإعتبارها تمكننا من وصف وتصنيف وتحليل الحقائق والمعلومات التي نريد الحصول عليها.
2. **العينة:** تبعا لطبيعة بحثنا ولفرضياته سوف نقوم باختيار العينة العشوائية البسيطة حيث سوف نختار جزءا من مستخدمي الساحات العامة على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم وأجناسهم.أما عينات الساحات فسيتم اختيارها حسب الاختلاف في المظهر والشكل والموقع وكدا زمن إنشاؤها.
3. **الاستمارة الاستبيانية:** بعد تحديد العينات وأطرها واختيار الطريقة المنتهجة لجمع البيانات الميدانية نقوم بناء على ذلك بتصميم الاستمارة الاستبيانية، ولقد اخترنا هذه التقنية لأن الفرضية السوسيو- فضائية المسطرة في بحثنا تحتاج إلى هذا النوع من التقنيات للتأكد منها حتى يتسنى لنا تحليلها من جهة، ومن جهة ثانية سنعمد لإستخدام المقابلة في البحث والتأكيد على بعض المعلومات والبيانات التي يمكن الحصول عليها من الاستمارة أو الملاحظة.
4. **الوثائق من المخططات:** التي تساعد على تحديد وتفقد واقع هذه الأماكن والصور التي تكمل الملاحظات وتساعدنا في التحليل.

VII- محتويات الفصول: قسمنا بحثنا هذا إلى قسمين رئيسيين: النظري ويضم أربعة فصول والجزء التطبيقي الذي يحوي فصلين، تبع كل فصل بخلاصة واختتم البحث بخلاصة عامة،ولقد جاءت الفصول كالآتي:

الفصل الأول:

ويضـــم جزأيـــن،الأول يتناول عرض مفاهيم عامة تتعلق بالساحة العامة موضوع البحث، إضـــافة إلى عناصر أخرى تتمثل في الفضاءات العامة في المدينة والمكونات الأخرى لها، مع الوصول إلى تقديم مفهوم واضح للساحة،

أمـــا الجـــزء الثانـــي فيعرض الساحة حسب فترات تاريخية مختلفة، حيث تم ذكر أهم ما تميزت به الساحة حسب كل فترة، وكذلك تأثرها بالظروف التي تحيط بكل مجتمع وحضارة.

الفصل الثاني:

يتـــناول هـــذا الفصـــل قراءة مجالية للساحات في المدينة، ولقد جاء هذا الفصل في ثلاثة أجـــزاء، الأول يقـــدم قـــراءة للســـاحات فـــي المديـــنة، ويحـــتوي الجزء الثاني على دراسة تيبومورفولوجـــية للســـاحات، ذاكرين فيه مختلف الوضعيات والأشكال للساحات العامة، إضافة إلـــى علاقتها بالمباني وكذا مكونات فضائية أخرى، أما الجزء الثالث فتضمن مختلف تصنيفات الساحة في المدينة وذلك وفق ثلاث معايير: المنشأ،المظهر والشكل،الوظيفة.

الفصل الثالث:

ويتمحور حول الأدوار والتطبيقات المختلفة للساحة، ولقد عرض في أربعة أجزاء، الأول يقدم مختلف الأدوار والوظائف التي يمكن للساحة أن تقدمها للمستعمل، حيث تم إدراجها ضمن أربعة طموحات يرجوها المستعمل: نفسية، اجتماعية، اقتصادية، التنقل والحركة، هذه الجوانب تتطلـــب عمل متكامل من المختصين للبلوغ إلى تحقيقها بشكل أفضل، لذلك تم تقديم مجموعة مـــن المتدخلين يمكنهم الإسهام في إعداد الساحة، وهذا ما شكل الجزء الثاني من الفصل، بينما يتـــناول الجـــزء الثالث الاستعمالات المختلفة للساحة، والتي يأخذها على أنها ميدان عام يمكن اســـتعماله من طرف العامة أو الخاصة، جماعات وأفرادا، وجاء الجزء الأخير ليعرض مختلف متطلبات وحاجيات شرائح اجتماعية مختلفة من الساحة.

الفصل الرابع:

يعالج هذا الفصل جوانب مختلفة من العلاقات المتبادلة بين الساحة والمستعمل، حيث أشرنا في الجزء الأول إلى الإدراك والسلوك، ثم تناولنا مختلف العوامل المؤثرة في الفضاء، وعرضنا مجموعة من العناصر المكونة للساحة التي تساهم في تسهيل إدراكها والمتمثلة في المكونات الطبيعية كالنباتات،المياه...والمكونات الاصطناعية من التأثيث الحضري، يلي هذا عرض جوانب أخرى مختلفة كانفتاح وانغلاق الساحة، الحيوية والنشاط في مثل هذه الأماكن.

الفصل الخامس:

قـدم تحـت ثلاث عناوين جزئية، الأول قمنا فيه بعرض حالة الدراسة أي مدينة المسيلة، وهذا بسرد المعطيات التقنية والمناخية ثم التطور التاريخي للمدينة مبرزين عنصر الساحة، أما الجزء الثاني فقد خصص لمعاينة الساحات في المدينة، وذلك لاختيار عينات وفق معايير محددة سـلفا، وأخـيرا تناولنا الدراسة العمرانية والوظيفية لكل ساحة على حدى لنتمكن من استخراج خصوصـيات كل واحدة، وبذلك نتوصل إلى مجموعة من المعطيات والنتائج نحاول التأكد منها في الفصل الموالي والأخير.

الفصل السادس:

تـم فـيه دراسة الساحات من وجهتين مختلفتين، الأولى تخص المستعمل، والثانية تخص المهـندس أو المصـمم، واسـتعملنا في الحالة الأولى الاستمارة الإستبيانية التي تتناول نظرة المواطـن البسـيط إلى هذه الأماكن، وكذا استعماله له، بينما قمنا بإجراء المقابلة بالنسبة للحالة الثانـية، وهـذا للـتعرف على مفهوم الساحة عند مصمميها، أيضا تقييمه للساحات وكدا عملية إعدادها، محاولة منا للبحث عن الحقيقة التصورية والتخطيطية المسبقة لمثل هذا الفضاء.

خلاصة عامة:

ختمـنا كـل فصل بخلاصة منفردة، وختمنا البحث بخلاصة عامة جمعت أهم ما جاء في فصول المذكرة مقترحين بذلك مجموعة من التوصيات العامة.

محتويـــــــــات الفصـــــــل

تمهيـــد

I - مفاهيم عامة

I -1 المفاهيم المجالية

I -1-1 الفضاء

I -1-2 الفضاءات العامة

I -1-3 الشـــــــــارع

I -1-4 النهج boulvard

I -1-5 الحدائـــق

I -1-6 الساحة

I -2 المفاهيم الحسية

I -2-1 الإدراك "La Perception "

I -2-2 التصور "L'imagibilité"

II - الدراسة التاريخية للساحات العمومية

II -1 الساحـــات في المـــدن الإغريقيـــة << الآقورة- AGORA >>

II -2 الساحـــــات عند الرومـــان << الفوروم Le Forum >>

II -3 الســـاحـــات فـــي القـــرون الوسطـــــى

II -3 -1 ساحـــــة دال كمبـــــو بـــ سيانا Del compo -Sienne

II -4 الساحـــــات في عصـــر النهضـــــة

II -4-1 ساحة القديس ماركوس بـــ البندقية

II -5 الســـاحات بعد القـــرن السابع عشرة (عصـــر الباروك)

II -5-1 الســـاحـــات الاستعراضيـــة الإيطالية

II -5-2 الساحـــات الملكيـــة أو الأرستقراطية الفرنسيـــة

II -5-3 الساحـــات السكنيـــة الإنجليزية

II -4-5 ساحـــة القديـــس بطـــرس

II -6 الساحـــات في عصـــر الثـــورة الصناعيـــــة

II -6-1 تيارالتخطيـــط المنتظـــم

II -6-2 تيار المثقفيـــــن

II -6-3 التيار الطوبوي Utopists

II -7 الزمـــن المعاصـــــر(انطلاقا من القرن العشرين)

II -7-1 الجيل الأول

II -7-2 الجيل الثاني(مرحلة بداية التهيئة)

II -7-3 الجيل الثالث

II -7-4 الجيل الرابع

II -7-5 الجيل الخامس(الشكل الحضري)

خلاصـــــــــــــــــــــة

تمهيـــــد:

الهــدف مــن هــذا الفصل هو إعطاء صورة واضحة عن مفهوم الساحة ومدى ارتباطها بــتطور المجــتمعات والشعوب، ويتضمن جزأين: الأول يتعلق بالمفاهيم والثاني يخص تطور الساحة عبر التاريخ.

I - مفاهيم عامة:

I -1 مفاهيم مجالية:

تضــم مجمــوعة مفاهيم لعناصر يمكن إدراجها ضمن فضاءات المدينة، من بينها الساحة مــيدان الدراســة، والهــدف من ذلك هو إبراز مدى التمايز بينها وبين المكونات الأخرى من الفضاءات العامة.

I -1-1 الفضاء :

صرح بيرتراند Bertrand أن الفضاء هو الشكل الأول للتفكير الإنساني والذي يعبر عن امتداد غير منته يحتوي و يحيط بكل شيء، كما يمكن إدراكه من خلال آلية تنظيم العلاقات القائمة بين مختلف العناصر الفيزيائية والتي تشمل الأشجار، المناخ، الأرض المباني...، بينما أشار إليه الجغرافيون بأنه القاعدة البيولوجية للأفواج الإنسانية والتي تشكل مسرحا لمختلف نشاطاته، أما بالنسبة للعمرانيين فالفضاء يهتم بالتفاعلات والتداخلات الإرادية والمنظمة للإنسان وهذا بغــية تنظيم توضع الأشخاص والتجهيزات بما يمكن من تطور المدينة بشكل فعال ومنسجم. (Bertrand,1978)

I -1-2 الفضاءات العامة:

مفهــوم عمراني حديث ومعقد، ولقد أخذ تعاريفا متقاربة مع مفهوم الفضاءات الحضرية، فعبــر عــنه بأنــه مســاحة أو حجــم أو امــتداد مخصــص للاســتعمال العــام. (Le Grand dictionnaire Larousse,1987)

كما عنت الفضاءات العامة أيضا الجزء غير المبني من الأملاك العامة والمخصص للاستعمالات الخاصة، وهي تضم فضاءات معينة كالشوارع، الساحات، الممرات المغطاة، النهج وغيرها، والمساحات الخضراء كالحضائر العامة، الحدائق الجوارية، المقابر...، في حين بعض العمرانيين يدرجون معها منشــآت هامة كمحطات النــقل، الــمراكز التجــارية، التجــهيزات

العامة...، وبمفهوم أوسع الفضاءات العامة تعبر عن أماكن مفتوحة لكل الشرائح الاجتماعية والتي تكفل لهم الالتقاء، التبادل، السياحة، الحركة،الانتظار.(Pierre et Choay,1986,p295)

لقد صرح سابلي (Sablet) أن الفضاءات العامة هي مجموعة الأماكن ذات الملكية العامة أو الخاصـــة والموجهة لاستعمال الجميع، وقد تعبر عن فضاءات مفتوحة على الهواء الطلق أو مغطاة (Sablet,1988,p13).

لقــد تعددت مفاهيم الفضاءات العامة، كما أخذت أسماء مختلفة مثل الفضاءات الحضرية، الفضاءات الخارجية...إلا أنها تصب في مفهوم واسع يشمل جانب فيزيائي يعبر عن ذلك الفراغ المحــدد بالمبانـــي المحــيطة بـــه، وجانـــب روحي يعبر عن مختلف العلاقات وأنشطة الحياة الاجتماعية والخاصة في المدينة.

I -1-3 الشـــــــــارع :

هو أحد أشكال الفضاءات العامة، حمل عدة مفاهيم اختلفت حسب الزمان والاستعمال، فلقد عــرف بأنـــه فضـــاء سكني يعبر عن فراغ ممتد والذي تتوضع على جانبيه مختلف العناصر المعماريـــة ذات الجوانب المتراصة والمتباينة، وهو يختلف في مفهومه عن الطريق كونه يكفل الاتصـــال بين الأفراد والجماعات ويحقق التفاعل بينهم، وهذا ما جعله يجسد الحياة الاجتماعية والـــتعايش بـــين الأفراد "... إنه انطلاق من اللحظة التي تتوزع فيها الكتل المبنية على حافتي الطريق ، فان الطريق يستحق اسم شارع..." (Mangin et Panerai ,1999,p57).

والشـــارع عنصر مجالي يتم إدراكه من جانبين هما: الفيزيائي والروحي، الأول يتناوله على أنه طريق يتوزع على جانبيه مجموعة منازل أو مباني، قد يتخذ امتدادات منتظمة أو غير منـــتظمة، ويكـــون واسعا أو ضيقا، فيعمل على حركة الهواء و تغلغل النور إلى المباني، كما يســـمح باكتشاف المظاهر العمرانية والمعمارية للمدينة، أما الجانب الروحي للشارع فيتجلى من كـــونه عنصـــرا أساســـيا لكل الثقافات الحضرية منذ الأزل حيث سمح بممارسة مختلف أشكال الحياة الاجتماعية (Pierre et Choay,1986,p594) .

I -1-4 النهج boulvard :

كلمـــة الـــنهج أشـــارت قـــديما إلى القلاع، وبعدها دلت عن الساحة القوية وذات الموقع الاســـتراتيجي، ثم عنت أماكن التنزه، لتدل أخيرا عن الطريق العريض والذي تتراصف على

جانبيه الأشجار، ولقد عرف أول ظهور للنهج في فرنسا زمن حكم لويس الثاني عشر في القرن التاسع عشر، كما دل النهج أيضا عن فضاء ذو مقاييس خاصة والذي يتميز بتوزع تجهيزات عالية المستوى على جانبيه ويأخذ مبادئ هامة في تصميمه، أما الوظيفة الرئيسية له فهي حسن تقسيم المساحات وكذا تنظيم تهيكل الأشكال المبنية، كما يعمل على التنظيم الجيد للنسيج الحضري وهذا من خلال خلق أماكن للفسحة والالتقاء، ومن جانب آخر يعمل على توفير حركة تجديدية للهواء ويقدم استمرارية للعناصر النباتية، بذلك يعمل على ربط المسافات والأماكن البعيدة و يسهل الوصول إليها. (Mangin et Panerai,1999,p65)

I -1-5 الحدائق :

فضاء عام ذو أهمية خاصة في المدينة وهذا لسيطرة العناصر الطبيعية عليه، ويعبر عن مساحة مسورة تنتشر عليها النباتات والأشجار، كما يمكن أن تضم مبان بتصاميم مختلفة تعمل على آداء وظائف وخدمات متنوعة (ثقافية، رياضية، سياحية...) كل ذلك خدمة لمستعمليها والذين يقصدونها للنزهة والاستجمام، وتكون الحدائق مفتوحة للجميع بشكل دائم أو حسب المناسبات، وهي في الغالب ملك للدولة، كما أنها تتواجد على أنواع مختلفة وذلك حسب الحجم، الموقع والوظائف والخدمات التي تقدمها، فتشمل الحدائق العمومية، الحدائق الجوارية، الحدائق الحضرية...كما يمكن أن تضم الغابات والموارد الطبيعية المختلفة، كما أن الحدائق تعبر عن المظهر الطبيعي الذي يقصده المستعمل هروبا من زحمة المدينة و تلوث الجو.
(Pierre et Choay,1986,p594)

I -1-6 الساحة :

الساحة كلمة ذات أصل لاتيني بلاريا(plarea) بالفرنسية(Place) وعند الإيطاليين (Plaza)، مصطلح أطلق على أحد أشكال الفضاءات العامة والذي أخذ مفاهيم عديدة حسب الزمن والمكان ووجهة نظر المختصين(Bertrand et Listowski,1984,p7).

الساحة عند علماء الاجتماع تحمل أكثر من مدلول المركز الطوبوغرافي لمجموعة من السكنات، بل تعني لهم المكان الاجتماعي الذي حوى قديما الشعائر الدينية والاجتماعات عند المناسبات، أشارلدريت (Ledrut) للساحة بأنها نقطة استقطاب ومركز المدينة الذي تجتمع فيه المباني الهامة والذي يؤدي وظائف جماعية عامة، وهي أيضا فضاء يحمل عند السكان دلالة

عــن المكــان الــذي انطلاقا منه تجري كل تطورات المجتمعات الواسعة والمختلفة كما يسمح بالتعبيرعن الاختلافات الاجتماعية. (Ledrut,1986,p151)

والســاحة بالنســبة للمعماريين هي ذلك المكان الذي تنتصب عليه المباني الهامة، والذي يعمــل على إبراز مختلف القيم الجمالية والفنية للمباني (Jakorljevic,1964)، وهي ذلك الفضاء الــناتج مــن تموضع المباني الهامة حول فراغ حر، وهي مكان مفتوح على الهواء الطلق، أما أهميــته فتتغيــر حســب الثقافات والعصور وأشكال الحياة الاجتماعية، كما ارتبطت بتطبيقات سياســية، اجتماعية، ثقافية ومجالية، في حين شكلت رمزا للمدن القديمة، وفي تعريف الفوروم يقــول Sitte عن فيتريف(vitruve): " الفوروم...مكان الاجتماعات في السماء المفتوحة والذي يملك تعابير معمارية وجمالية محضرة..." (Sitte,1922,p24).

الســاحة هي نتيجة جدلية بين المبني والفراغ، فضاء متلاحم ومحدود، كما يملك عناصر داخلــية قابلة وجديرة بجدب السكان، وهي أيضا فضاء توزيعي يطرح علاقات مع التشكيلات الحضرية المحيطة به.(Pinon,1991,p34)

"الساحة...هي محطة التوقف النفسي في المظهر الحضري..." (Zucker,1959,p54) .

والســاحة مــن وجهة نظر مجالية عبر عنها Bertrand بأنها علبة عالية الحواف تحمل شــكلا دائــريا أو مستطيلا أو مربعا أو بيضويا...، وتكون مفرغة أو مملوءة، وكذا مفتوحة أو مغلقة. (Bertrand et Listowski,1984,p30).

إن مفهوم الساحة يتعدى مفهوم الفراغ أو المجال، فهي فضاء للحياة الاجتماعية والتعايش بين الأفراد، حيث تدور فيه مختلف الأنشطة الخاصة بالحياة الاجتماعية.(Sablet,1922,p13)

لقــد أخــذت الســاحة أسماء مختلفة واستعمالات عديدة: الآقورة "Agora" عند الإغريق، والفــوروم "Forum"عــند الرومان، كماسميت بــ الرحبة "Parvie " في مدن العالم الإسلامي، بالإضافة إلى ذلك حملت اسم السوق لتخصصها بالتجارة.

ولفهم أعمق لطبيعة الساحة نقدمها من وجهة نظر تاريخية على أنها ذلك المكان الذي ولد لحاجــة الجميع إليه للتجمع أمام مقر للسلطة أو مبنى ديني أو ميدان مخصص للتبادل التجاري، وهــي مكان كفل التبادل والالتقاء داخل المدينة، وعموما تبقى الساحة بالرغم من تعدد تعاريفها تعبــر عن مكان معروف اجتماعيا، فالجميع يعرفها من خلال اتفاق عملي لمظهر مجالي يحمل

تسمية، هذا الاتفاق لا يتأسس فقط من الاستعمال أو الأنشطة أو التجارة أو المباني والتجهيزات المحـــيطة بهـــا، بل كذلك من الشكل الحضري لها، فتظهر بذلك واضحة وبدون غموض وهذا باختلافها وتميزها عن النسيج المحيط بها.

I -2 مفاهيم حسية:

وهي مجموعة مفاهيم تتناول انفعالات الإنسان وسلوكاته داخل الفضاء، كما أنها تعبر عن حالته النفسية، وسيتم تناولها لأنها تقدم لنا فكرة عن ردة فعل الإنسان على المحيط الذي يحويه.

I -2-1 الإدراك " **La** Perception ":

إن اكتشـــاف وتحســـس الإنسان لمحيطه يعبرعن انتقال مجموعة من المعلومات الخارجية إلـــى عقـــل الإنســـان وذلك عبر آليات الحس البصري، السمعي، والحركي...، وهو ما يكون صـــورة واضحة عن طبيعتها، كما يمكنها أن تخلق انفعالات بداخله معبرة عن وضعيته وحالته داخـــل مجـــال تـــواجده"...الإدراك هـــو منهج وطريقة تبدأ بالإحساس وتتطور إلى عمل معبر وبليغ... " (Wieczorek,1984,p137).

إن إدراك الفضاء هو القدرة عن الإحساس والرغبة في تمثيل أو احتلاله أجزاء منه، وهو يســـتدعي ويـــتطلب معـــارف وتجارب الأفراد، كما نجد أن العناصر المرئية في الفضاء تخلق مشاعر موضوعية في حين العناصر غير المرئية التي تتمثل في ذاتية الفرد وتترجم ميولا ته وطمـــوحاته، وهـــذا ما يخلق تآلف الفرد مع محيطه، في الواقع أحاسيس الإنسان ومشاعره قد تظهـــر فـــي تصـــرفاته، كما أن انفعالاته هي نتيجة مؤثرات خارجية يتلقاها من المحيط والتي تثيـــرها عناصـــر مـــرئية مثل: اللون، الشكل، الحركة ...، ويبقى أن إدراك الإنسان وتحسسه للفضاء يتم بواسطة أنظمة الإبصار، السمع، اللمس، الحركة...(Fischer,1981).

I -2-2 التصور "L'imagibilité" :

إن الأشـــياء والجوانب الفيزيائية تعرض صورا والتي من خلال وضوحها وانسجامها تقدم إدراكـــا واضـــحا ومفهوما عن الشيء المعروض، ولقد عبر عن ذلك بالتصور، والذي اختلفت مفاهيمه عند المختصين، (Lynch) يرى بأن الأشياء الفيزيائية تملك نوعية مميزة، بسببها يصبح لهـــا خطـــوطا كبيـــرة تســـبب صورة قوية عند الملاحظ، ويكون ذلك من خلال اللون، الشكل والموضـــع...وهـــو الأمر الذي يخلق صورة ذهنية عن المحيط المعرف جيدا والمهيكل بقوة،

والذي يعرض منفعة كبيرة، وأن التصورهو منهج التوصل السريع إلى الإدراك القوى للأشياء، ويقترن مع درجة القراءة (lisibilité) ودرجة الرؤية (visibilité) اللذان يعبران عن خصوصيات التفكير في النوعية البصرية الخاصة بالأشياء، ويضيف أن المظهر الواضح يعني السهولة التي من خلالها يمكن معرفة العناصر وتنظيمها في مخططات متلائمة.(lynch,1969)

والتصور هو الخطوة الأولى المسؤولة عن التعبير عن الدلالات الداخلية، وذلك بخلق صورة من خلال وضوحها وانسجامها وشكلها يمكنها تقديم إدراك قوي عن المظهر، "...الصورة ليست الدلالة ولا الرمز فقط، بل الأفضل له أن تقوي المضمون والوظيفة، أما الدلالة المصرح بها والصورة المعكوسة فلا تمثل أي شيء آخرعدى نفسها..."(Schulz,1975)

ويعد التصور وسيلة لاكتشاف الدلالات والرموز التي تبديها مكونات الفضاءات الخارجية، وهو ضروري للتعبير عن التصاميم العمرانية والمعمارية، كما يمّكن الملاحظ أو المشاهد من تركيب الصور التي تخلق لديه انطباعات وانفعالات داخلية، كما يترك ذلك أثرا على سلوكاته ويحفز ذاكرته، وهو ناتج عن عمليات التغيير الوضعي في المجال، في حين الصورة بالنسبة للأفراد والجماعات هي تمثيل دهني عام وشامل عن العالم الخارجي والذي يؤدي إلى إنتاج أحاسيس مباشرة ويخلق ذكريات وتجارب ماضية تعمل على توجيه السلوكات والحركات كما تشرح معلومات المحيط (Pierre et Choay,1986,p594).

نتيجة:

الساحة تركيبة مجالية حملت عدة مفاهيم والتي تدور في مجملها حول جانبين مهمين لها، الأول كونها فضاء تحيط به مجموعة المباني الخاصة والمهمة وذات الصفة المعلمية، أما الثاني فيتعلق بالجانب الاجتماعي والوظيفي لها، أي أنها مكان للعلاقات الاجتماعية المختلفة، في حين كلتا الجانبان مكملان للبعض ويقدمان مفهوما أعمق للساحة.

يظهر أن الساحة فضاء عام مميز عن باقي الفضاءات العامة الأخرى، فهي تختلف عن الحدائق بكثافة الغطاء النباتي لهذه الأخيرة وكذا حجمها، أيضا الساحة قدر لها لاحتلال أماكن استراتيجية ومركزية في المدينة، أما تميزها عن الشارع فهو من ناحية الشكل والوظيفة، بالرغم من ذلك يبقى الشارع الفضاء الذي يحتل النسبة الأكبر من المدينة بينما الساحة عنصر ضروري له كمنظم للحركة في نقاط التقاطعات المعقدة والكثيفة، لتشكل بذلك الساحة نقطة

توزيع أو تجميع للحركة، حتى أن أحد تعاريفها تناولتها على أنها اتساع للشارع، أما النهج فهو أقرب للشارع من الساحة، بالرغم مما تم عرضه تبقى الساحة ومع بقية الفضاءات العامة تعبر عن فضاءات المدينة والتي تساهم في هيكلتها وتنظيمها.

أما بالنسبة لجانب الإدراك والتصور فإن الساحة عنصر مجالي يمكن من ملاحظة وتصور العناصر الفيزيائية المتوزعة فيها أو حولها، كما تمكن من اكتشاف بعض سلوكات الأفراد والجماعات وكذا التعرف على ثقافة وعادات الشعوب.

II - الدراسة التاريخية للساحات العمومية:

إن الدراسة التاريخية للساحات العمومية أمر مهم في إدراك التغيرات على مستواها, كما يساعد ذلك في تحديد مختلف الوظائف التي كانت تؤديها سواء من الناحية الاجتماعية أو الوظيفية، أيضا تعمل على إبراز التغيرات التي طرأت على أشكالها ونماذجها، فتقدم بذلك بعض الإجابات عن المشاكل والتساؤلات حول أهمية هذه الأماكن.

إن دراسة تاريخ الساحة يمكننا من إبراز الدور الذي لعبته خلال كل حقبة زمنية، ويمكن استخلاص ما يلي:

أصل الساحات يبرر موقعها الجغرافي، شكلها والعلاقة الكائنة بينها وبين الدور الذي لعبته.

معرفة المراحل التي سجلت تشكل الساحات، وكذا التغيرات التي ترشدنا إلى الوظائف المتأتية عنها.

- تحليل الخرائط والمخططات يمكن من معرفة حركة التدفقات عبرمختلف الفضاءات العمرانية من الشوارع، الممرات، الطرق وغيرها إلى الساحات.
- الدراسة التاريخية تسمح بمعرفة نشأة الساحات والتغيرات التي طرأت عليها وخضوعها لدراسة مسبقة أم أنها نشأت عبر تطورات زمنية متلاحقة.

II -1 الساحات في المدن الإغريقية << الآقورة- AGORA >> :

تنظيم الفراغ في المدن الإغريقية يكشف عن القيم الاجتماعية لهذه المدن، والتي تنتظم في شكل مجموعة مبان تتوزع حول ساحة رئيسية أطلق عليها اسم الآقورة،" الآقورة هي الشكل الأول غير الريفي لا ديني أو رمزي على الحصر لمكان حضري لممارسة الحياة المدنية الجماعية والمنظمة... " (Schulz,1977,p 70).

والآقــورة عبارة عن ساحة مركزية تتوزع عليها مبان عامة كالمعابد، المسرح، المحكمة وغيرها، مشكلة مركزا للمدينة والذي يعمل على تقديم مجموعة من الوظائف المختلفة، كما تعد مكــان للمبادلات السياسية حيث تجري عليها التجمعات الشعبية والمناقشات السياسية، كذلك هي مقــر المــبادلات الثقافــية، اكتســاب المعارف، تبادل الأخبار والمعلومات، بالإضافة إلى ذلك يقصــدها الناس قصد التبادل التجاري، حيث فيها تعرض السلع والمنتجات الزراعية،لذلك فإن مختلف هذه الوظائف المتنوعة جعلت منها رمزا للحياة الاجتماعية في المدينة الإغريقية... (Sablet,1988,p 21).

لقــد عرف تنظيم الآقورة وشكلها تطورات متتالية، ففي بادئ الأمر كانت عبارة عن سهل واسع غير واضح الحدود، تنتشر حوله مبان عامة كالمعابد، المحلات, ثم ازدهرت الآقورة بعد القــرن الخامس قبل الميلاد(05 ق م) أين عرفت أثينا ازدهارا عمرانيا تحت الحكم الديمقراطي حــيث أصــبحت التجمعات السياسية والنقاشات حول دواليب الحكم تجرى في الآقورة، كما أنه خــلال هــذه الفتــرة تم بناء معابد جديدة والأروقة المغطاة المخصصة لحماية المارة من أشعة الشــمس والتــي عرفت باسم ستوا(Stoa)، أما في فترة العالم الهليني فلقد تم إنجاز معبد أبولو بطرس(Apollo-patros) الجديد وكذا إحداث تعديلات في زوايا المعبد الجنوبي، لقد استمر البناء علــى محيط الآقورة معطيا لها شكلا مستطيلا ومحولا هذه الساحة المفتوحة إلى فضاء عمراني مغلــق، كمــا صارت تنتشر عليها مجموعة تماثيل ونافورات وتم غرس الأشجار بها، كل هذه التغيرات جعلت منها فضاء أكثر جمالا واستعمالا من طرف الجمهور(Sitte,1922).

لقــد شكلت الآقورة قطبا مشعا في المدن الإغريقية، فيها يكتسب الناس الثقافة والمعارف وتــتم النقاشــات السياسية والفلسفية، كذلك يكتشف تاريخ المدينة ويتعرف على الأباطرة وأهم المعارك والانتصارات وذلك من خلال رسومات منحوتة على جدران أحد أطرافها وكذا تماثيل الأباطرة والعظماء الرائعة النحت والمنتشرة على أجزاء منها.

الحــياة اليومــية والاجتماعــية لا تــتوقف في الآقورة، فعليها تجرى الاحتفالات بالنصر ومختلف التظاهرات والمنافسات الرياضية، كما يقصدها الناس من مختلف أرجاء المدينة لاقتناء المــؤونة أوعرض سلعهم، نقل تشولز عن أحد المؤرخين الذي قال فيها:"...ليت ساحرا يعيد لنا الحــياة فــي الآقورة، يعيد لنا ضجيج الباعة وحديث المارة, المناظرات السياسية والعلمية وتلك

النقاشـــات تحـــت الأروقة المظلمة... "(Schulz,1977,p195). كما إنه ليس من الصدفة صك صورة للأقورة على وجه النقود الإغريقية، فهي رمز هذه المدن والحياة الاجتماعية فيها،والتي اكتســبت هذه المكانة من تعدد الوظائف التي قدمتها وكذلك ترابط وتوزع المباني الهامة حولها، وهــذا ما جعل منها مقصد العامة والخاصة، أما فضاؤها المغلق فإنه يترك لزائرها متعة التمتع بمــزاياها وجمالها, كل تلك الجوانب وضعها في مرتبة قــال عنها تشولز :" الآقورة هي ساحة ذات مستوى عال "(Schulz,1977,p70). أما بالنسبة لحرية التجارة في الساحة فيصرح مامفورد نقلا عن أحد شعراء الإغريق قائلا:" كل شيء في الساحة،الخضر والشهادات القضائية، التفاح واليد العاملة،الورود والنصوص القانونية ...".(Mumford,1964,p167)

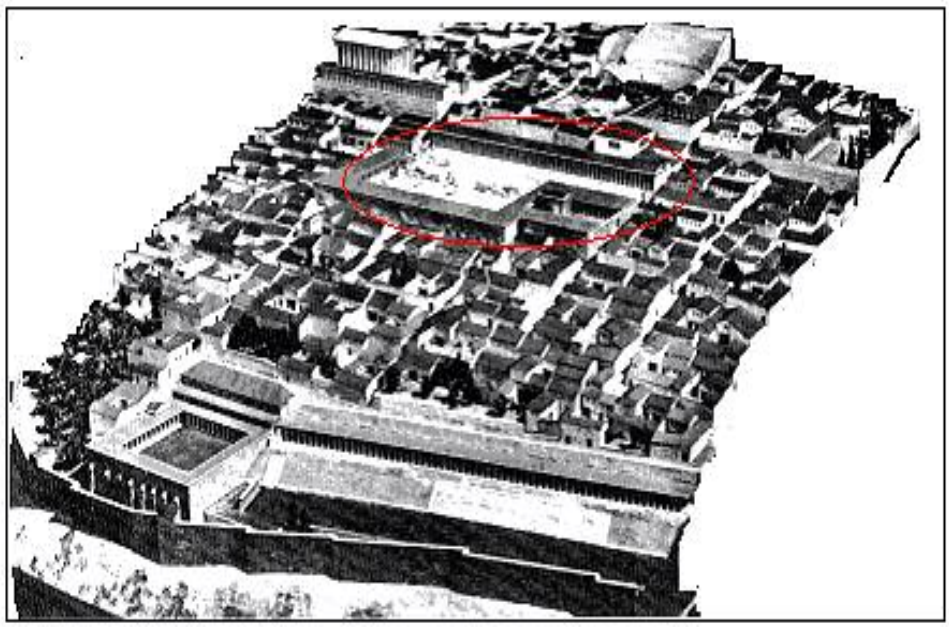

الصورة01: مجسم يوضح شكل آقورة أثينا المصدر:Schulz,1977,p71

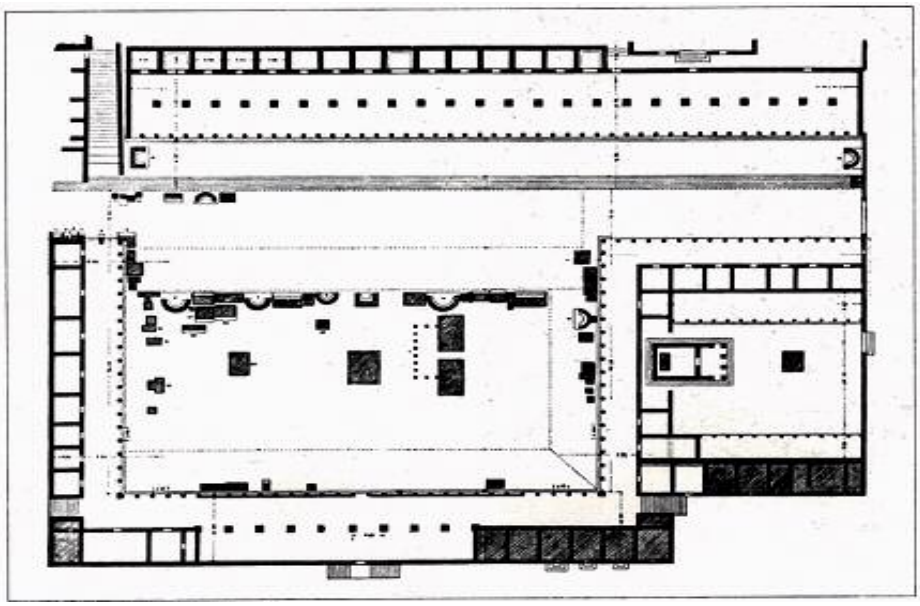

الشكل01: مخطط للآقورة أثينا المصدر: Schulz,1977,p71

II -2 الساحـــــات عند الرومـــان << الفوروم Le Forum >>:

تظـــهـــر المـــدن الرومانية أكثر تصميما من المدن الإغريقية، فهي تبدوا على شكل نسيج متراص مقسم إلى أربع أجزاء متساوية بواسطة محورين متعامدين هما الكاردو (Cardo) الممتد شـــمال–جـــنوب والدوكيمونيس(Decumunus) الممتد شرق–غرب، واللذان يتقاطعان في نقطة تمـــثل مركـــز المدينة، بالقرب منها يتواجد ميدان تتوزع حوله مباني عامة كالمعبد، المحكمة، مجلـــس الشيوخ...والذي عرف باسم الفوروم (forum)، أما المنازل والمباني الخاصة فتتراص علـــى حافتـــي شوارع ثانوية موازية للمحورين الرئيسيين والمنتهيين بأربع بوابات على سور محيط بالمدينة. إن تصميم المدن الرومانية برسوماتها المنتظمة والخطوط المتوازية هو ما ميز العمران الاستعماري حينها،إذ يشابه النمط الذي بنيت عليه روما.(Schulz,1977,p84).

وكلمة فوروم(forum) حسب القدماء مشتقة من فعل أحضر(ferre) أي أن الناس يحضرون الـــسـلع إلـــى الســـاحة، وهناك فرضية أخرى تقول بأنـــها مـــشتقة من كلمة(focus) بمعنى خارجـــي، والفـــوروم يـــنقل نفـــس مبادئ الآقورة (Agora) لكن في روما يظهر كساحة أكثر تخصصـــا وتكاملا، فهو لا يتعلق بـــساحة عامة بسيطة محاطة بمباني تجميلية وهامة وإنما هو مكان ذو خصوصية ارتبطت بالحياة المدنية والاجتماعية للمدينة. (sablet,1988)

والفـــوروم شكل معقد يتكون من المباني العامة كالمعابد، المحاكم، الفنادق، منازل الكهنة، غـــرف الاجـــتماعات وساحات حرة وسطيـــة تلقى فيها الخطب، فيظهر بذلك كساحـــة مغلقة

سـيت نقـلا عن فيتريف(vitruve) الذي قال:" الفوروم...لا يعتبر بهذا الشكل مسرحا تحيط به المبانـي، بل يمثل القلب النابض للمدينة الرومانية وعنصرا مهيكلا لها، وهو ضروري لها مثل الفناء بالنسبة للعائلة داخل المسكـن...". (Sitte,1922,p9)

فـي مدينة روما إحدى أرقى مدن الإمبراطورية الرومانية، الفوروم يقع على مسافة 500م مـن مدينـة التيبـر(Tibre) المبنـية على امتداد النهر، وهو محاط بسلسلة من المباني الهامة والنصـب الـتذكارية التي تخلد أباطرة تولوا على حكم روما، كما يضم كذلك محلات تجارية محمـية مـن أشـعة الشـمس بأعمـدة وأروقة مغطاة تسمح بمرور المارة تحتها تدعى ستوا (STOA)، أما ميدانه فهو أرضية مبلطة ذات شكل مستطيل أبعادها 100م x 60 م، وعنده تنتهي طـرق وشوارع المدينة بحاجز من الأعمدة الحديدية والحجرية والتي تمنع العربات من التغلغل بداخلـه(الصـورة 03)، في حين تنتشر به مجموعة من التماثيل فائقة النحت، كما تتواجد به أربعـة نافـورات، ويجـاور الفـوروم مبنى الكنيسة المخصص للاجتماعات والمحاكمات في الظروف المناخية السيئة. (Schulz,1977)

والحياة العامة والمدنية على الفوروم (Forum) تظهر أكثر نشاطا وحيوية، حركة المشترين أمـام المحلات، تجمهر الناس أمام المحاكم والبنوك، استعراضات الرياضات القتالية، وعليه يتم جمع الضرائب وعرض قوانين الحكم على السكان، كما يقف الشعراء لعرض شعرهم، لقد كان يمثل الرمز والقلب الحي في المدينة الرومانية ومثالا للحياة المدنية والاجتماعية،فقال سيت عنه: "... فوروم روما هو مركز الحياة المدنية ليس في روما فحسب وإنما الإمبراطورية الرومانية جمعاء ...". (Sitte,1922,p25)

لقد عرفت روما إنجاز العديد من الساحـات العمومية(forum) أشهرهـا فوروم قيصـر (Cesar-46 ق م)، فوروم أوغست (August-42 ق م) (الصورة 02)، فوروم فيسبيا زيان75 م، كما عرف الفوروم تخصصا فـي وظائفه، إذ نجد فوروم روما موجه للأنشطة السياسية، القضائية، الدينية والشعبية، وكذلك يتم عليه جمع الضرائب، ويجاوره فوروم آخر مخصص لتجارة البيض والأسماك، وهناك نوع ثالث موجه لاستعراض الجند وقتال المصارعين، كما يتم عليه إجراءات الإحصـاء والتصويت، بالإضافة إلى ذلك يتواجد بالقرب من الفوروم الروماني ساحة صغرى كانت مخصصة لتجمع القضاة عرفت باسم كوميتيوم (Comitium).

ويقـــرر مامفـــورد (Mumford) بخصوص مساحة الفوروم يلح بالخصوص على إظهار التوازن بين استعمال هذا المجال وحجمه، في حين يدعم هذه الفكرة فيتريف(Vitruve) بأن أبعاد الفـــوروم تحســـب بدلالـــة حجم السكان أو على الأقل الميدان الطبيعي المتوفر والمحصور بين الأبنية العامة.(Mumford,1964) .

مما تم ذكره يظهر أن فوروم روما منفرد بشكله ووظائفه حتى قيل عنه:"...إنه هنا الأكثر جمالا فـــي الساحات العامة في العالم اللاتيني..."(Schulz,1977,p288).

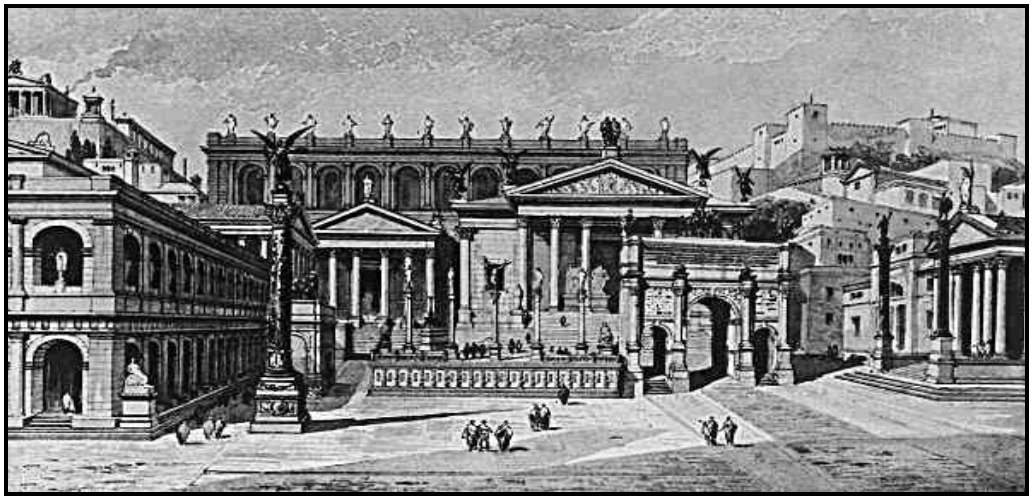

الصورة02: منظر لفوروم أغست المصدر:Encarta 2003

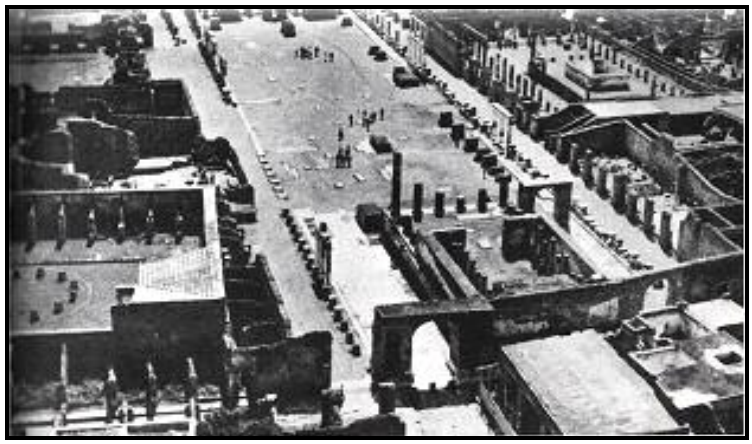

الصورة03:صورة من أطلال للفوروم المصدر:Mumford, 1964

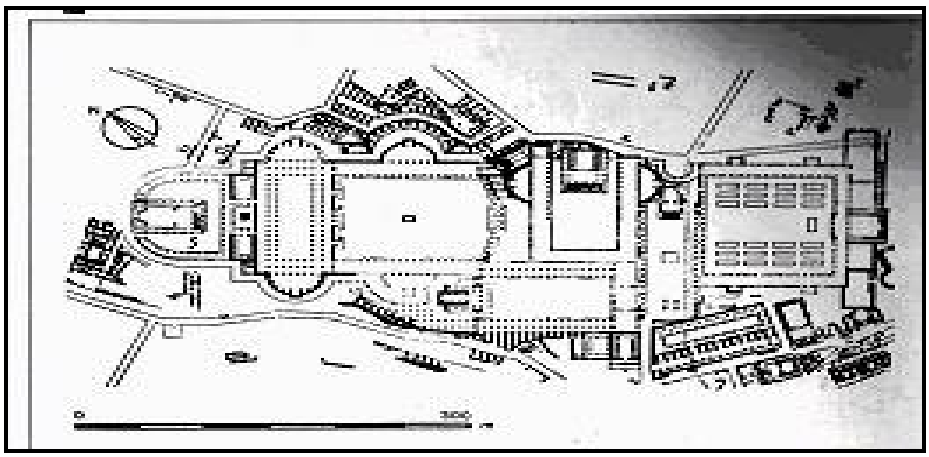

الشكل02: مخطط للفوروم الروماني المصدر:Schulz,1977

II -3 الســـاحـــات فـــي القـــرون الوسطـــــى :

تظهرالمدن الأوروبية في القرون الوسطى في شكل نسيج متراص وبشوارع غير منتظمة، تـــتوزع علـــيها مبان متعددة الطوابق، كما يحيط بها سور لحمايتها من الهجمات الخارجية، أما المبانـــي العامـــة ومـــنازل الطبقات الراقية فتتركز في وسط المدينة، بينما الفقراء يسكنون في المحيط، في حين الفضاءات العامة في المدينة فتملك تراكيب معقدة، وتقع تحت سلطات مختلفة والمتمثلة في الحاكم البلدي، رجال الدين والأساقفة...بالمدينة تنتشر مراكز عديدة يبرز من بينها المركـــز الدينـــي تحت إشراف الكاتدرائية أو الكنيسة والمركز المدني يدعمه مبنى دار البلدية ومركـــز آخـــر تجاري يتمثل في ساحة السوق، ويجاور الكنيسة أو الكاتدرائية ميدان عام يمثل ساحة عامة، عليها تجرى الاحتفالات والمراسيم الدينية ويتجمهر الناس لاستماع خطب ومواعظ رجـــال الـــدين " الأسقف أو البابا "، لكن هذه الميادين في نظر الكثيرين لا تستحق لقب ساحة عامـــة لكونها جزء من فراغ عمراني تابع للكنيسة أو الكاتدرائية وليست لخدمة الصالح المدني العام ككل. (Mumford,1964)

تشـــرف دار البلدية على ساحة عمومية، والتي يحيط بـــها قصور ومنازل عظماء الدولة وشـــرفائها، وهـــي ســـاحة بأرضية مبلطة تنتشر بها تماثيل ونافورات تتخذ أشكالا مختلفة، أما مســـاحتها فهـــي مجسدة بأبعاد غير كبيرة نتيجة الصراع على الفراغات داخل المدينة المحدودة بالســـور، كمـــا أنه فيها يتجمهر الناس ويتعرفون على القوانين المعلنة، أيضا يجرون عمليات التصـــويت ويســـتمعون إلى خطب الحاكم أو رئيس البلدية وذلك من على مقصورة مرتفعة من مبنى البلدية والتي تخضع الساحة لحراستها ورقابتها.

أوروبـــا القرون الوسطى تميزت الحركة الاقتصادية فيها بالتخصص في الإنتاج وتقسيـــم العمـــل، ممـــا أدى إلـــى تراكم السلع، فنتج عنه ازدحام للتجار والحرفيين في الشوارع الضيقة واتســـعت تاركـــة مـــيدانا مشـــتركا بينها مشكلا ساحة السوق، وهي ساحة تدور فيها مختلف المـــبادلات الـــتجارية، كما مثلت قلب المدينة التجاري والواقع بالقرب من الطرق الرئيسية لها، وفـــي حـــالات أخرى تقع عند المداخل للتجارة الخارجية، وساحة السوق ميدان مبلط تدور فيه الحـــياة المدنية العامة، كما يقصدها مختلف الناس لاقتناء السلع والمنتجات الزراعية والأغذية، حـــيث تتم المبادلات عن طريق الشراء أو المقايضة، وفيها أيضا يتنافس الفلاحون والحرفيون لاحتلال أماكن بها أو كراء محلات قريبة جدا منها. (Mumford,1964)

لقـــد تميزت الساحة خلال هذه الفترة بالأشكال المختلفة والمساحات المتفاوتة، التي تنتهي عـــندها العديد من الشرايين والطرق الثانوية، تحيط بها عادة ولا تخترقها، كما تحيط بها منازل عالـــية الارتفـــاع على حوافها، وكذلك يظهر أيضا شكل آخر من الساحات وهي تلك المتواجدة أمـــام فندق المدينة التي تعمل على إبراز واجهة هذا المبنى العام كما تسمح بتجمهر الناس فيها، وهي غالبا تتواجد بالقرب من ساحة السوق.

لقـــد تواصـــلت الحـــياة العامة في الساحات العامة التي احتفظت بدلالاتها الرمزية تاركة علاقـــات طبيعية بين الساحة والمباني المحيطة بها، ومشكلة اعتزاز وفخر الماضي، ومن أشهر ساحات هذه الفترة ساحة Del compo.(الصورة04، الشكل 03)

II -3 -1 ساحـــــة دال كمبـــــو بـــ سيانا Del compo -Sienne :

ســـيانا "Sienne" أحد أروع المدن الإيطالية لا تزال تحتفظ بشكلها الأصلي الذي يعود إلى القـــرون الوســـطى، هذه الأخيرة تتميز بنمط معمارها الذي ينسب إلى الفن القوطي، ولقد بنيت المدينة على ثلاث ربوات تلتقي عند نواة مركزية أين توجد أكبر ساحات المدينة عرفت بساحة Del compo.

ساحة Delcompo ذات الموقع الاستراتيجي شيدت عام 1338م على أرضية نصف دائرية بشكل يشبه الصدفة (الشكل 03)، وأرضيتها مبلطة بالأجر الأحمر والذي ساعد في حمايتها من آثـــار الأمطـــار، بذلك مكن من سهولة الحركة عليها، ويرتسم على الأرضية نظام من الخطوط يشـــبه شكل المروحة تقسمها إلى تسعة قطاعات دلالة رمزية عن عدد أحياء المدينة حينها، أما

حـــركة العربات فتتم على طريق يحيط بالساحة ولا يتغلغل بداخلها وهذا لوجود أعمدة تحـــول دون ذلـــك، كما تحيط بالساحة مجموعة مبان تحدد شكلهـــا، وهـــي الأخرى مبنيـــة بالآجـــر الأحمـــــر، وهـــذا ما أحدث تناغما لونيا بينها وبين أرضية الساحة وجعل منها تركيبة موحدة، بذلك تبدو الساحة أكثر من أرضية أو فراغ بل عبرت عن فضاء مهيكل ومندمج مع محيطه. (Schulz,1977)

تعد قلعة منجيا (tour-del-mangia) عنصرا مهيكلا للساحة، وتتميز ببرجها المرتفع والذي يشـــكل معلما استدلاليا يحدد موقعها، أما الواجهات المشرفة على الساحة فهي هادئة ومنسجمة تتـــرك فـــتحات ونـــوافذ متشـــابهة، وهـــذا ما أكـــسبها انسجاما وتناغما بين المبني والفراغ، الكنيسة،الفندق ومبان القداس تعد أهم المباني العامة المحيطة بها، والتي خلقت فضاء مغلقا قدر لـــه اســـتيعاب ذلـــك الكـــم الهائـــل مـــن الجماهيـــر يعجـــز عـــن إيوائهم أكبر مبان المدينة (Mumford,1964) ، ولقـــد عـــرفت الساحة نجاحا فريدا جعل منها فريدة عصرها في شكلها، انســـجامها، تهيئتها وحجمها، حتى أن كل عنصر منها يعد أساسيا للمجموع ، بحيث يفقد قيمته الفنـــية بانفـــراده، وهـــي حقيقة إبداع فني في عصر كانت فيه الأشكال والأحجام غير محددة. (Gibberd,1972,p185)

لقـــد اســـتمرت الحـــياة الاجتماعية والمدنية في الساحة لقرون طويلة، ففي الماضي كانت الســـاحة مســـرحا للتظاهرات والاحتفالات، المهرجانات وسباقات العربات، أيضا شكلت رمزا للســـلطة ومكانـــا للالتقاء، وكذلك مكانا للمبادلات التجارية والتي كانت تظهر في المساء، حيث كانت تحتلها رفوف باعة الحبوب، الخضر، الفواكه وغيرها من المنتجات الزراعية، وهو الأمر الـــذي جعلها تبدو كساحة سوق، بالرغم من هذا حافظت الساحة على حيويتها تلك رغم ظهور العديد من الأسواق في المدينة وظلت القلب النابض التجاري والاقتصادي لها.

جســـدت الساحة في القرن الخامس عشر مكانا للتضامن الاجتماعي، إذ فيها عكف العديد مـــن القداس على تقديم الأكل والماء إلى المستضعفين والفقراء، كما برز هذا الحدث الاجتماعي فـــي القـــرن التاســـع عشر وهذا عند تفشي المجاعة، حيث تكفل اتحاد الحرفيين بتقديم المؤونة للجائعـــين المنتشرين بها، والساحة اليوم هي أحد رموز التصميم العمراني والهندسة المعمارية للقـــرون الوسطى، فلقد صنفت ضمن المنشآت التراثية في إيطاليا، وصارت قطبا جذابا للسواح الباحثين عن اكتشاف سر الأجيال العابرة .

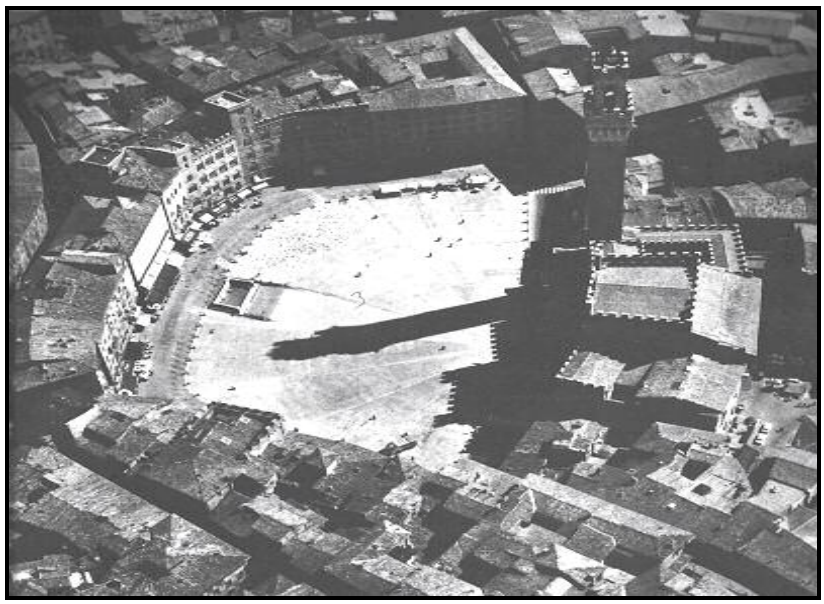

الصورة04: ساحة Del compo المصدر:Schulz,1977

الشكل03: الشكل الصدفي لساحة Del compo المصدر:Schulz,1977

II -4 الساحـــــات في عصـــر النهضـــــة:

عاشت أوروبا حقبة سوداء في غضون القرون الوسطى، مست مختلف الجوانب السياسية والاقتصـــادية والاجتماعـــية، كمـــا ســـادت الحروب العنيفة أيضا، أما من جانب هندسة المدن وتصـــميمها فتظهـــر فضـــاءاتها في شوارع ضيقة ملتوية وعاتمة تحجب النور عن المساكن، وتـــزدحم فيها المحلات التجارية، في حين يقع على حوافها مبان بأشكال هندسية مختلفة، فتبدو بأبعـــاد صـــغيرة وأشكال غير منتظمة...انتظرت أوروبا القرن الخامس عشر لتعرف النور في تطـــورات فكـــريـــة، سياســـيـــة، اجتماعيـــة وثقافيـــة...عرفـــت بالنهضـــة الأوربية، إذ تعد

إيطالـــيا أول الدول التي إحتضنتها، ويتجلى ذلك خاصة في مدنها البندقية (Venise) وفلورانسيا (Florence) متبنية أعمال مهندسيـــن مثل البارتي(Alberti)، برونيليشي (Brunillshi)، أما هذه النهضـــة فقـــال عـــنها تشولز: "...إرادة جديدة أيدها نظام هندسي متجانس يحقق اعتقادا عاما بالانسجام والكمال، يأخذ الهندسة المعمارية كعلم الرياضيـــات، يجســـد ذلك باستعمال المنظور كوسيلة لوصف المجال أو إبراز تجانس الأشكال المركزية والمثالية". (Schulz,1977,p288)

لقد أظهر مصممو هذه الفترة الميل إلى تجسيد المدينة المثالية بهندستها المعمارية المتميزة عن الحقبة السوداء دون استقصاء إيجابياتها ومع إحداث تغييرات وتطورات في معمار وعمران المدن، فأسسوا هندسة معمارية تهتم باستعمال الهندسة في التصميم محققين انسجاما وتناغما بين التصـــاميم المعمارية والعمرانية، أما فيما يخص الفضاءات العمرانية فنجد أن الشوارع صارت أكثر انتظاما واتساعا، حيث تسمح بوصول أشعة الشمس إلى الواجهات المنتظمة الفتحات لمبان ذات أشـــكال منتظمـــة وارتفاعات متقاربة، تعلوها أسقف تزيد المظهر رونقا، في حين ساحاتها العمرانية تبدو في تصاميم تميزها عن العصور السابقة، وكذا في أشكال منتظمة تحيط بها مبان خاصـــة كانت أو عامة كالمعارض وقصر الحاكم والكنيسة...،كما أصبحت الكنيسة من ميزات هـــذه الفتـــرة، حيث فرضت هيمنة على المجال وأدارت صلاحيات سياسية ودينية، أما أرضية الســـاحة فلقد صارت مبلطة، ترتسم عليها أحيانا زخـــارف في قمة الجمال (فسيفســـاء) وعادة تكـــون مهيأة بنافورات أو تماثيل أو نحوت، بالإضافة إلى ذلك احتلت الساحة مواقعا مختلفة من المديـــنة وهـــذا ضمن مركزها أو عند المداخل العامة لها، وكذا عند مواقع تكشف عن مظاهر طبيعية خلابة كالغابات، حواف الأنهار وجوانب البحر، ومن بين أبرز ساحات هذه الفترة ساحة القديس ماركوس بالبندقية(الصورة 05).

II -1-4 ساحة القديس ماركوس بـــ البندقية :

تعـــد البندقية من أروع المدن الإيطالية، ويقع عند مدخلها من جهة البحر وفي نقطة تقاطع عـــدة طـــرق كنيسة القديس ماركوس، عند جانبيها تتوضع إحدى أروع ساحات عصر النهضة التي عرفت بساحة القديس ماركوس، هذا الفضاء العام الذي يتمثل صورة لساحة اكتسبت شكلها عبـــر تطـــورات تاريخية بدأت من فضاء تابع للكنيسة التي بنيت عام 830 ق م، تواصلت عليه

مجموعة إنجازات إلى غاية عصر الملك نابليون(Gibberd,1972,p187)، في واقع الأمر يتكون من ساحتين متجاورتين تظهران على شكل يشبه الحرف اللاتيني"L"(الصورة 05)هما:

* الساحة الكبرى (place–piazza) وتمتد طوليا في العمق وهذا لإظهار الهندسة المعمارية لمبنى الكنيسة، كما أخذت شكل الحرف U وبأبعاد 176 م طول و82 م عرض، وهي منفتحة على واجهة الكنيسة، أما الجوانب الثلاثة للساحة فتهيكلها مبان هامة تترك في طابقها الأرضي تراصفا من الأعمدة المتصلة عند الزوايا، وهذا ما خلق إحساسا بانغلاقها، في حين أرضية الساحة مبلطة ترتسم عليها خطوط تشكل فسيفساء تمتد إلى بؤرة شكلتها جوانب الساحة غير المتوازية، فكونت بذلك أثرا بارزا لنوعية الساحة المرنة.(Gibberd,1972,p187)

* أما الساحة الصغرى (placette-piazzetta) فقد أخذت شكلا مشابها للأولى، لكنه ينفتح على واجهة بحرية وجزيرة القديس جيورجي (San-Giorgio)، وعند نهايتها يرتفع عمودان من الغرانيت أحدهما تخليدا للقديس ليون (1189م) والثاني للقديس تيودور(1329م)، أما عمق الساحة فهو مشكل من لوحات تضم الواجهة الجنوبية للكنيسة وجزء من الساحة الأولى وكذا برج الأجراس.(Gibberd,1972,p187)

تشترك الساحتان في مجموعة من المبان الهامة حيث تعد الكنيسة أكبرها أهمية وهذا من خلال عرضها هندسة معمارية بيزنطية متميزة وفريدة في سماتها الفنية، أما برج الأجراس المبني بالأجر فيستقر في زاوية منها وبارتفاع شامخ يقارب العشرة أمتار، مشكلا بذلك معلما استدلاليا بارزا فيها، بالإضافة إلى ظهوره كالمنارة بالنظر إليها من جهة البحر، بينما المكتبة تظهر بعمارة نسبت إلى عصر النهضة، في حين يعمل قصر الروج (palais-des-roges) على هيكلة الساحة الصغيرة ويشكل حاجزا بصريا للساحة الكبرى.

تعرض ساحة القديس ماركوس بشكلها العام تنوعا في الهندسة المعمارية وتلاحما بين تراكيب وإنجازات من عصور مختلفة، ويبرز ذلك من خلال تداخلات بين المظهر الطبيعي والاصطناعي بها، وهو ما أحدث تناغما بين المبني والفراغ، كما أكسب الساحة صفات فريدة وبارزة حتى وصفها نابليون بأنها أروع ساحات أوربا.

لقد تميزت الساحة قديما بالحيوية والنشاط العاليين، أما الحياة الاجتماعية فيها فتنشطها حركة السكان، الطلبة والتجار، بالإضافة للتجمعات السياسية، الاجتماعية والدينية، اليوم تعرف

الســـاحة انتقالا للوظائف السياسية والاجتماعية إلى أماكن أخرى من المدينة، في حين المقاهي والمطاعم والوكالات السياحية أخذت مكانا مجاورا بها، وهو ما حولها إلى قطب سياحي يستلهم انفعال وأحاسيس زواره.

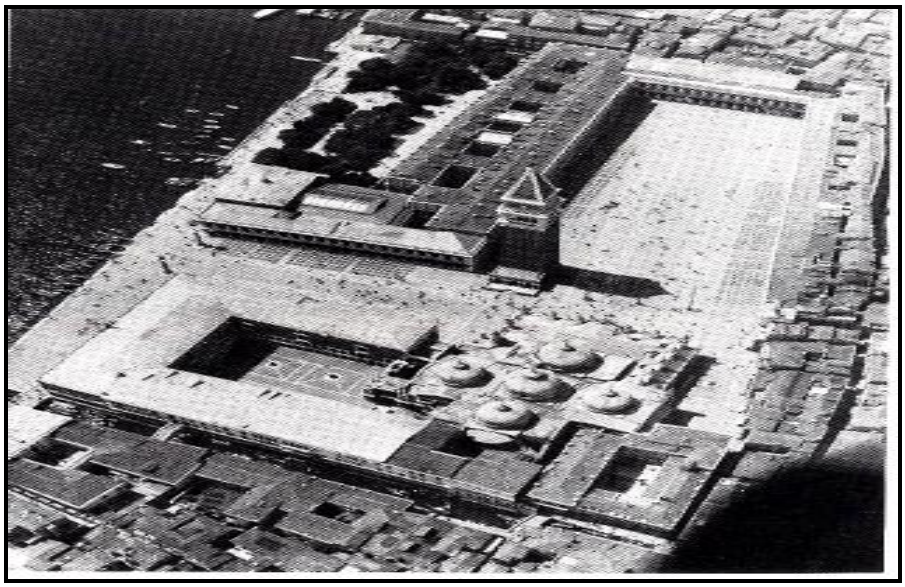

الصورة5: ساحة القديس ماركوس المصدر:Benevolo,1993

II -5 الســـاحات بعد القـــرن السابع عشرة (عصـــر الباروك) :

خـــلال القـــرن السابع عشر اكتسحت أوروبا عدة تطورات وتغيرات مست ميادين مختلفة كالسياســـية، الاجتماعية، الثقافية، العمرانية وغيرها، وأهم ما ميزها هو ظهور فن جديد عرف بـــــ الـــباروك، حيث تعد إسبانيا السباقة إليه، بينما وصل إلى دول أخرى تحت اسم الكلاسيكية الحديـــثة، هـــذا الفن الذي اتسم بالديناميكية والنوعية جسد بادئ الأمر في التصميمات الداخلية والخارجـــية للكنيســـة. "...في قمة العزة يريد البابا تخليد ذاكرته بمباني باذخة ومترفة تستعمل أشـــكالا متحـــركة، وتثيـــرها تـــزيينات ملونة وواسعة، في اعتقاد منه أنه يعطي كل الوضوح لعاصمة المسيحيـــة..." . (Mumford,1964)

عـــرف عصر الباروك ظهور نظريات جديدة في الهندسة المعمارية والعمرانية تهدف إلى إيجـــاد حلـــول للنســـج العمرانية الكثيفة والمتضاربة في التصميم، فكان ذلك بوضع فضاءات مفـــتوحة ومنتظمة تستلهم إيجابيات القرون الوسطى وتحاكي الكلاسيكية الحديثة، وكذا الانتقال مـــن التصـــاميم الثقـــيلة إلى الرسومات الخفيفة التي يلمع فيها النور بين المبني والفراغ، بذلك شكلت هذه الفترة مرحلة انتقالية بين العصر السابق والأزمنة اللاحقة.

ولقد عرفت الساحة خلال هذه الفترة تغييرات تصميمية بارزة نتجت من استعمال المنظور، ظهر هذا الأخير على يد مازاسيو(Mazacio)، في حين عرف إدراجه في تصميم الساحات على يد معماريين أمثال فيلارات (Filarete) دجيورجيو (Degiorgio)، كما احتلت الساحات مراكزا استراتيجية في المدينة وهذا بوقوعها في نقطة تقاطع المحاور الأساسية، وهو الأمر الذي جعل منها نقطة التقاء بارزة كما أكسبها صفة الانفتاح على المحيط.

أيضا عرفت الساحات تحولا من الشكل غير المنتظم إلى المنتظم، الذي يضعها في أبعاد مدروسة تبرزها كعنصر مهيكل في المدينة، أما التهيئة الداخلية لها فأصبحت أكثر تنوعا وذلك من خلال إدراج العناصر الطبيعية بشكل واسع كاستعمال النباتات والمجاري المائية وغيرها، بذلك قدمت تلك التحولات أنماطا جديدة منها،كما أنتجت ثلاثة أنواع من الساحات هي:

II -5-1 الساحات الاستعراضية الإيطالية :

عرفت كذلك بالساحات الأصلية، وسميت أيضا بساحات المسارح وهذا لأنها تعمل على عرض المبنى الهام والمهيمن كالكنيسة أو فندق المدينة أو دار الحاكم، وهذا محاولة منها لإبراز مختلف جماليات المبنى ومعماره، ويظهر هذا الأخير وكأنه يعانق الفضاء، كما أنها أخذت أشكالا منتظمة متطابقة مع الفراغ الناتج من توضع المباني الهامة، في حين بلغت درجة عالية من الجمال والانفتاح، وهذا من خلال الواجهات الناتجة من المعمار الرائع للمباني المهيكلة لها وكذا المناظر الطبيعية المنفتحة عليها.

II -5-2 الساحات الملكية أو الأرستقراطية الفرنسية :

ظهر النموذج الأول لها في ساحة الملك هنري الرابع بباريس (الصورة 06)، حيث سميت كذلك لتموقع تمثال الملك هنري في مركزها، أما اليوم فتعرف بساحة الفوج (Vosge)، لقد جسدت هذه الساحة مكانا لسياحة واستجمام الملك، بينما يبدي تصميمها أشكالا تتوزع بالتناظر إلى محاور وهمية تنطلق من قصر الملك، أما أبرز جانب منها فيتمثل في هيمنة المساحات الخضراء التي توزعت على مستويات مختلفة، وهو الأمر الذي جعلها أقرب إلى شكل الحدائق الخاصة. (Schulz,1977)

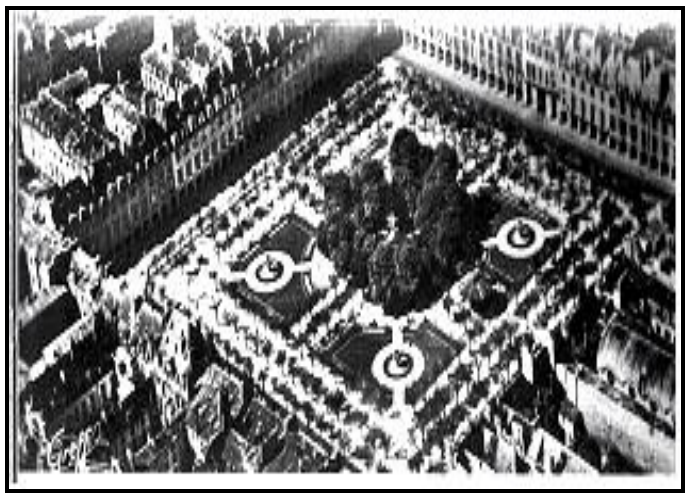

الصورة 6: ساحة الفوج – باريس المصدر:Mumford, 1964

II -5-3 الساحـــات السكنيـــة الإنجليزية :

إبـــداع فنـــي ظهـــر فـــي القرن السابع عشر، ومن أهم مصمميه المعماري أنجو جونس (Ingo-Jones) ، وتتســـم بالتركيب الخفيف المستوحى من الكلاسيكية الحديثة (الساحات الملكية الفرنســـية) والـــباروك الأوربي، كما احتلت أماكن وسطية بين الأبنية السكنية، في حين أخذت أشـــكالا متشابهة تتأرجح بين المستطيل والمربع، وأطلق عليها كذلك اسم سكوار(The-Square) ويتواجد في مركز هذه الساحات حديقة والتي كانت في بداية ظهورها مسيجة، وهي تتشكل من عناصر طبيعية تتوضع بأشكال هندسية متكررة مجسدة لفكرة التناظر، في حين لم تظهر الساحة نقاطا قوية بارزة، إذ يختفي نظام المحاور في تصميمها، وبالرغم من ذلك ظلت تشكلا نسيـــجا متجانسا ومنظما موجه لخدمة الحياة المدنية العامة. (Schulz,1977)

II -5-4 ساحـــة القديـــس بطـــرس :

شـــيدها الملـــك الإســـكندر السابع ما بين 1675 م –1677م، بينما قام بتصميمها قرولانجو برنينـــي (Bernini-Gronlengo) جســـد فيها فكرة الانفتاح والانغلاق في آن واحد، ولقد أخذت الســـاحة شـــكلا بيضـــويا تحـــدده سلسلة من الأعمدة المسقوفة تسمح باكتشافها من الداخل إلى الخـــارج، كمـــا أنها تمتد بشكل متطاول رمزا لأذرع مفتوحة تنطلق من جسم الكنيسة وتحتضن الســـاحة، وهي دلالة قال عنها تشولز نقلا عن برنينيBernini: "... كنيسة القديس بطرس هي تقـــريبا أم الآخـــرين، لـــذا عليها أن تملك رواقا بأذرع مفتوحة يحتضن الكاثوليكيين لتأكد لهم الوفاء، فكرة تجلب إليها الكفار لتنير لهم الإخلاص الحقيقي...".(Schulz,1977,p288)

تظهـــر ساحة القديس بطرس بأبعاد كبيرة جسدت على أرضية مائلة، ويتوسطها نصب ذو شـــكل عمـــود تلتقي عنده كل الاتجاهات، كما يقسمها محور يمتد من بوابتها إلى مدخل الكنيسة ومـــرورا بالعمـــود المركـــزي(الصورة 07)، بحق لقد عكست الساحة في الساحة انسجاما بين الأفكار العمرانية والتفاصيل المعمارية وتناغما بين الأشكال والمباني والفضاء، وهو الأمر الذي جعـــل مـــنها مسرحا ضخما ذو طابع فريد من نوعه حتى قيل عنها : "...أكثر المسارح فخامة وبـــدون شـــك مركـــز العـــالم الكاثوليكـــي والرومانـــي ســـاحة القـــديس بطـــرس ... ". (Schulz,1977,p288)

صورة 07: ساحة القديس بطرس المصدر:Encarta 2003

إن أهـــم ما ميز الحياة العامة في الساحة هو تلك التظاهرتين الدينيتين كل سنة, حيث في الأولى يعمد البابا ومن على شرفة بالكنيسة إلى مباركة ذلك الكم الهائل من سكان الفاتيكان، أما فـــي الثانـــية فالـــبابا ومن خلال نوافد مسكنه الخاص يرسل مباركته إلى حجاج الكنيسة، هذان المناســـبتان مكنـــتا الكثيـــر من الرومانيين وغيرهم من اكتشاف جمال الساحة وروعة دلالتها العمرانية والمعمارية، كما جعل منها وجهة للسواح والحجاج على مدار السنة.

II -6 الساحـــات في عصـــر الثـــورة الصناعيـــة :

عـــرفت أوروبـــا في القرن التاسع عشر ثورة صناعية عالية صاحبتها تطورات في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ...الأمر الذي أدى إلى توسع وتضخم المـــدن، وهـــذا نتـــيجة هجرة الكم الهائل من اليد العاملة من الريف إلى المدينة طلبا للعمل في الصـــناعة وكـــذا الاســـتفادة مـــن خدمات وتطور المدينة، ولقد رافق ذلك اختلال سببه مشاكل الاهـــتمام بإســـكان المهاجـــرين والعمـــال، فـــي ظل هذه الظروف أصبحت الشوارع تزدحم

بالسيارات، بينما الساحات العامة تحولت إلى مواقف لها، وهو الأمر الذي أفقدها هدوءها وحرم مستعمليها من التمتع بها، كما أنه تم تصميمها كعنصر منظم للحركة في مكان يتقاطع فيها كم هائل من الطرق، الشيء الذي صعب من الوصول إليها خاصة للراجلين وحولها إلى فضاء يجمع مختلف أشكال التلوث (البصري، السمعي، الجوي...).

لقد رافق الثورة الصناعية ثورة في إنجاز المبان والمنشآت المنافسة للساحات كالأسواق المسارح، دور السينما وغيرها من المباني والتي أدرجها بعض العمرانيين ضمن الفضاءات العامة، في حين تراجعت مساحة الساحات العامة نتيجة الصراع على الفراغات الشاغرة قصد إنجاز المباني، بذلك أصبحت الساحات عاجزة عن احتواء التظاهرات الكبيرة وخاصة تلك التي ميزت هذه الفترة كالإضرابات والثورات.

يمكن القول أن الساحات العامة عموما فقدت ماهيتها، جمالها، مكانتها ودورها في آداء وظائفها المختلفة مقارنة بتلك التي كانت تكتسبها في العصور السابقة كعصر الباروك، عصر النهضة، القرون الوسطى...، إذ لم يبق إلا القليل منها في صراع دائم كساحات المدن الإيطالية والإسبانية، وتداركا لهذا الوضع الذي آلت إليه المدينة وفضاءاتها ظهرت تيارات مختلفة من بينها:

II -1-6 تيارالتخطيط المنتظم :

يعد البارون (Haussman:1891-1809) أبرز رواده ومرجع أغلب عمليات التهيئة العمرانية والفضائية، حيث عرف العديد من النجاحات في تخطيطاته والتي تستعمل الأشكال الهندسية والتناظر، بالإضافة إلى إسهام الطرق الطويلة المحاطة بالأشجار(نهج)، أما الساحات العامة فأصبحت وظيفية أكثر منها جمالية، ويعكس ذلك غياب في العلاقة بين الفضاء ومعمار المباني، أما أهميتها فتبرز بواسطة المبنى المهيمن، والمدينة من خلال أفكار هصمان تتجسد من خلال الفضاءات الوظيفية، شوارعها الواسعة وكذا حدائقها العامة والساحات، وهو ما أعطاها جمالا تذكاريا، لكن وعلى الرغم من ذلك تجاهل هصمان البنية الاجتماعية لها.

II -6-2 تيار المثقفيـــن :

مـــن أبـــرز رواده كاميلوسيت (Camillo-Sitte:1903- 1843) الذي عكف على دراسة ساحات القـــرون الوســـطى وعصر النهضة واضعا إياها في كتابه << فن بنـــاء المـــدن>> والساحة بالنســـبة لـــــ سيت تمثل العنصر الأساسي لاكتشاف الفضاء الحضري، وهي فكرة مخالفة لما قدمـــه هصمان الذي يرى بأن الفضاءات العامة هي جزء من تركيب المدينة حيث تظهر أهميته مـــن أهمـــية المبنـــى المهيمن، كما قدم سيت اقتراحات عديدة حول شكل وموقع وأبعاد الساحة ونهايـــة الشـــوارع عـــندها وانفتاحها وانغلاقها وعلاقتها مع محيطها ومكان النصب التذكارية فـــيها...، كمـــا اســـتلهم من الماضي سر نجاح ساحاته وجمالها، فترجم ذلك في نماذج تبرزها كعنصر مكون وأساسي للفضاء الحضري وبرموز قوية وحديثة.

II -6-3 التيار الطوبوي Utopists :

يعـــد أومان(R.Omen)، ابنزير هاوارد(E.Howard)، لور(G.lour) من رواد هذا الاتجاه، وترتكـــز أفكـــارهم علـــى النظـــرة المثالية للطبيعة الإنسانية، والتي تقوم على تقوية العلاقات الاجتماعية،فـــي حين يقللون الاهتمام بالاعتبارات الجمالية، أما تصورهم للمدينة فيختلف حسب أحلامهـــم، كما تعد المدينة الحدائقية من تصميم هاوارد من أبرز الأعمال، حيث تظهر الساحات العامة فيها كثيفة النباتات والأشجار.

إن إبـــراز وتقـــديم مختلف تيارات عصر الثورة الصناعية وذكر تصوراتهم للمدينة يبرز مكانـــة الســـاحة العامـــة والتـــي تـــتأرجح بين الإهتمام وعدم الإكتراث،كما يكشف عن عمق الإشكاليات التي واجهتها الساحات العامة.

II -7 الزمـــن المعاصـــــر(انطلاقا من القرن العشرين):

إن نشأة الساحة في إطار تهيئة المدن الجديدة أو إعادة هيكلة الأنسجة القديمة ارتبط أساسا بفكـــرة التهيئة الخارجية للمحيط، إذ نشهد تطور تصميم الساحات ومنذ ظهور المدينة الصناعية إلى غاية الوقت الحالي في مراحل والتي أشار إليها سابلي(sablet,1988) كالآتي:

II -7-1 الجيل الأول :

يعبـــر عـــن المـــرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية وما خلفته من أثار تدميرية على المبانـــي والفضاءات المشكلة بها، فكان الهدف العام للجهات المعنية هو البناء والإسكان، ولقد

صـــاحب ذلك سياسة بسيطة مالت إلى الإخفاق والإهمال للفضاءات الخارجية، فانعكس ذلك في ضـــعف وبســـاطة الأفكار التي كشفتها تهييئات وتصاميم عديدة، أما الساحات فبدت بسيطة، إذ تظهـــر فـــي فراغات غالبا ما تحتلها السيارات، أما تهيئتها فتتلخص في غرس بعض السلاسل الشـــجرية بالإضافة إلى تأثيث عمراني موزع بعفوية، وهو الأمر الذي جعل الحركة فيها تبدو غيـــر مـــنظمة أو مـــوجهة، كل تلك الجوانب أفرزت ساحات أقل دلالة فنية وتفتقر إلى الروح الجمالية.

II -7-2 الجيل الثاني(مرحلة بداية التهيئة):

عرفت هذه الفترة تطبيقات جديدة للمدينة وفضاءاتها، حيث ظهر ما يعرف بالتنطيق، وهو تقســـيم المديـــنة إلـــى مناطق أو قطاعات قصد تيسير التحكم فيها، ويدير ذلك قوانين ومعايير مضـــبوطة، إلا أنـــه ســـجل عدم جذوة تلك القوانين والمعايير وخاصة على مستوى الساحات المدمجـــة مـــع التجهيـــزات والمشاريع الكبرى كنوادي الشباب، ديار الثقافة، قاعات الرياضة والمســـاحات الخضراء، بالإضافة إلى ذلك ظلت عملية التنطيق بارزة بقوة على مستوى النسج القديمـــة أين عملت على تحطيم البنية الحضرية وتفكيك الروابط الاجتماعية، أيضا عرفت هذه الفتـــرة تطبيق لمقررات ميثاق أثينا، الذي كان اهتمامه الأول هو تحقيق أربعة عاصر للإنسان في المدينة هي: السكن، العمل، النقل والاستجمام، إلا أنه سجل غياب اهتمام واضح بالفضاءات العامة والساحات على الخصوص.

II -7-3 الجيل الثالث :

ظهر وعي كبير لدى المعماريين والعمرانيين بأهمية الفضاءات العامة وعلاقتها بالمباني، وظهـــر ذلك من خلال تفسيرهم للصور والمظاهر التي تعرضها المدينة، وكذا استعمالهم أشكالا بســـيطة وأقـــل صـــلابة ومـــع التلاعب بالألوان والرسومات والواجهات ومعمار المباني، أما الفضـــاءات العامة فقد عرفت تزيينا وتصميما أفضل، وتجلى ذلك في استعمال مواد بناء جديدة لأرضـــياتها، وتنمـــيقها برسومات فنية، كما تم تهيئتها بأشجار تتوزع بطرق منظمة ومدروسة، بيـــنما تم تأثيثها بالمقاعد والحاويات وغيرها...، بالإضافة إلى كل ذلك فلقد تمت إعادة دراسة أبعـــاد الفضاءات العامة والساحات حيث أصبحت أقل أبعادا وأكثر انتشارا، وذلك لعدة عوامل نذكر منها ما يلي:

- ظهور سياسات عقارية تدعو إلى ترشيد وعقلنة استعمال فضاءات المدينة.

اختلاف أهمية العقار وذلك حسب مكانته داخل المدينة.

إمكانيات التحكم في التسيير والتصميم للفضاءات.

إتساع المدن وظهور أحياء وتجمعات جديدة.

إن الاهتمام بهذه الفضاءات يبحث في إيجاد وفرض ذاتيتها ونفسها في المدينة، وذلك بخلق فضاءات مرغوبة وحيوية، إلا أنه ورغم ذلك رافق الساحات سلبيات في إعدادها من قبيل:

عمليات تهيئة هذه الفضاءات بقيت ضعيفة لنقص الغطاء المالي لها.

- بقاء معالجة هذه الفضاءات كمساحة حرة في المدينة.

تطويرها كان ضعيفا لأنها مرآة لمخططات فنية تجسد الجمال ولا تهتم بالعمق والوظيفة.

عموما وخلال هذه الفترة ظلت الساحات والفضاءات العامة تعبر عن تصاميم شكلية تعكس ضعفا في الوظيفة المنوطة بها، وكذا في علاقتها مع المباني، وهو ما جعلها تبرز كسلبيات عملية التعمير في المدينة.

II -7-4 الجيل الرابع :

عرفت هذه الفترة تكاثف جهود اختصاصات عديدة تهدف لتحسين وترقية واقع المدينة، كما أصبحت الوظيفة الدافع الرئيسي والقوي لتهيئة وتصميم المجالات، فظهرت عمليات ودراسات دقيقة ومتعددة الجوانب، دعمتها أدوات ووسائل تحليلية للمجال، كما أن عمليات تشخيص أمراض ومشاكل الفضاءات من طرف علماء الاجتماع مكن من وضع تحاليل ميدانية واجتماعية أفضل وقدم وعيا ومعرفة أوسع لردود أفعال مستعمليها، بالإضافة إلى ذلك فالتدخلات الفنية صارت أكثر اتساعا واستعمالا، وكل تلك الجوانب بشرت باستعمالات ودلالات جديدة للفضاءات العامة والساحات .

إن تطور الفضاءات العامة كان نتيجة لإدراك العلاقات المتبادلة بين المباني ومجالاتها من جهة، ومن جهة ثانية إدراجها ضمن تنظيم المحيط الحضري، فأصبحت الفضاءات العامة أكثر تحسسا من طرف المستعمل، ويتجلى ذلك من خلال تدخلات ميدانية تمثلت في تهيئة أماكن التوقف والممرات، أماكن الجلوس واللعب...

II -5-7 الجيل الخامس(الشكل الحضري):

سجل في هذه الفترة الاهتمام الأوسع بالفضاءات العامة كعنصر رئيسي في التهيئات الحضرية، حيث صارت تخضع لدراسات مسبقة بغية الوصول إلى تصاميم أكثر تجاوبا وتوافقا مع رغبات السكان وطموحاتهم، أما الشكل الجديد للفضاءات العامة فأصبح يعبر عن تصاميم تعرض دلالات ورموز أوسع، وهو ما أكسبها فعالية أكبر في النسج الحضرية، كما أن استعمال الإضاءة وبتعابير جميلة جعلها أكثر حيوية واستعمالا لساعات أطول من اليوم، أما إنجاز الساحات فأصبح يضع أرباب العمل أكثر من مجسد للتصميم، بل عضوا فعالا وشريكا في تخطيطها، ليظهر بذلك أن التطور الذي عرفته هذه الفضاءات ينطلق من عاملين أساسيين في تلبية احتياجات وطموحات المستقبل ويتمثلان في :

إيجاد توازن بين السكان والمدينة.

- الوعي بسلوكات الأفراد والجماعات حسب التركيب والموضع الفيزيائي للفضاءات.

الصورة08: ساحة السلطات الثلاثة برازيليا **المصدر**:Encarta 2003.

خلاصـــــــــــــــــــــــة:

تبرز كل حقبة من تاريخ المدينة خصوصيات واختراعات خاصة بها، وتعبيرا عن الأفكار والحساسيات الموجودة حينها، والساحة كأحد أشكال الفضاءات العمرانية بها لم تسلم من التغيرات والتطورات التاريخية، هذا المكان والذي هو فضاء للتعايش ومختلف المبادلات السياسية الثقافية، التجارية والاجتماعية...، ارتبط بأنشطة مختلفة من الحياة العامة للمدينة، كما أدى وظائف متنوعة وظهر في أشكال مختلفة عبر الزمن كالآقورة Agora، الفوروم Forum

فـــي العصـــور اللاتينـــية، الرحبة في القرون الوسطى، ساحة السوق في العصور الكلاسيكية، الســـاحة الملكـــية في العصر الباروك، ساحة الحرية في عصر النهضة...، كما عرف إحداث تهييئات جديدة وتخصيص لمجالاته في الوقت المعاصر.

وعموما يمكن إيجاز تطورات هذا الفضاء في اتجاهين متعاكسين :

الاتجـــاه الأول : ويعبـــر عـــن تطور في شكل ومظهر الساحة، إذ عرفت هذه الأخيرة تغيرات انطلاقـــا مـــن ظهورها كفراغ غير مخطط موجه لاستعماله كسوق أو مكان للتجمع، كما أنه لم يحمـــل شـــكلا واضحا في معظم الحالات، ثم تحول بعدها إلى فضاء أكثر تنظيما تابع للمباني الهامـــة كالكنيســـة، مبنى البلدية، الفندق والمسجد ...حيث يعمل على إبراز تفاصيله المعمارية والعمـــرانية وآداء وظائف تتعلق بتلك المباني، ليصبح بعد ذلك فضاء حرا يهتم بالتهيئة وإدماج للمساحات الخضراء.

ولعـــل مخـــتلف التطورات الشكلية والمظهرية التي عرفتها الساحات هي نتيجة تطور في الأفكار المختلفة لتنظيم المدينة ونشأتها.

الاتجـــاه الثانـــي : ويعبر عن التطور والتغير في الوظائف التي أدتها الساحات، فبعد أن كانت تشـــكل فضـــاء للحـــياة العامـــة أدى وظائف مختلفة السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والـــتجارية...تراجع ذلك في الكثير من الساحات الحالية كما عرف أداء وظائف جديدة كتنظيم الحركة وغير ذلك، ولقد أرجع هذا التغير إلى بروز منشآت جديدة منافسة للساحات كالمركبات الرياضـــية ودور الـــثقافة ومراكـــز الاســـتجمام...، مما أثر سلبا على هذه الأماكن وغير في مفهومها، وهذا في عصر عرف بالسرعة والتطور التكنولوجي والعمراني والمعماري للمدينة.

وبناء على ذلك يمكن القول أن قيمة ونوعية الساحات فإن حاجة المدينة تبقى قائمة مادامت هذه الأمـــاكن قـــادرة علـــى احتواء وظائف عديدة وأداء أدوار مختلفة وبالإضافة إلى كونها مكانا للعلاقـــات الاجتماعية والتظاهرات العفوية والنشاطات الحرة والإعلانات وغيرها من النشاطات التي تعبر عن روح الحياة الحضرية داخل المدينة.

محتويـــــــــات الفصـــــــل

تمهيـــد:

I - الوظائف ا لتي توفرها الساحة

I -1 الطموحات الحسية والنفسية

I -1-1 البهجة،السرور والنزهة الحضرية

I -1-2 الرغبـــة الحضرية

I -1-3 الإحساس بالمفاجأة

I -1-4 سحر الإنسان

I -2 طموحات في العلاقات الاجتماعية

I -2-1 الالتقاء والاتصال بين الأفراد

I -2-2 التعليم والتربية

I -2-3 الثقافة والتظاهر

I -2-4 التعبير والمطالبة بالحقوق

I - 3 الأنشطة والمبادلات التجارية الاقتصادية

I -4 طموحات في التنقل والنقل

II - المتدخلين في إعداد الساحات

II -1 العمرانيون

II -2 المعماريون

II -3 علماء الطبيعة (المنظريون)

II -4 الجغرافيون وعلماء الاجتماع

II -5 الفنانون و الحرفيون

II -6 المسير والسياسي

III - استخدامات الساحة في المدينة

III -1 الاستعمال المباشر

III -2 الاستعمال غير المباشر

III -3الاستعمالات الجماعية للساحات

III -4 الاستعمال الفردية

IV - الاحتياجات في الساحة حسب الشرائح الاجتماعية

IV -1 فئة الأطفال الصغار

IV -2 المراهقون

IV -3 الرجال والشباب

IV -4 النساء

IV -5 كبار السن والشيوخ

IV -6 العجزة والمعوقون

IV -7 الأجانب

الخلاصـــــــــــة

تمهيـــد:

تتوفـــر الســـاحات علـــى طاقات تسمح لها بأداء وظائف مختلفة تسعى من خلالها بتلبية مجموعة من الرغبات المتنوعة لمستعمليها، سنعرض خلال هذا الفصل مختلف أدوار للساحات حســـب احتياجات الجماعات والأفراد، بالإضافة إلى ذلك سنتطرق لمختلف المتدخلين في إعداد هذه الأماكن لما لهم من أهمية وأثر في تقديمها بما يتماشى مع طموحات المستعمل.

I - وظائف الساحة :

الســـاحة عنصـــر فضـــائي يـــؤدي مجمـــوعة مـــــن الوظائف المـــختلفة، تعمل على إبـــــراز أهميـــتها الاجتماعـــية والمجالـــية، نوجـــزها وكمـــا أشـــار إلـــيها ســـابلي (Sablet,1988,p76) فيما يلي:

I -1 الطموحات الحسية والنفسية:

مـــن بين وظائف الساحات إشباع الاحتياجات الحسية والنفسية لمستعمليها، في هذا الصدد أشـــار ســـابلي إلـــى أن السبب الذي يدفع الفرد بالاتجاه أو التواجد في فضاء معين يعود إلى الأحاسيس والانفعالات التي يشعر بها اتجاهه، فالمستعمل يفضل أماكن عن أخرى، ولقد صرح ســـابلي أن أحاسيس وانفعالات المستعمل تتأثر بالفضاء المتواجد فيه، وأطلق على هذا السلوك الإنساني اسم الحساسية الديناميكية (dynamique–Sensibilité)، بينما أشار لاختلاف الأحاسيس مـــن شـــخص إلى أخر نتيجة الضغط الذي يبديه الفضاء على الشخص المتزن < التنزه المتزن للأحاسيس > (déambulation statique des sensations).(Sablet,1988,p76)

والســـاحة فضـــاء قـــدر لـــه أن يعـــرض قيم جمالية مقبولة للمستعمل، فتعمل بذلك على اســـتقطابه، كمـــا يمكـــن لها أن تكون مقززة ومبعدة لـــه وهذا لعدة أسباب منها: ضعف القيمة الجمالية أو التهيئة أو إشكالية التوقف بها أو لتكلفة الخدمات عليها وغلاء المبيعات...

إن إشـــباع الاحتياجات النفسية والحسية للأفراد لحظة تواجدهم بالساحة يعبر عن العلاقة بـــين الجـــوانب الفيـــزيائية للفضـــاء من جهة، وبين سلوكات الفرد من جهة ثانية, كما أن هذه الاحتياجات تظهر في مجموعة من الجوانب أشار اليها سابلي(Sablet) فيما يلي:

I -1-1 البهجة،السرور والنزهة الحضرية:

يــبحث الإنسان دائما عن السعادة والسرور، لمحو تلك الأحاسيس السيئة عنده من الإحباط والملــل والــيأس والتكــرار(الــروتين) وخاصة بتواجده ضمن ثنائية (العمل،المنزل) وكذلك لملاحظته نفس المشاهد، وهذا ما يخلق الأمراض النفسية عنده.

يمكن للأفراد الشعور بالراحة انطلاقا من توفر عدة جوانب، من ذلك عدم تعرضه للإزعاج من طرف السيارات، وأيضا سهولة حركتهم في ظل غياب العوائق الفيزيائية كعدم استواء الأرضية، كما يمكنهم الشعور بالراحة نتيجة توفر الأمن، وكذا وجود الأشياء التي يحبونها كوجود الأفراد الذين يحبونهم وغياب الذين يكرهونهم كاللصوص، المتشردين والمجانين...، لقد صرح سابلي بأن الراحة تعبر عن التآلف الثقافي بين الأفراد، كما أن رغبتهم في الساحات هي من رضائهم بالأحداث المقبولة فيها من توفر الهدوء والموسيقى وأيضا من تحسسهم الأشياء كالبرد والحرارة والريح...

I -1-2 الرغبــة الحضرية :

وتعبــر عــن الرضى بما يبصره الإنسان أو قد يحسه ضمن المجال المتواجد فيه، ويمكن الوصول إلى ذلك من خلال الرغبة الجمالية والرغبة الطبيعية.

الرغبة الجمالية :

تعبــر عن سلوكات الأفراد وأحاسيسهم نحو الفضاء، إذ يظهر ذلك من خلال العلاقة بينهم وحجــم الفضــاء، فأبعــاد الساحة مثلا يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الرؤية والإبصار الشامل للصــورة التي يحملها المستعمل من خلالها والتي تمكنه من التمتع بجمالها، إلا أن الإفراط في أبعادها يخلق الملل في الحركة، في هذا المنظور أشار سابلي عن بوفيل (Bofill) إلى أن :

"...كبــر الســاحة يشــعر المســتعمل بأنه ضائع وسطها، وبأنه معزول عن المباني بواسطة الســيارات والطــرق، فــيجد الشخص صعوبة في اختيار مكان جلوسه، ويصبح لا يحمل أي منظور للحرية...لذلك الرغبة في الفضاء لا تحمل الرغبة في الفراغ... "(Sablet,1988,p49).

أما الساحة الصغيرة فهي المفضلة عند الكثيرين وهذا لأنها تشعر الفرد بخصوصية المكان وكأنه ملك خاص إذ أن "مفهوم الفضاء يعرف بالعلاقة مع القدرة على الحراك الشخصي، وهو

بالمساواة يرتبط عند الكثير من الأفراد بالتنافس والاستخدامات الفيزيائية..."
(Galibourg et autres,2001,p66)

*** الرغبة الطبيعية :**

يبحث الإنسان عن إشباع احتياجاته النفسية انطلاقا من وجود عناصر طبيعية كالمياه والنباتات وما توفره من الظل والهواء المنعش، وهو الأمر الذي يمكن من التمتع بالأذواق المختلفة، لذلك فإن الرغبة في الطبيعة هي تلبية لاحتياجات ثابتة وربما قد تكون متغيرة مع الزمن كأن تكون حسب الفصول وما يترتب عنه من تغير في المظهر الطبيعي.

I -1-3 الإحساس بالمفاجأة :

تظهر المخططات العمرانية الحالية غالبا منتظمة وبأبعاد وقياسات ثابتة، حيث نجد الواجهات المتشابهة والشوارع المخططة...وهو ما يجعل الحي المعاصر جاف بالنظر للمجموعات الحضرية القديمة، والتي تخلق نوعا من المفاجأة خلال التوغل بها، ويأتي ذلك من الأشكال والألوان والأبعاد وغيرها من المكونات الفيزيائية غير المتوقعة، لذلك يعد غياب التخطيط والتنظيم سببا في عدم توقع الإنسان بما يمكن أن يراه فيما بعد، وهو ما يشكل الإحساس بالمفاجأة عنده.

يشعر الإنسان بالملل نتيجة تكرار رؤيته لنفس الصور والمظاهر، لذا فتفاجئه بمظاهر وصور جديدة من المدينة قد يزيد من سعادته وسروره، من ذلك فالإنسان يحس بشعور غريب عند بداية اكتشافه للساحة، وهذا لما تعرضه من تصميم وألوان وأشكال ومكونات غير مألوفة في تركيبات معمارية وعمرانية أخرى، وكذلك من خلال التظاهرات والمناسبات والأحداث غير المتوقعة، في هذا الصدد صرح سابلي أن الإحساس بالمفاجأة يغري الإنسان ويخلق الحيوية والنشاط عنده، كما يكسبه نظرة شاملة وجميلة عن المكان.

I -1-4 سحر الإنسان :

يكتسح زائر الساحة شعورا بالاهتزاز والسعادة العميقة نتيجة لذلك المظهر الفني الرائع والجميل، والذي تعكسه الأعمال المعمارية والعمرانية والفنية ذات الأشكال المتناغمة والألوان الرائعة والمواد المستعملة البراقة وكذا لوجود العناصر الطبيعية.

فـــي الواقع الجمال هو شيء يمكن إدراكه لكن يصعب صياغته في قوانين واضحة، وهو يعبـــر عـــن العلاقـــة بين المستعمل وثقافته وماضيه الشخصي وتاريخه، بالرغم من ذلك يبقى الجمال أمرا ضروريا في حياة الإنسان وكذا في تقييم نجاح بعض أعماله.

I -2 طموحات في العلاقات الاجتماعية :

إن العلاقـــات الاجتماعـــية التي تحدث في الأماكن المبنية (أماكن العمل، المنازل، قاعات الرياضـــة، الورشـــات، قاعات الاجتماعات والمحاضرات، المقاهي ...) تتسم بأنها أقل تحررا وعـــادة تخضـــع لقوانـــين وضـــوابط تفرضها هذه الأماكن، في حين العلاقات التي تجري في الســـاحات تكـــون بشكل أكثر تحررا من القرابة المكانية، فالإنسان يستعملها بكل حرية وفي أي وقـــت، ويـــدعم ذلـــك قـــوة المكان وبساطة قراءته، وهو ما يشكل القانون العام لاستعمال هذه الفضـــاءات، كمـــا يسمح بتكوين العلاقات الاجتماعية الحقيقية والمرنة التي تقوم على الجوانب التالية:

I -2-1 الالتقاء والاتصال بين الأفراد :

إن الســـير والتفســـح والملاحظة والتنقل حركات يمارسها الأفراد بكل حرية ضمن مجال الســـاحة، فـــيمكن ذلك من الاتصال والالتقاء غير المتوقع بينهم، وهذا ما يجعل الساحات فضاء اجتماعيا.

I -2-2 التعليم والتربية:

تعد الساحة فضاء لاكتساب المعارف والتعليم وتوجيه السلوك وتهذيب الطبائع, ويأتي ذلك مـــن خـــلال اللوحات الاشهارية والمحلات التجارية والإعلانات والنصب التذكارية التي تحمل دلالات تعبـــر عـــن تاريخ المدينة أو شخصيات تاريخية أو تظاهرة عاشتها المدينة، وكذلك من خلال الاحتكاك بين الأفراد والجماعات، كل تلك الجوانب تساهم في اكتساب الأفراد معارفا عن الساحة والمدينة بشكل أعم.

I -2-3 الثقافة والتظاهر:

إن المـــيدان الواســـع والمركـــز الإستراتيجي في المدينة ونتيجة لاحتلال المركز والقلب النابض جعل من الساحات مكانا للاستعراضات والتظاهرات المنظمة أو غير المنظمة والأعياد والمناسبات ومختلف الحركات التي تستدعي وجود أماكن مفتوحة للجميع وبشكل مجاني.

I -2-4 التعبير والمطالبة بالحقوق:

الساحة أيضا هي مكان للتظاهرات الاجتماعية كالإضرابات المطالبة بالحقوق، التجمعات المساندة أو التي تدعم قضايا اجتماعية أو شخصيات بارزة، كما يمكن التعبير فيها عن الأفكار الشخصية بالفن والحركة والكلام والرقص...،لذلك فمن خلال هذه الطموحات يمكن وضع معارف وبعض الآليات الوظيفية للحياة على الساحة.

I - 3 الأنشطة والمبادلات التجارية الاقتصادية:

إن تواجد بعض الحرف والمهن مازال يخلق حيوية في الساحات، كما كان سببا لوجود بعضها الآخر، وهذا ما ساهم في استعمالها لمدة طويلة من اليوم ولسنوات عديدة من التاريخ، كما عبرت أيضا هذه المهن والحرف عن المعاملات البسيطة المباشرة والمحافظة على تقاليد وعادات المجتمعات، فساهمت في جذب السكان بشكل كبير إليها وكونت لديه ثقافة عن عاداته وتقاليده، وكذا مهن وحرف مجتمعه أو مجتمعات سابقة، لكن اليوم تعرف هذه المهن والحرف التقليدية تقهقرا وتراجعا من الساحة، وهو ما أدى إلى انخفاض في العلاقات المباشرة بين الأنشطة الداخلية والحياة الحضرية عليها، وهو ما انعكس سلبا على حيوية هذه الأماكن واستعمالاتها، رغم هذا لا تزال بعض الساحات القليلة تحافظ على ذلك النشاط وهذا من خلال المحلات التجارية الموجودة بالقرب منها والموجهة لأداء خدمات متنوعة.

I -4 طموحات في التنقل والنقل :

يعد التنقل الاحتياج الأول الذي تسعى لتحقيقه الفضاءات العامة، فنجد أن الشارع هو الوسيلة الأولى التي تسعى وراء هذه الغاية، أما الساحة فتساهم في هذا كونها العنصر الذي يمكنه التواجد في وضعيات تمكن من الربط بين المباني المحيطة بها، وعلى نطاق آخر تشكل الساحة عنصرا أساسيا ضمن مخطط النقل والحركة في المدينة، إضافة إلى ذلك استخدمت كمحطة للنقل الجماعي أو ضمت محطة للقطار أو المترو في الجزء السفلي منها.

لقد أصبحت الساحات في التهيئات الحديثة تستجيب لرغبات وطموحات مختلف المستعملين، يظهر ذلك على تهيئتها التي تبدي استمرارية في الممرات وتنوعها وهذا بوجود ممرات للراجلين والمعوقين وراكبي الدراجات الخفيفة وكبار السن والأطفال، كما أنها تسمح باستعمال السيارات في أجزاء أخرى منها، كل ذلك لإرضاء رغبات المستعمل، مما يقضي

لضرورة وجود الساحات بالقرب من السكنات وذلك لتمكين مراقبة الأطفال من جهة، ومن جهة ثانية مرغوب في إبعادها عن السكنات حتى تتمكن من توفير الهدوء.

نتيجة:

لعـــل تحقـــيق تلك الوظائف والقدرات التي تتوفر عليها الساحة كفضاء عام يحيي المدينة ويحركها، كما يتطلب تدخل المختصين.

II - المتدخلين في إعداد الساحات:

تـــبدي الســـاحة تعقـــيدا فـــي العلاقة الكائنة بين التصميم ودلالاته من جهة، وبين عملها وتطبيقاتها من جهة ثانية، وهو ما خلق صعوبات في إعدادها وتهيئتها وكذا الوصول إلى نماذج مقـــبولة وفعالة تعكس توافقا بين التصميم وطموحات المستعمل، لذلك تطلب الأمر تظافر جهود فـــريق مـــن المختصـــين يســـاهم فيه كل واحد في ميدانه وحسب مجال معرفته وتجاربه،لذلك فالإشارة إلى أهم المتدخلين في إعداد الساحات أمر أساسي لكشف مدى عملهم في الوصول إلى ساحات أكثرّ وظيفية، ولقد ذكرهم سابلي (Sablet,1988) في التخصصات التالية :

II -1 العمرانيون:

العمرانـــي هو المتدخل الذي يملك نظرة شاملة وإستنتاجية عن المدينة ومركباتها، كما أنه أساسي ومهم في إبراز مختلف التطبيقات الواقعية والموازية لرغبات وطموحات الأفراد، ويبرز عملـــه بالطـــرق القانونية والتصميمية، أما على مستوى الساحات فيكمن دوره في تقديم أسباب إخفاقهـــا، كمـــا يحـــاول إيجاد حلول ميدانية لها، ومن جانب آخر يعمل على تصميمات عالية المســـتوى مـــنها في التوسعات الجديدة، والساحة بالنسبة إليه جزء لا يتجزأ عن محيطها،وهو الأمر الذي يأخذه بالاعتبار في إعداده لها، وانطلاقا من هذا يمكن القول أن العمراني قادر على تقديم نماذج فعالة من الساحات العامة.(Sablet,1988)

II -2 المعماريون :

إن الاهـــتمام الكبير للمعماريين هو الجانب المعماري والوظيفي للمباني، وكذلك الجوانب الداخلـــية والخارجـــية لها، كما أن عملهم وتحدياتهم تبلغ إلى درجة الاهتمام بالتوسعات والمدن الجديـــدة، حـــيث يعملون على إظهار التفاصيل المعمارية للمباني المحيطة بالساحة، والتي من

خلال هذه الأخيرة يتم اكتشاف وملاحظة تلك التفاصيل أيضا، فيتم الحكم على الإخفاق الفني أو عدمه بالنسبة للمباني وتصميمها.(Sablet,1988)

إن عمل الإبداع في الأحجام والتصميمات ومختلف الجماليات هو مجال تخصص المعماري، فهو يساهم في خلق الساحات العالية النوعية والراقية، وهذا من خلال التناغم في الأشكال والألوان والدلالات والرموز التي قد تحمل تعبيرا عن ماضي وحاضر ومستقبل المدينة، كما أن دور المعماري في تصميم الساحة ينطلق من إدراكه لها بأنها فراغ تابع للمباني الهامة المحيطة بها وكذا من وعيه بالعلاقة الكائنة بينهما.(Sablet,1988)

II -3 علماء الطبيعة (المنظريون) :

المنظريون هم المتدخل الذي يهتم بالجانب الحيوي للساحة والمتمثل في إدراج العناصر الطبيعية في تصميمها وتهيئتها، وهذا للأثر الهام الذي يتركه استعمال النباتات والأشجار والمياه وغيرها من العناصر الطبيعية على أحاسيس المشاهد والحياة الحضرية، لذلك فإدراجهم وبالرغم من بساطة دورهم أمر ضروري في إعداد الساحات، إذ يعملون على إحداث التناغم بين العناصر الطبيعية والمواد المصممة، محاولة منهم لخلق جاذبية في المكان، وهو الأمر الذي برره ما بلغت إليه بعض الساحات من المكانة المرموقة نتيجة الاهتمام بهذا الجانب، ونلمس هذا خاصة في الساحات السكنية البريطانية والمسماة ب "سكوار"، أين نجد تخصيص مساحة كبيرة للنباتات ومختلف العناصر الطبيعية حتى أصبحت تبدو كحدائق عامة.(Sablet,1988)

II -4 الجغرافيون وعلماء الاجتماع :

ويعدون في مواجهة لحقيقة المدينة ومركباتها، لهذا يجب أن تكون دراساتهم واسعة وإنجازاتهم أكثر دقة أملا في ميلاد حياة مدنية تلبي رغبات سكانها، أما نظرتهم للساحات فيتعدى الفراغ إلى مكان لتبادل الأفكار وكذا للالتقاء والاتصال، أيضا هي مكان لتنشيط الذاكرة والتعبير عن الحقوق وكذا للتعرف على بعض سلوكات الأفراد، لذلك تعبر ملاحظاتهم عن جوهر هذه الأماكن والجانب الحيوي فيها، أما عملهم فهو من خلال تقديمهم لوضعيات مختلفة ودقيقة عن المستعمل ومجال تواجده، بالإضافة إلى شرحهم لمختلف تصرفاته داخل هذه الفضاءات، كل ذلك جعل عملهم أكثر مسوؤلية ووعيا بالفضاءات العامة، إلا أنه ورغم ذلك بقي تدخلهم في إعداد الساحات أمرا محدودا وضعيفا، أما فيما يخص المفاهيم والنتائج التي

يقدمـــونها فتبقـــى صعبة التعميم لأنها تتعلق بلحظات زمنية غير ثابتة، وهو الأمر الذي يجعل تدخلاتهم ثانوية وأقل أهمية مقارنة بالمختصين الآخرين أمثال العمرانيين والمعماريين...

II -5 الفنانين و الحرفيين :

يملـــك الفـــنانون والحرفيون إبداعات متميزة وتصورات جمالية ورائعة، والتي يبدعونها انطلاقـــا من وعيهم بدور الجمال على تعديل الحياة الحضرية، ويكمن سر عملهم في الرفع من قـــيمة الجمـــال علـــى مخططـــات المدينة وواقعها، وهذا من خلال أعمالهم الفنية الرائعة ذات الـــدلالات الرمـــزية، التي تجسد على واجهات المباني أو على التشكيلات المنفردة من النحوت والتماثيل والرسومات المعبرة وكذا من استعمال الألوان المختلفة...

إن انتشار الأعمال الفنية في الساحات يزيد من أهميتها ويبعد الملل والضجر عن زوارها، وهـــو ما يجعلها فضاء أكثرحيوية وإمتاعا للمشاهدين بالجمال والفنون وتناغم الألوان والصور، إضافة إلى أنها تنمي الدوق وترفع من المعارف الإنسانية، كما أنها تعمل على إثرائها وهذا من خلال الاتصال بين الفن في مدلولاته والساحة في تصميمها.

II -6 المسير والسياسي :

للسياسي دور كبير في إعداد الساحات، فبالرغم من كونه لا يشارك مباشرة في تصميمها إلا أنـــه يقـــدم موافقـــته أو معارضته لهذه التصميمات، كما يمكنه تقديم اقتراحاته حول بعض الأمـــور التصـــميمية أو الخاصـــة بتهيئتها من ذلك وضع تمثال معين أو رمز معين بها وكذا الإشـــارة إلـــى موقعها ومساحتها العقارية...، ورأي السياسي قد يكون حول الساحات نفسها أو حـــول مشاريع أو مخططات أكبر تحتويها مثل مخطط شغل الأراضـــي (P.O.S) **أو** التجزيئات التـــرابية أو غيـــرها من طرق التعمير، أيضا يمكن تدخل السياسي من خلال القوانين التنظيمية التي تعد نقطة فاصلة في عمل وسير مشروع إنجاز الساحة انطلاقا من الفكرة إلى غاية التنفيذ، كمـــا يمكـــن أن يتعدى عمله إلى أمور خاصة بأداء الساحات وظائفها المنوطة بها بأحسن وجه كإقـــرار الأمن بها والإسهام في وضع الأمور التنظيمية مثل أحقية التوقف للعربات على أجزاء مـــنها، خلاصة الأمر الساحات تعبر عن أماكن أو ميادين عمومية يرجع فيها التسيير ومختلف عمليات الصيانة والمحافظة عليها في الكثير من الحالات إلى قرارات المسير.

III - استخدامات الساحة في المدينة :

الساحة فضاء عام مفتوح للجميع وموجه للاستعمالات المختلفة في المدينة، ويظهر استخداماتها بأشكال مختلفة وبدرجات متنوعة، إذ يتحكم في ذلك مجموعة من العناصر التي نوجزها فيما يلي:

نمطية وتهيئة الساحة الذي يحدد ويخصص طرق استعمالها.

استعمال الساحة الذي قد يعود إلى أهداف وضعها مصمموها.

استعمالاتها هي نتيجة لسلوكات وطموحات الأفراد والجماعات.

إن سيطرة استعمالات معينة على مجال الساحة يمكن أن يعطي تخصصا لها، في حين يمكن أن تتواجد قوانين تنظيمية تدير هذا الاستعمال وربما تكون عفوية، وعموما نميز حالات عديدة ومختلفة لكيفية استعمال الساحات نشير إليها فيما يلي:

III -1 الاستعمال المباشر:

الساحة في هذه الحالة تمثل الغاية والهدف الأول في تطبيقات الأشخاص وممارستهم للحياة العامة، ويتأتى ذلك من خلال الوظائف التي يديرها الأشخاص عليها، من هذا المنظور تبدي الساحة استقلالية عن تطبيقات أخرى في المدينة، ولكي تصل إلى هذه الغاية لزم عليها استجابتها لاحتياجات زوارها من توفير الحيوية والتنوع في الخدمات، هذا النوع من الاستعمالات يظهر في الساحات التي تجري عليها الاستعراضات والاحتفالات المهمة وكذا الساحات المتميزة بتهيئتها الجميلة وتأثيثها الحضري. (Galibourg et autres,2001,p42)

III -2 الاستعمال غير المباشر:

الساحة لا تمثل في هذه الحالة الهدف الأول لمستعمليها، وإنما تمثل عنصرا ثانويا أو مكملا لاستعمالات أخرى في المدينة، مثل ذلك حركة المرور أين تعد الطرق والشوارع العنصر الأول المخصص لذلك بينما الساحة عنصر وسيط يعمل على تنظيمها وخاصة في أماكن التقاطعات الكثيفة، أما بالنسبة للساحات الواقعة وسط المباني الهامة فإنه يمر بها المستعمل قاصدا زيارة محيطها أو استعماله أو استكشاف مختلف تفاصيله الفنية والجمالية، بينما الساحات التي تحمل معلما في فضائها فهي تعمل على توجيه الحركة والتنقل في المدينة، كما

يمكـــن مـــن خلالها الاستدلال عن نقاط أو مبان منتشرة حولها وخاصة عندما تكون في أماكن معروفة عند الأغلبية.(Galibourg et autres,2001,p42)

III -3الاستعمالات الجماعية للساحات :

نعني به استعمال الساحة من طرف العامة وبشكل جماعي، وكذلك استعمالها من مجموعة الأشخاص المحددين موضوعيا، في هذه الحالة المستعمل لا يستفيد من حقوق احتلال مكان بها بشكل دائم، وهذا النوع من الاستعمال تديره وتحكمه ثلاثة مبادئ هي:

*** مبدأ حرية الاستعمال:**

يكفـــل هذا المبدأ للمستعمل التواجد بالساحة بكل حرية، لكن عليه احترام الأمور التنظيمية لها، فمثلا ساحة لتوزيع الحركة أو أعدت كمفترق للطرق تخضع المستعمل لقوانين تنظيم حركة المـــرور، رغـــم ذلك فالأمر لا يتعاكس مع مبدأ الحرية، كذلك هذا المبدأ يجعل الساحة مفتوحة أمام كل الفئات والشرائح الاجتماعية، إلا انه في الواقع العادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية قد تقـــف مانعـــا أمـــام ذلـــك، مـــن ذلك عدم استعمال النساء لهذه الأماكن وهذا تجنبا للاختلاط. (Galibourg et autres,2001,p42)

***المساواة في الاستعمال :**

يـــنص هذا المبدأ على أن الأمور التنظيمية والقوانين والإجراءات المحافظة على الساحة هـــي إلزامية على الجميع، وهذا للحفاظ عليها وعلى حيويتها، لذا فالجميع عليه الخضوع لنفس القوانـــين التنظيمـــية أو العقابـــية، من ذلك منع التوقفات غير الشرعية للسيارات أو اصطحاب الحـــيوانات إلـــى بعضها أو العمل على إتلاف عناصر مكونة لها وغيرها من الأمور الممنوعة والتـــي عـــادة يشـــار إلى تحريمها بوضع إشارات أو لافتات أو ربما تكون ممنوعة بالعرف. (Galibourg et autres,2001,p42)

*** مجانية التواجد أو الاستعمال :**

إن اســـتعمال فضـــاء الســـاحة في معظم الحالات هو مجاني، فالمستعمل يدفع ثمن بعض الخـــدمات علـــى هذا المجال كالخدمات التجارية (شراء المجلات، الأكل...) لكنه لا يدفع ثمن تواجده بالمكان أو استعماله له. (Galibourg et autres,2001,p42)

III -4 الاستعمالات الفردية :

يــتعلق الأمــر بمنح بعض الأفراد حق استعمال نسبة معينة من الساحة، وهذا بشكل دائم كبــناء أكشــاك أو مقاهــي وغيــرها أو بشكل مؤقت كحق التوقف على أجزاء منها أو توزيع الكراســي أو وضع رفوف أو طاولات تجارية عليها، في الواقع إن هذه الاستعمالات الفردية قد ترفع من حيوية هذا المكان ونشاطه، إضافة إلى إمكانية مساهمتها في تسييره وصيانته، إلا أنه علــى هذه الاستعمالات أخذ التصريح المسبق من الجهات المعنية، كما عليها أن لا تكون بشكل فوضوي. (Galibourg et autres,2001,p42)

نتيجة:

إن مخــتلف الاســتعمالات المقدمــة خلال هذا الجزء من الفصل تعبر عن أمور إدارية وتســييرية تأخذ الساحة كميدان عام، كما أنها تعد جوانب مهمة في السير الحسن لعملها، إلا أنه وفــي الواقع ليس من السهل بلورة كل تلك الاستعمالات في ساحة واحدة، وهذا لعدة أسباب من بينها اختلاف الشرائح الاجتماعية المستعملة للساحة وطموح كل منها ضمن هذا المجال.

IV - الاحتياجات في الساحة حسب الشرائح الاجتماعية :

الســاحة فضاء مفتوح للجميع، استعمالاتها تختلف حسب الشرائح الاجتماعية، وذلك يعود إلــى احتــياجات كل شريحة وتطورها الاجتماعي ونوعية حياتها الخاصة،ذكر سابلي(Sablet) استعمال وطموح كل شريحة من المجتمع فيما يلي:

IV -1 فئة الأطفال الصغار:

يعمــل الأطفــال خــلال هــذه الفترة من حياتهم على اكتشاف المحيط الخارجي (خارج المنزل)، وتعد الساحات أحد الأوساط التي توفر لهم الاحتكاك ببعضهم، كما تسمح لهم بممارسة الألعــاب المختلفة، فتمــكنهم بذلك من توسيع مــعارفهم العقــلية ونمــوها، وكذا التعرف على الحياة الخارجية، والأكثر من ذلك فوجود بعض المكونات كالنباتات والألواح والرمال والحجارة وغيــرها من المواد يسمح بتطوير الإدراك اللمسي للأشياء والإدراك البصري للألوان عندهم، بالإضــافة إلى ذلك فالساحة أيضا فضاء معرض لأشعة الشمس الضرورية للنمو الطبيعي لهذه الفــئة والــذي قد يحرمون منها بشكل كاف داخل المنازل وفي الشوارع الضيقة، وهذا خاصة بالنسبة للأحياء الفوضوية والكثيفة.(Sablet,1988)

إن التهيـــئة المثالية والحديثة للساحات تأخذ بعين الاعتبار في تصميمها مختلف الشرائح، أما بالنسبة للأطفال فيكون ذلك من خلال عدة جوانب من بينها:

توفيـــر الأمـــن عن طريق احتلال الساحات لمواقع تسمح برقابة الأولياء لهم من داخل المسكن على الخصوص.

توفيـــر الأمـــن والسلامة في التهيئة, يكون ذلك باستعمال مواد مرنة لا تشكل خطورة على الأطفال مثل الأحواض الرملية، الأحواض المائية المرتفعة نوعا ما وغير العميقة، وهذا مع تفادي الزوايا الناتئة الإسمنتية، بالإضافة إلى عزل وتخصيص أجزاء من الساحة لهذه الفئة وذلك لحمايتها من حركة العربات.

IV -2 المراهقون:

يـــبحث المراهقون على التحرر، وهذا من خلال السلوكات والتصرفات التي يعرضونها، كمـــا يسعون نحو إيجاد مكانة اجتماعية مرموقة لهم، في حين إن تواجدهم داخل الساحة يسجل بكثـــرة عـــند غيـــر المتمدرسين خاصة وفي أوقات العطل كذلك، إذ تمثل الساحة عند بعضهم المكـــان المناســـب للافـــتخار بالمـــواهب الشخصية، وكدا الفضاء الملائم للتعبير عن حرياتهم وطمـــوحاتهم، ففـــيها يتمـــتعون بـــركوب الدراجات الخفيفة والألواح المتزحلقة، كما يعزفون الموسيقى، يرقصون ويعرضون حرفهم البسيطة وأعمالهم الفنية، إلا أنه نسجل استعمال الساحة مـــن طرف مجموعات أخرى للتصرفات اللاأخلاقية من معاكسة النساء، عمليات السرقة وتعلم بعض الآفات الاجتماعية، بالرغم من ذلك فهي تبقى لهدف أعلى هو الالتقاء والمواعيد وغيرها.

IV -3 الرجال والشباب:

تظهـــر هذه الفئة أقل اهتماما بالساحة وهذا لارتباطهم بالعمل بشكل أوسع ولساعات أطول من النهار، أما في الساعات الأخرى فإنهم يرتاحون في المنزل أو يقصدون المقاهي...رغم هذا فهـــناك مجمـــوعة مـــن هذه الفئة تستعمل الساحة كمكان عمل، وهذا من خلال عرض سلعهم التجارية أو حرفهم المختلفة كالرسم وعزف الموسيقى والتصوير...كما يستعملها آخرون كجزء تابـــع لمهـــنهم الخاصـــة، وهـــذا ما نشاهده من نشر كراسي المقاهي عليها أو توزيع طاولات المطـــاعم أو بعـــض الســـلع وربما وضع الأكشاك في مجالها...بذلك يظهر استعمالها عرضيا وأكثر صدفة من خلال ممارسة الأنشطة المختلفة، بالرغم من ذلك تبقى الساحة جزء من ثقافتهم

وحـــياتهم والتـــي يتعايشون معها بأشكال مختلفة ومتنوعة في المناسبات والعطل وعند التجوال والرحلات.(Sablet,1988)

IV -4 النساء:

إن تـــواجد النســـاء فـــي الساحة يختلف حسب ثقافة وتقاليد المجتمعات، فهناك مجتمعات محافظـــة تقصـــي تـــواجدهن فيها،فـــي حين تقبل وجودهن داخل الساحات الصغيرة والخاصة بالـــتجمعات الصـــغيرة, كمـــا أنـــه هناك مجتمعات أخرى تتسم بالتحرر تعطي للمرأة الحرية والمســـاواة في استعمال مختلف مجالات المدينة، في هذا الصدد صرح سابلي أن النساء يفضلن الفضـــاءات الأكثـــر، تســـمح لهـــن بالاحـــتكاك ومرافقة أبنائهن، وكدا مراقبتهم والنقاش حول تصـــرفاتهم، كمـــا تعد الساحة بالنسبة لأخريات مكانا مناسبا للقراءة والكتابة وحياكة قمصان الأطفال وغير ذلك...(Sablet,1988)

IV -5 كبار السن والشيوخ:

تظهـــر هـــذه الفـــئة في حاجة أكبر إلى أماكن للالتقاء في الهواء الطلق، بحثا عن الهدوء والـــراحة والاستمتاع بالألعاب الفكرية المتنوعة مثل لعب الورق، الشطرنج أو ممارسة بعض الألعـــاب الشعبية، كما أن إقصاء هذه الفئة من الحياة العملية وكبرهم أو عجزهم يستدعي وجود أمـــاكن وفضـــاءات لهـــم داخل أو قرب أحيائهم، لذلك فهم يرغبون في تواجد الساحات داخل تجمعـــاتهم الصـــغرى لـــتكون قـــريبة أكثر منهم، وهو طموح يتقاسمونه مع الأطفال الصغار المرافقين لهم في بعض الأحيان إلى الساحات.(Sablet,1988)

IV -6 العجزة والمعوقون :

تتقاســـم هـــذه الفئة من المجتمع مع الشريحة السابقة الكثير من الطموحات، وهذا كونهم يجـــدون صـــعوبة فـــي الحـــركة والتنقل إلى نقاط بعيدة من المدينة وما يستلزم ذلك من قطع للطـــرقات والسلالم أو عبور المنحدرات, لهذا التهيئات الحديثة أصبحت تأخذهم بعين الاعتبار وهـــذا بتخصـــيص مساحات وممرات خاصة بهم وسهلة الوصول إليها، وكذا بتوزيع عدد كبير منها داخل الأحياء، صرح سابلي أن الساحة هي المكان المناسب لهذه الشريحة لمعايشة المجتمع وبالتالي تخفيف المعاناة النفسية عنهم.(Sablet,1988)

IV -7 الأجانب:

تعـد السـاحة مقصدا للزوار والأجانب عند زيارة المدن, حيث يبحثون فيها عن اكتشاف عادات وتقاليد مجتمعات المدن، ويرتبط وجود الأجانب بالساحة بوجهتين متعاكستين، فمن جهة على الأجانب احترام العادات والتقاليد والسلوكات الدينية والثقافية لمجتمع المدينة، وهذا من أجل الحفـاظ علـى العلاقات الاجتماعية، وحتى يتسنى لهم التمتع بحيثيات المكان والحركة بسهولة، ومـن جهة معاكسة على تهيئة هذه الساحات أن لا تبرز بقوة اختلافات مع "الديانة" إيديولوجية الأجانـب، وذلـك من خلال التماثيل أو الرموز أو اللوحات الاشهارية، من هذا المنطلق يرى سابلي أن إشراك الأجانب في تهيئة هذه الأماكن هو الطريقة المثلى لإدماجهم ضمن المجتمعات المستقبلة والتعايش معهم داخل هذا الفضاء، لكن يبقى هذا المسعى صعبا لتعدد واختلاف أفكار وثقافات الأجانب.(Sablet,1988)

الخلاصـــــــــة

نخلـص مـن هذا إلى أن للساحة أهمية كبيرة نظرا للوظائف والاستعمالات المختلفة لها، وهـو ما يجعل وجودها ضمن المدينة أمرا لا مفر منه، كما أن احتياجات الفئات المختلفة منها جعـل عمـل المتدخلين في إعدادها ليس بالأمر الهين نظرا لتنوع وظائفها وأشكالها في المدينة حيث تستجيب لفئات مختلفة تستعمل ساحة مشتركة.

إن تعـدد الوظائف واستعمالات الساحات دال على أنها فضاء عام لا يمكن الاستغناء عنه وإنمـا يجب بلورته حسب الطموحات المرجوة، وأن حسن التعامل مع الجانب الفضائي للساحة كفـيل لهـا للوصول إلى التطبيقات والاستعمالات المنتظرة منها, ويساهم في ذلك الجانب ثقافة المجتمع وتطوره الاجتماعي.

كما نشير إلى أن إستعمال الساحات وتواجد الأفراد بها يعبر عن تفكير تجاهها وكذا نتيجة الصـور التي يحملونها عنها، وهو الأمر الذي قد يتدخل في توجيه أحاسيسهم وبالتالي تواجدهم وتنقلهم بها ومن جهة أخرى قبولهم أو رفضهم له.

محتويـــــــــات الفصـــــــل

تمهيـــد:

I - القراءة المجالية والمظهرية

I -1 السماء

I -2 القاعدة

I -3 المسافة الفيزيائية والبصرية

I -4على مستوى الهيكلة الحضرية

I -5 من مستوى الشارع

I -6 على مستوى الموقع

II - مورفولوجية الساحات العامة

II -1 -1 القراءة غير المباشرة للساحات

II -1-2 القراءة المباشرة للساحات

II -2 موقع الساحة في المدينة

II -3 الأشكال المختلفة للساحات

II -4 أبعاد الساحـــــات

II -5 معالجة مركز الساحة

II -6 معالجة زوايا الساحة

II -7 مجموعة الساحات

II -8 العلاقة بين المباني والساحة

II -8 -1 الساحة والمباني تركيبة موحدة

II -8 -2 الساحة لا تشكل تركيبا موحدا مع البنايات

III - ترتيب الساحات في المدينة

IV - تصنيف الساحات في المدينة

IV - 1 الساحات حسب نشأتها

IV - 1 - 1- ساحات وجدت بعد البنايات

IV - 1 - 2- تصميم مسبق للساحات مع الشوارع قبل المباني

IV - 1 - 3- ساحات تشكل مع المباني نمط موحد ومتكامل

IV - 2 الساحات حسب الشكل والمظهر

IV - 3 حسب الوظيفة

IV - 3 - 1- ساحات الحركة

IV - 3 - 2- ساحات تؤدي وظيفة تجارية

IV - 3 - 3- ساحات المعالم

IV - 3 - 4- ساحات المتعة

IV - 3 - 5- ساحات الاستعراضات والتظاهرات

الخلاصـــــــــة

تمهيـــد:

تعتبـــر الساحات العامة أحد أشكال الفضاءات العامة وعنصرا من عناصر المدينة، وهي مكـــان يتعايش فيه الأفراد بأحاسيس متباينة لما تقدمه من فعالية وحيوية وحاجة وتطبيقات...، كمـــا يظهـــر أن الوظائـــف التي تؤديها هي مختلفة باختلافها، من أجل ذلك وقبل فهم التجارب البصرية والانفعالية لهذه الأماكن وجب فهم ومعرفة شاملة لكل خصوصياتها ومميزاتها، والتي نوجزها في ثلاث عناصر هي:

الساحة عنصر إنشائي ومهيكل في المدينة.

الساحة مكان للحياة الاجتماعية والحضرية.

- الساحة فضاء تحكمه قوانين تنظيمية.

في هذا الفصل ولتقديم صورة واضحة عن الساحة سعينا إلى تقديم المعارف المختلفة حول الجـــوانب المجالـــية والمظهرية لها، وهذا انطلاقا من تحاليل مجالية تبرز مختلف وضعياتها ومظاهرها وترتيبها وتصنيفها داخل المدينة.

I - القراءة المجالية والمظهرية :

إن القـــراءة المجالـــية والمظهـــرية للســـاحة تـــتم من خلال ملاحظات مكانية من طرف المختصين والمهندسين، كما أن هذه القراءة تعالج الساحة من منطلق حجم خارجي مفتوح على الهـــواء الطلـــق، ومركب من الفضاء نفسه ومن كل العناصر الطبيعية والمعمارية المكونة له، وتخلـــص هـــذه القراءة إلى تقديم تحاليل أكثر واقعية تكشف عن حقيقة المكان وشكله ومظهره، لهذا الغرض عمد مجموعة من المختصون(Galibourg et autres,2001,p54) إلى دراسة الساحة انطلاقا من ثلاث جوانب أساسية هي:

I -1 السماء (le ciel) :

يغطي هذا الأخير الساحة، فيحمل إليها الضوء، ويعطي تعبيرا عن الفصول والمناخ، كما يشـــكل بعـــدا رابعا لفضائها، ويتغير حسب حركة الشمس والرياح والأمطار ومختلف الظواهر المناخـــية، وهو الأمر الذي يجعله من العوامل المؤثرة في الساحة وأجزائها، إذ يمكن ذلك من خـــلال تحديـــد نوعـــية الألـــوان والمواد المستعملة والأغطية ومختلف مركبات هذا الفضاء. (Galibourg et autres,2001,p54)

I -2 القاعدة (le sol):

وتمـــثل أرضـــية الساحة وما تحمله من تهيئة على مستويات ثابتة أو متباينة، كما أنها قد تكـــون مشكلة من عناصر طبيعية أو اصطناعية أو كلاهما، وبالإضافة إلى المكونات الأخرى كالتأثيث، كما يمكن للأرضية أن تحمل رسومات مختلفة وبألوان متعددة.

(Galibourg et autres,2001,p26)

I -3 المسافة الفيزيائية والبصرية(le parcour):

تمتد من القاعدة إلى السماء، وتعبر عن جوانب الساحة وهذا من نقطة نظر تنطلق منها أو عـــن أجزاء من مكوناتها من وجهة نظر من يتجه نحوها، بذلك يتمكن الملاحظ من أخذ صور مخـــتلفة عـــن التفاصـــيل المعماريـــة وكـــذا عن مكوناتها نفسها كالأشجار والنصب والتماثيل وتراصف الأقواس(Galibourg et autres,2001,p26)

إن الجـــوانب الـــثلاث التـــي تـــم عرضها بإيجاز تعالج الساحة على أنها حجم مكون من الســـقف(الســـماء) والسطح (الأرضية) والجوانب (المحيط المبني)، وهو مدلول أعمق من كون الســـاحة تصـــميم مـــن بعـــدين، كما يصف ذلك المفهوم الساحة بأنها علبة مكونة من جوانب تجســـدها المبانـــي المحيطة وقاعدة تمثل الأرضية والسقف المجسد في السماء " ...الساحة هي علـــبة محـــددة بـــثلاث عناصـــر مكـــونة لهـــا:الأرضـــية، الجـــدران المحيطة والسقف..." (Bertrand,1984,p30)

وتعتبـــر هـــذه الجوانب غير كافية لتحديد مكانة الساحة وقيمتها، وهذا لأنها تأخذ وضعيات مـــتعددة داخل المدينة، كما أنها تبدي ترابطا مع عناصر فضائية وإنشائية أخرى، بالإضافة إلى أن وجـــودها يـــرتبط بتطبيقات وإنشاءات مختلفة، ليظهر بذلك أن شكلها هو نتيجة جزئية من شكل ومظهر المدينة"...الفضاءات العامة هي سائل حيوي في المدينة..." (Sablet,1988,p11)، وانطلاقا من هذا المنظور حدد المختصون ثلاثة جوانب أوسع في دراسة وتحليل الساحة والتي نوجزهاكالآتي :

I -4 على مستوى الهيكلة الحضرية :

الفضاء العام للساحة ليس إلا لحظة من التنقلات في المدينة، نفس الشيء بالنسبة للشوارع والحدائق...أما قراءتها ورؤيتها فلا تفهم إلا من علاقتها مع ما يحيط بها وما يتبعها وما يسبقها

ســـواء كـــان يدرك بصريا أم غير كذلك، من هذا المنظور فالساحة لا تحمل حدودا معينة، بل تـــندرج ضـــمن تـــرتيب أكبـــر يشكل فضاءات المدينة، وهي وجهة نظر عبر عنها العديد من المختصين أمثال كالن(Cullen)،لانش(Lynch). (Galibourg et autres,2001,p27)

I -5 من مستوى الشارع :

مـــن وجهة نظر شكلية الشوارع تمكن من تقديم معرفة أعمق عن المدينة، فتبرز العلاقات والـــروابط المخـــتلفة بين مختلف تركيباتها، كما تسهل الوصول إليها، أما الساحة فتكشف عن ترابط مع الشارع، وأن هذا الأخير يمكن من تحديد موقعها، كما يعبر عن سهولة الوصول إليها (Accessibilité)، كمـــا أنـــه انطلاقا منه يمكن أخذ صور مختلفة عن مظهرها، في حين كيفية اتصاله وتمحوره معها يقدم فكرة عن انفتاحها أو انغلاقها، ومن جانب آخر يتعلق الشارع بنشأة الساحة بحيث أشير إليها بأنها اتساع للشارع يحمل بعض خصوصياته.

(Galibourg et autres,2001,p55)

I -6 على مستوى الموقع :

يســـاعد هذا الجانب في قراءة وفهم خصائص واستمرارية الساحة وكذا تطورها التاريخي، كمـــا يمكن من معرفة حركة موقعها ومكانتها الإستراتيجية، وكذا مختلف التغييرات والتطبيقات على مستواها (Galibourg et autres,2001,p55)

إن مـــا تـــم تقديمـــه مـــن مظهـــر الساحة في الواقع قدم بشكل سطحي، وللتعمق أكثر في خصوصيات هذا المكان سنتطرق وبشيء من التفصيل إلى دراسة نموذجية لها.

II - مورفولوجية الساحات العامة :

الساحات العامة جزء من الشكل الحضري للمدنية والفضاءات العامة بالأخص، وهي تتطلب تعريفا وتحليلا لمكوناتها الرئيسية ولخصوصياتها، وأيضا توضيحا مفصلا لتمحورها وتوضعها بين الفضاءات العامة الأخرى في المدنية، ذلك أن الشكل العام للساحة هو في الواقع نتيجة لنظام عام من الأشكال الحضرية أو لشروط خاصة بالتطبيقات الحضرية، كما يبرز أن للساحة العديد من المحددات يرتبط بعضها بجانب موقعها وبتكوينها التاريخي ومحددات أخرى تتعلق باستعمالاتها، لذلك يعد التحليل المورفولوجي لها أمر ضروري وأساسي في دراستنا لها،

وهذا لإظهار مختلف مقاييسها وتطوراتها، وقبل التطرق إلى ذلك نشير إلى أن القراءة المورفولوجية تمر بمرحلتين:

II -1-1 القراءة غير المباشرة للساحات :

ويـــتم ذلك من خلال القراءة الجيدة للخرائط والمخططات القديمة أو الحديثة وكذا الصور المتوفرة وغيرها من الوثائق التي يمكنها تقديم معرفة جيدة حول تاريخ الساحات وتطورها وكذا مختلف الأشكال والتركيبات التي حملتها.(Galibourg et autres,2001,p57)

II -1-2 القراءة المباشرة للساحات :

إن الملاحظة الميدانية لفضاء الساحة أمر مهم لفهم أنماط حالات تواجدها، وكذلك لإدراك الحالات غير الثابتة لها مثل سيولة الحركة، كما تكتسي هذه القراءة أهمية بالغة في معرفة قيمة كل مكون منها.(Galibourg et autres 2001,p57)

إن التحليل المورفولوجي للساحات العامة يمكن تناوله من عدة جوانب، من بينها تلك التي أشار إليها ديبلاي (Duplay,1982):

1 ــ تيبولوجية الساحات العامة .

2 ــ المبنى ومحيط الساحة .

3 ــ التهيئة والتأثيث العمراني .

4 ــ ملاحظة الساحة (الإدراك الحسي للساحة).

II -2 موقع الساحة في المدينة:

تتخذ الساحة في المدينة عدة مواقع نوجزها فيما يلي:

1ــ يمكن للساحة أن تحتل مسارا أو عدة مسارات من المدينة، ويظهر ذلك إما باحتوائها المسار بداخلها أو تموقعها داخل مجموعة منها، وتكون محتلة جزيرة واحدة أو عدة جزيرات.(الشكل 04)

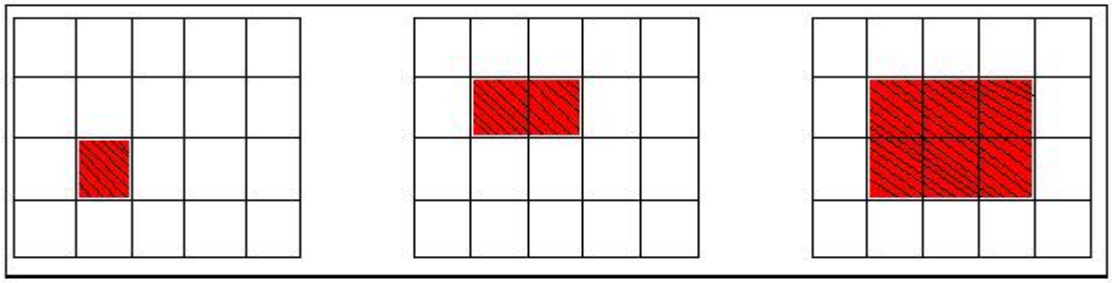

الشكل04: احتلال الساحة لجزيرات المصدر:Duplay,1982

2ـ يمكن للساحة أن تتموقع بمحاذاة الطرق الرئيسية مشكلة بذلك نواة ، بحيث نجدها في حالة المخططات المتعامدة (الشطر نجية) أن:

ـ الساحة تحتل عدة جزيرات مع حذف للمسارات الداخلية(الشكل05).

ـ الساحة تكون نتيجة حذف أجزاء من الجزيرات(الشكل05).

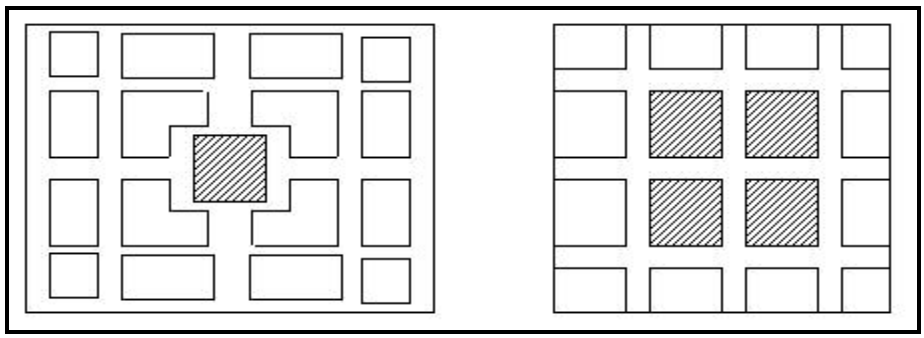

الشكل05:تموقع الساحة بين المسارات المصدر:Duplay,1982

3ـ بالنسبة لحالة المخطط الإشعاعي :

مركز الساحة يكون نقطة التقاء طرق .

- يمثل مركز الساحة نواة لمجموعة طرق تجتمع في نقطة واحدة (الشكل06).

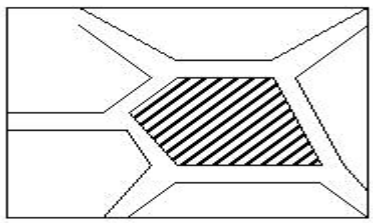

الشكل06:موقع الساحة من المخططات الإشعاعية المصدر:Duplay,1982

4ـ في حالة الشبكات غير منتظمة (مخطط عضوي) الساحة تمثل جزيرة جانبية بشكل غير منتظم أو جزيرة مركزية غير منتظمة(الشكل07).

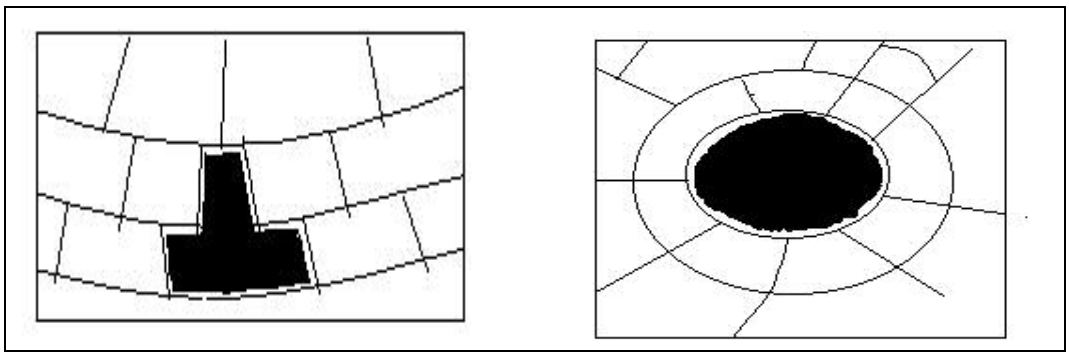

الشكل07: موقع الساحة في النسج غير المخططة المصدر:Duplay,1982

5 ــ الساحة تقع على توسيع طريق :

قد يكون التوسع من جهة واحدة (الشكل08).

- قد يكون التوسع من جهتين(الشكل08).

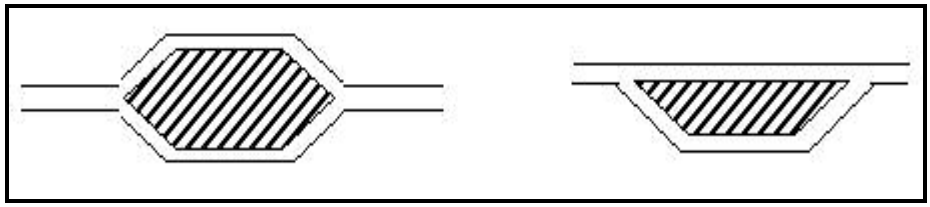

الشكل 08: موقع الساحة من الطريق المصدر:Duplay,1982

يظهــر موقــع الساحة خصوصيات المكان، حيث يمكن للساحة أن تتواجد على أرضيات مستوية، كما يمكنها أن تتجسد فوق أراضي منكسرة أو مائلة، فتكون بذلك تتبع مستويات الميل أو تعاكســه، بالإضــافة إلى ذلك يمكن لها أن تتواجد على حافة نهر أو بحر أو في مكان عال يستكشف من خلاله أجزاء من المدينة أو مناظر عمرانية أو طبيعية خلابة.

نتيجة:

الســاحة تركيبة مجالية تحتل أماكن مختلفة من المدينة، ويظهر أن موقعها والأماكن التي تحتلتها يرتبط بعدة جوانب نذكرها فيما يلي :

موقــع الساحة ارتبط بالمساحات المتوفرة، وكذلك بالمساحات المتبقية في تصميم وإنجاز نسج المدينة.

ارتــباط الســاحة بالمبانــي المهمــة في المدينة كونها عنصرا تابعا لها، وهذا ما يظهر في الساحات التابعة للكنيسة أو فندق المدينة...

- شكلت الساحة القلب النابض في الكثير من المدن، لهذا تحتل مناطق حيوية وإستراتيجية فيها.
- شــكلت الساحة جزءا من مخطط الحركة في المدينة، لهذا نجدها في النقاط المعقدة أين تلتقي الكثير من الطرق والشوارع حيث تعمل على تنظيم الحركة.
- يظهر كذلك أن موقع الساحة كما ارتبط بالوظائف التي تؤديها ارتبط بتصميم الحي أو المدينة ذاتها، وكذا حسب حاجة الناس لها.

II -3 الأشكال المختلفة للساحات :

تعتبـــر الساحة العنصر الأكثر تمثيلا للفضاءات العامة، إذ يتحدد شكلها بواسطة مخططها وأيضا من خلال الكتل المبنية المحيطة بها، والتي تقدم فكرة أعمق عن تواجدها، في هذا الصدد صـــرح بينون(Pinon) أن الساحة هي نتيجة جدلية بين الفراغ والمبني(Pinon,1991,p34)، كما قدم لنا نوعين منها وهذا انطلاقا من العلاقة بين الفراغ والمبني وهما:

الســـاحات التـــي يكـــون فيها الفراغ فعال ونشط بينما الكتل المبنية المحيطة بها تظهر أقل فعالية، وهذا النوع ينتج غالبا في النسج الناتجة عن مخططات هندسية.

الســـاحات أيـــن تكـــون فيها الكتل المبنية أكثر فعالية وأهمية من فراغ الساحة، وهذا النوع يظهـــر فـــي الســـاحات الناتجة على فراغات متبقية في التخطيط والبناء، كما أنها تكون في أشكال غير هندسية أو غير منتظمة.

بالـــرغم مـــن هذين الحالتين إلا أنه يمكن للساحات أن تأخذ شكل يندرج ضمن أحد التقسيمات الأربعة التالية:

1. أشكال منتظمة (الشكل09-01).
2. أشكال غير منتظمة(الشكل09-02).
3. أشكال مركبة من عدة أشكال هندسية بسيطة(الشكل09-03).
4. شكل عضوي بدون قراءة هندسية واضحة(الشكل09-04).

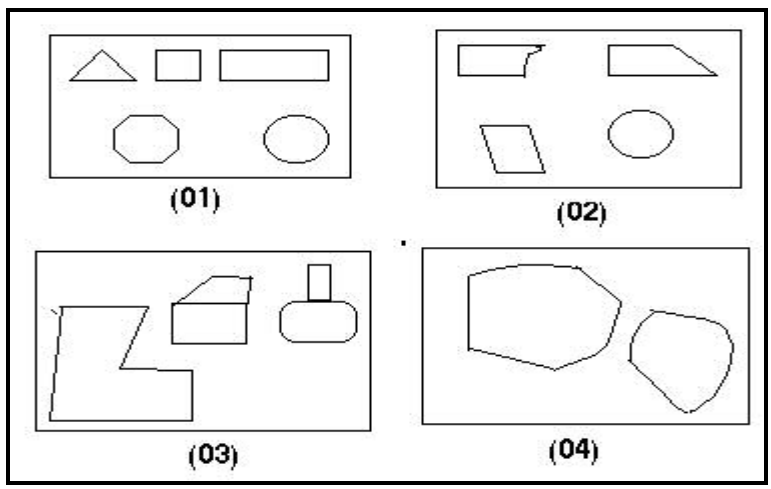

الشكل09 : أشكال مختلفة للساحات المصدر:Duplay,1982

يظهـــر أن الســـاحة لـــم تتقيد بشكل واحد، بل أخذت أشكالا عديدة ومتنوعة والتي ارتبط وجودها بعدة جوانب منها:

مـــيلاد الســـاحة وفـــق عملية مخططة من البداية أو أنها مثلت المساحة المتبقية في التصميم أو البناء.

الشكل العام للمدينة أو الحي له أثر على شكل الساحة، فتبني الخطة الشطرنجية أو الإشعاعية يمكنها وضع أشكال تختلف عن مثلها في البناء الفوضوي.

- ارتـــباط شـــكل الســـاحة بوظيفتها، فالساحات التي تكون لتنظيم الحركة تتشكل حسب تمحور الطـــرق والـــتقائها، كما أن الساحات التي وضعت لعرض مبان هامة فتتوضع حسب امتدادها العمودي أو الأفقي.

ارتباط شكل الساحة بالتفكير العمراني السائد زمن تصميمها وإنجازها وكذلك للدلالة الرمزية التي تحملها مثل شكل ساحة القديس بطرس (انظر الفصل السابق).

II -4 أبعاد الساحـــــات:

فـــي الواقـــع لا توجد معايير ثابتة حول أبعاد الساحة، لكن نشير بالذكر أن أبعادها حددت حسب ما أشار إليه ديبلاي (Duplay,1982) في معيارين:

* أبعـــاد الساحة تحسب بدلالة المقاييس الإنسانية: في هذه الحالة الأبعاد يعبر عنها بقيم مطلقة تتعلق بمقاييس إنسانية، ديبلاي قدم مجموعة من القيم (m) التي تشير للنسبة بين طول وعرض الساحة فيما يلي: (m20>m) ، (m40>m>m20) ، (m80>m>m40) ، (120>m> m 80) ، (m> m 120) .

* أبعاد الساحة تحسب بدلالة معدل إرتفاع المباني المهيكلة للساحة،ديبلاي قدم هذا المعدل **(R)** بالقيم التالية : (R>1) ، (1/2> R>1/4) ، (1/4>R>1/8) ، (1/8>R>1/20) ، (R<1/20).

أمـــا حسب بيتس(Peets) وهيقمان (Hegman) فإن أبعاد الساحة تحدد بالمسافة الفاصلة بين الملاحـــظ والمبنى،فتقدر بمرتين من ارتفاع المبنى أي بزاوية رؤية 27°، أما إذا كان الملاحظ يـــريد رؤيـــة العديـــد مـــن المباني مرة واحدة فحددت زاوية الرؤية بـــ18° وعلى مسافة ثلاثة أضعاف الارتفاع.

أما أبعاد الساحات حسب سيت(Sitte) فتحسب بدلالة حجم السكان الموجهة لاستقبالهم، كما يمكن أن تكون حسب المبنى الرئيسي المهيكل لها، سيت(Sitte) صرح بأن البعد الأدنى للساحة يكـــون مساوٍ لارتفاع المبنى الرئيسي، في حين البعد الأقصى لا يتعدى مرتيـــن هذا الارتفاع، كمـــا أضاف أن ساحات المدن القديمة قدرت أبعادها بـــ 100 م×60 م، وأن الساحة تمتد طوليا (فـــي العمق) إذا كان المبنى يمتد طوليا وتمتد عرضيا إذا كان المبنى يمتد عرضيا،وأن امتداد الساحة أو عرضها يتناسب مع واجهة المبنى (Sitte,1922).

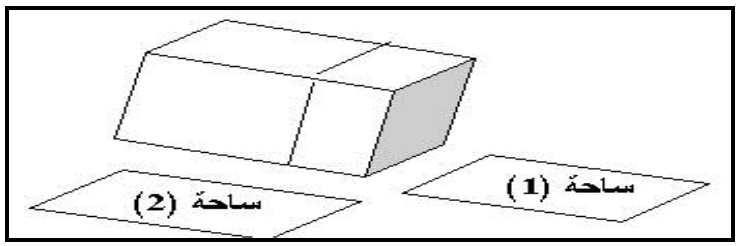

الشكل10: ارتباط أبعاد الساحة بأبعاد المبنى المصدر:الباحث

مـــن منظور آخر تعبر أبعاد الساحة عن خصوصيات تصميم النسيج، إذ يمكن لها أن تنشأ مـــن حالتين: إما بإزالة جزيرة أو أكثر أو بإزاحة جزيرة أو أكثر في التصميم، وهذا للحصول على فراغ يمكن من ميلادها، هذا بالنسبة للحالات التي يسبق فيها التصميم الإنجاز، لذلك فأبعاد الساحة تتعلق بأبعاد الجزيرات نفسها، ويظهر ذلك بوضوح في الأنسجة المنتظمة، للإشارة أبعاد الجزيـــرات تخـــتلف حســـب معاييـــر البـــناء والتصميم والنظم العمرانية لكل دولة أو مدينة. (Zucker, 1959, p72)

ولقد ارتبطت أبعاد الساحة بنقاط أخرى:

ـــ الساحة تأخذ أبعادا تختلف من مدينة إلى أخرى.

ـــ الساحات في المدينة تأخذ أبعادا تختلف من الساحات المركزية إلى ساحة الحي.

ـــــ الســـاحة تختلف حسب موقعها ومكانتها في المدينة (ساحة مركزية رئيسية، ساحة ثانوية، ساحة جوارية بين مجموعة أحياء...) .

II -5 معالجة مركز الساحة:

مركـــز الســـاحة يمكـــن أن يتخذ أشكالا ظاهرية كمبنى أو معلم، كما يمكن أن يعبر عن المركـــز الهندســـي لها والذي قد لا يتطابق مع مركزها الواقعي، في حين هذا الأخير يمكنه أن يحتل مواقع مختلفة، كما يمكن أن يحدد أو يعالج بطرق مختلفة، من ذلك ما يلي:

معالجـــة مركز الساحة يمكن أن يكون بوضع عنصر مبني (مبنى، نصب تذكاري، تمثال بارز، معلم...) والذي قد يتموقع في مركز الساحة أو بأحد جوانبها(الشكل 11).

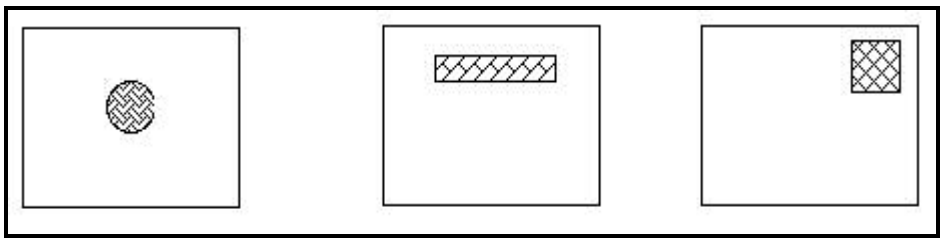

الشكل11: من أشكال معالجة مركز الساحة المصدر:Duplay,1982

* يمكـــن أن يبـــرز مركـــز الساحة من خلال معالجة أرضيتها، كأن يكون محدد برسومات أو أشكال واضحة تشير إليه(الشكل 12).

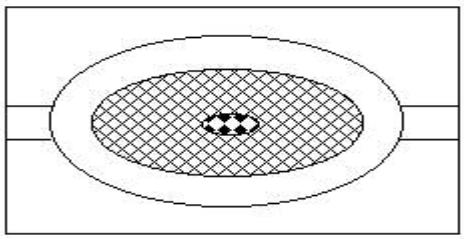

الشكل12: تحديد مركز الساحة من خلال رسومات على الأرضية المصدر:Duplay,1982

يمكن أن يحدد مركز الساحة من خلال مخططات المسالك المؤدية إلى مداخل أو مخارج الساحة(الشكل 13).

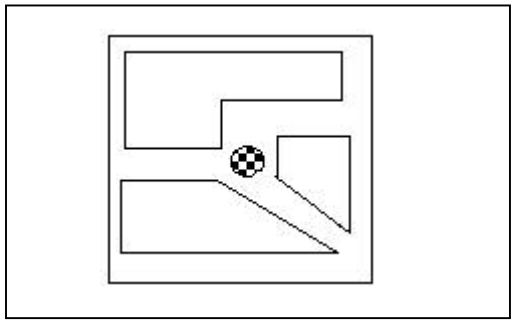

الشكل13: تحديد المسالك لمركز الساحة المصدر:Duplay,1982

* مركـــز الســـاحة يتحدد من خلال حركة العربات والتي قد تحيط بها مشكلة مركزا وهميا أو هندسيا، كما يمكن أن يشكل المركز نقطة تقاطع خطوط الحركة(الشكل 14).

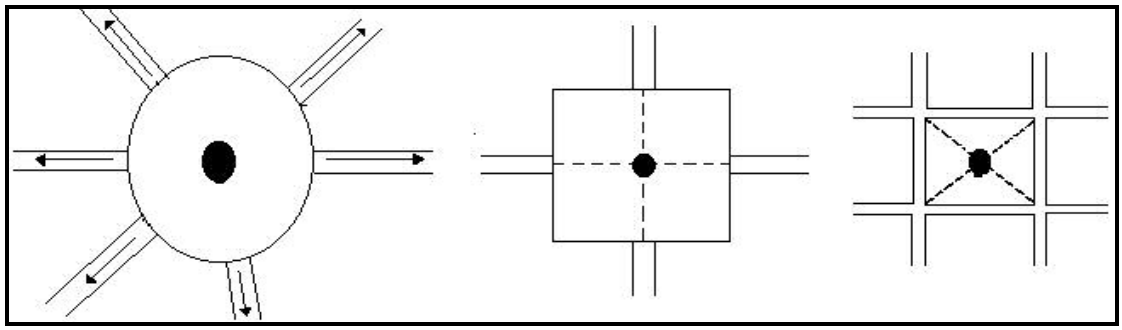

الشكل14: تحديد حركة العربات لمركز الساحة المصدر:Duplay,1982

إن إبـــراز مركز الساحة لـــه علاقة بتصميمها وتهيئتها، وهو لا يعني بالضرورة مركزها الهندســـي خاصة في الساحات ذات الأشكال غير الهندسية، ويمكن إبرازه من خلال الرسومات علـــى أرضيتها أو بتوجيه الملاحظ إلى نقطة ساخنة عليها (تمثال، نافورة، عمود، ساعة كبيرة، لـــوحة إشهارية، بناية مهمة...) بذلك يمثل النقطة الحساسة والملفتة للانتباه، كذلك يمكن لمركز الساحة أن يمثل النقطة غير النشطة فيها كأن يمثل الجزء الذي لا تلمسه الحركة.

II -6 معالجة زوايا الساحة:

تبدي الساحة زوايا بأشكال مختلفة حيث تتخذ أحد الأشكال التالية :

* يظهـــر شـــكل الساحة زوايا حادة، منفرجة، مستقيمة، قائمة، كما أنه يمكنها أن تظهر في المخطط أو يمكن اكتشافها بالملاحظة الميدانية(الشكل15).

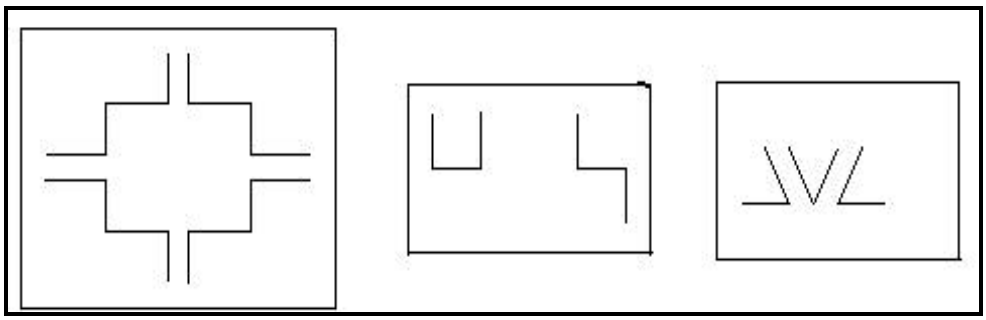

الشكل 15:أشكال من معالجة زوايا الساحات المصدر:Duplay,1982

يمكن تغيير بعض زوايا الساحة كالحادة منها مثلا أو القائمة وذلك بجعلها دائرية (منحنية) كمـــا يمكـــن معالجـــة ذلك بإضافة عناصر مبنية كالأقواس أو عناصر مهيكلة (تهيئة الأرضية

الرســـومات ...)، وهذه التغييرات قد تجعل زوايا الساحة مفتوحة على الشوارع أو مغلقة، وهو الأمر الذي قد يقدم فكرة عن انفتاحها أو انغلاقها.

إن طـــريقة معالجة زوايا الساحة يمكن أن يغير من شكلها، كما يساعد في تحديدها أيضا، ويعد هذا الأمر ضروريا في الساحات التي تقع وسط مجموعة طرق للحركة الميكانيكية، حيث يـــتم معالجـــة الزوايا لتمكن من الرؤية المناسبة للراكبين، كما أن فكرة وجود عناصر مبنية في الزوايا له أثر في الإبصار من وإلى الساحة.

II -7 مجموعة الساحات:

يـــوجد غالبا وبالتأكيد في المدينة الواحدة عدد من الساحات العامة، هذه الأخيرة قد تظهر اتصالا وتقاربا فيما بينها أو ربما عكس ذلك، ويمكن تصنيف ذلك في ما يلي :

II-7-1 العلاقة بين تموضع الساحات:

قد يظهر تموضع الساحات اتصالا وتقاربا فيما بينها، ويمكن تمييز الحالات التالية :

1 ــ اتصال مباشر بين ساحتين: ويكون بتماسهما من جهة الجانب أو بزاوية(الشكل16) .

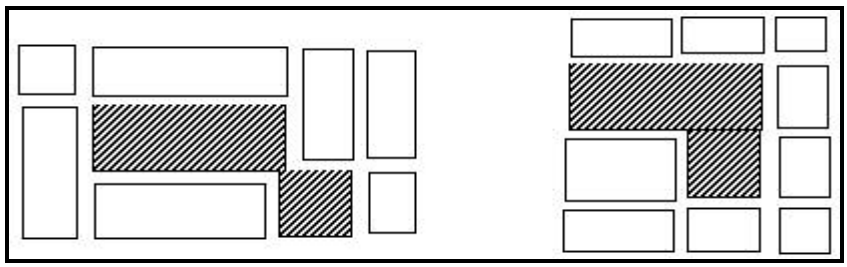

الشكل16: اتصال ساحة بأخرى اتصالا مباشرا المصدر:Duplay,1982

2 ــ اتصـــال غير مباشر: ويكون بوجود عنصر وسطي مثل الطريق أو الشارع أو تموقع مبنى عام بين الساحتين، مثل ذلك الساحات على جوانب الكنيسة(الشكل17).

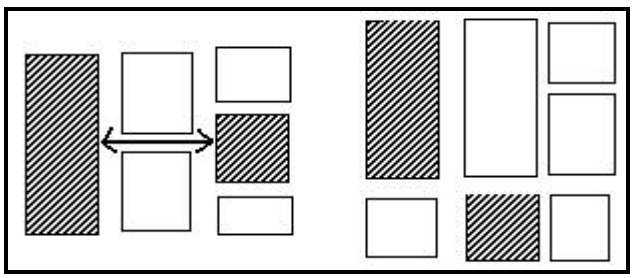

الشكل17: اتصال غير مباشر بين الساحات المصدر:Duplay,1982

3 ــــ كمـــا يحدث الاتصال بين ساحتين بتواجد ساحة أخرى وسطية أو شارع أو أي عنصر فضائي(الشكل18).

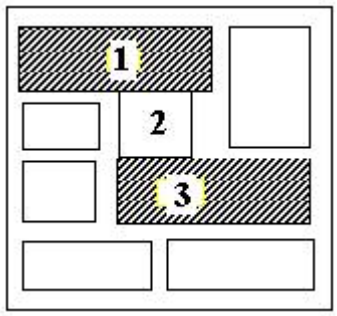

الشكل18: اتصال ساحتين بواسطة ساحة ثالثة المصدر:Duplay,1982

II-7-2 العلاقة بين الأشكال المكونة للساحات العامة:

إن الشـــكل العـــام للســـاحة قد يكون مشكل من أشكال هندسية تكون مندمجة مع بعضها البعض، ويمكن بلوغ ذلك مما يلي:

استعمال أشكال متشابهة(الشكل19-03).

استعمال أشكال محددة(الشكل19-01).

استعمال نفس الشكل وبأبعاد مختلفة(الشكل19-02).

أما بالنسبة للعلاقة بين محاور تلك الأشكال فيمكن أن تكون على أحد الحالات التالية:

تكون محاور الأشكال متوازية(الشكل19-02).

- تكون محاور الأشكال متعامدة مثل ساحة القديس بطرس(الشكل19-03).

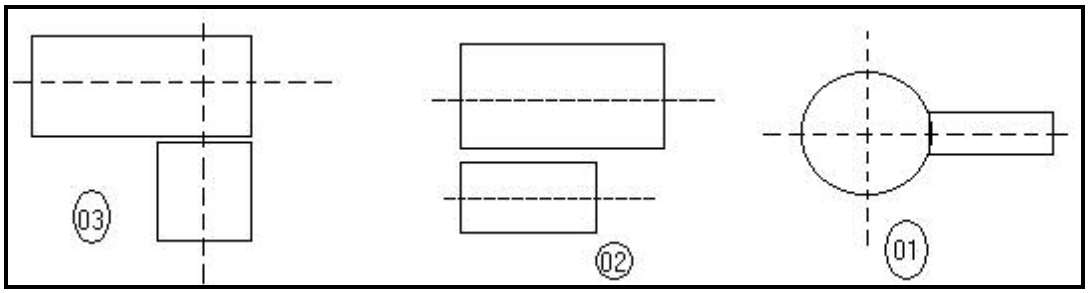

الشكل19: محاور الساحات المتجاورة المصدر:Duplay,1982

II -8 العلاقة بين المباني والساحة:

لقـــد ارتبط تعريف الساحة بالجانب الفيزيائي والمشكل من المباني المحيطة بها، حيث تعد عـــاملا محـــددا لها ومؤثرا فيها سواء من الناحية الشكلية أو الحسية، لذلك نشير أن العلاقة بين الساحة والمباني يمكن أن تكون وفق إحدى الحالتين التاليتين:

II -8 -1 الساحة والمباني تركيبة موحدة:

ويمكن الوصول إلى هذه الحالة من عدة أشكال:

ـــــ المبانـــي المحيطة بالساحة أنجزت مرة واحدة وتحت نفس الشروط والخصائص المعمارية والعمرانية، وهو الأمر الذي يجعل الساحة تظهر كتركيبة موحدة مع المباني أو كجزء منها.

ـــــ المباني المحيطة بالساحة أنجزت في فترات مختلفة، لكنها تخضع لنفس المقاييس والقواعد المعماريـــة والعمرانية والفنية، ويظهر ذلك عند إعداد مخطط مسبق لمنطقة الساحة أو عند القيام بتدخلات على محيطها كعمليات إعادة الهيكلة أو إعادة التهيئة، الترميم...

II -8 -2 الساحة لا تشكل تركيبا موحدا مع البنايات:

ويمكن الحصول على هذه الحالة انطلاقا من:

البنايات المحيطة بالساحة أنجزت في مراحل مختلفة وأخضعت لإتجاهات عمرانية ومعمارية وفنية مختلفة أيضا.

الساحة تواجدت كنتيجة لتعميرغير مخطط ترك فراغا حول فيما بعد إلى الساحة.

الساحة تواجدت على أنقاض بنايات حذفت أو تهدمت.

غياب عنصر إستثنائي وحيد يهيمن على محيط الساحة.

هيمنة البنايات على المباني الإستثنائية أو البارزة في محيط الساحة.

غياب قواعد واتجاهات إلزامية لتطور التعمير حول الساحة.

- المحيط المبني يشكل بنايات عادية أكثر منها عناصر استثنائية أو مباني هامة.

بعـــد الإشـــارة إلى عموميات حول البنايات المحيطة بالساحة نشير بالذكر أن هذه البنايات يمكن أن توجز أو تصنف وفق عدة جوانب منها:

عناصر قاعدية تضم مختلف التجميلات والتزيينات على الوحدات المبنية.

- العناصر المبنية التي تبدي معالجة خاصة لطوابقها الأرضية سواء من حيث المداخل أو من خلال عناصر إضافية كالأعمدة والأقواس...
- معالجـــة خاصـــة تـــبديها واجهات المباني سواء من ناحية الألوان المستعملة أو المواد ...، وكذلك الطريقة الفنية المنجزة بها.

- تموقع البنايات حول الساحة والتي يمكن أن يحولها إلى فضاء مفتوح أو مغلق.
- معايير ومقاييس تخص البنايات وأحجامها كارتفاع المبنى، شكل الأسقف...

III - ترتيب الساحات في المدينة:

يتواجد في المدينة الواحدة عادة مجموعة من الساحات قد تختلف في الشكل والحجم والموقع، كما يمكن أن نجد اختلاف في نوعية المسالك المؤدية إليها وطريقة تمحورها معها، إنطلاقا من ذلك وضع براند(Brandt) ترتيبا للساحات وهذا بالنظر إلى علاقتها مع نوعية المسالك أو الشوارع المؤدية،ولقد قدمه وفق ما يلي:

الساحات الهادئة: وتقع عند تقاطع مسالك سكنية ضيقة مثل الدرب أو الممرات.

الساحات الجوارية: وتقع عند تقاطع شارعين سكنيين.

ساحات القطاع: تقع عند تقاطع شارعين ينفتحان على قطاع سكني.

ساحات الحي: تقع عند تقاطع شارعين ينفتحان على حي.

الساحات الحضرية: تقع في بعض تقاطعات الأنهج.

إن هذه الأنواع المختلفة من الساحات تعبر عن نوى لتقاطعات أو مفترقات طرق أو حلقات أو مسالك مهمة من التنقل في المدينة، وتظهر هذه الأنواع في المدن المخططة بشكل أكبر وخاصة في المدن الألمانية. (Brandt ,1998,p9).

نتيجة:

إن ما تم عرضه عن تيبومورفولوجية الساحات يقودنا إلى أن الساحة تركيبة مجالية تدخل عدة عناصر في تشكيلها وإعطائها الصورة النهائية لها، كما أن هذه العناصر تظهر متداخلة كل يؤثر على الآخر، وفي نفس الوقت تكميلية لخلق ساحة راقية من ناحية التصميم، ويدعمها في ذلك عناصر تهيئتها التي سنتطرق لها لاحقا كعناصر تساهم في إدراكها، كما يظهر أن للساحة علاقة بالمكان الموجودة فيه وكذلك بالمباني المحيطة بها التي قد تعطينا فكرة واضحة عن شكلها، موقعها، أهميتها، وظيفتها والدلالة التي تعكسها.

إن تداخل العناصر المورفولوجية يمكنها إنتاج أنماط عديدة من الساحات، هذا بالإضافة الى إسهام الدور الوظيفي لها، وهو الأمر الذي يجعلنا نتطرق إلى تصنيف الساحات.

IV - تصنيف الساحات في المدينة :

إن تصنيف الساحات العامة يتطلب دراسة دقيقة حتى نتمكن من الوصول إلى وضع نماذج وتحديد معايير لتصنيفها، ويمكن تصنيفها كما يلي:

IV - 1 الساحات حسب نشأتها :

يمكن تصنيفها حسب مرجعية تاريخية ووفق تزامن نشأتها مع المبان و حسب ماأشار إليه جاكوريفيتش (Jakorljevic,1984,56) نقلا عن ليون كرييه (leon krier) إلى ثلاثة أنواع نوجزها كالتالي :

IV - 1 -1 ساحات وجدت بعد البنايات :

يظهـــر هذا الشكل في المدن القديمة والأحياء غير المخططة، إذ يكشف عن حالات ينعدم فـــيها التخطيط المسبق للتجمعات العمرانية أو كنتيجة لقصور في هذه المخططات، حيث يكون تشييد المساكن والمباني هو الهدف الرئيسي أما الساحات فتأتي لاحتلال وتغطية جيوب عمرانية في النسيج، في الواقع نشأة الساحات هو للحاجة من تلك الفراغات والتي حولت إلى ساحات أو رحبات – الرحبة أحد أشكال الساحة عرف في المدن الإسلامية ومدن القرون الوسطى – وذلك من خلال تطبيقات واستعمالات مشابهة لما عليه في الساحة أو بإعداد تهييئات خاصة بها، ومن جانـــب آخـــر يمكن أن تولد الساحات على أنقاض بنايات تم هدمها لقدمها أو للتخفيف من كثافة المبانـــي، وهـــذا الـــنوع لا يظهـــر قـــواعدا عمرانية واضحة، بل هو مقيد بخصائص المباني والإنشاءات المعمارية المتواجدة قبله.

IV - 1 -2 تصميم مسبق للساحات مع الشوارع قبل المباني:

تشـــكل الســـاحة في هذه الحالة جزءا من فضاءات المدينة، إذ تعمل هي والشوارع على هـــيكلة النسيج الحضري، كما تظهر تلاحما أكثر وتموقعا أفضل في المدينة، وهذا الشكل يظهر في التوسعات الحديثة والتجزيئات الترابية ومختلف الإنجازات التي أعدت وفق مبادئ عمرانية أو ضمن مشروع حضري (مشروع عمراني).

IV - 1 -3 ساحات تشكل مع المباني نمط موحد ومتكامل:

تظهر هذه الساحات في شكل موحد ومتكامل مع الفضاءات الأخرى من جهة ومع المباني مـــن جهـــة ثانـــية، بذلك تشكل نظاما عاما يعني المدينة أو التجمعات السكنية، وفي هذه الحالة

الدراسة تأخذ بعين الاعتبار المبني وغير المبني على أنه كل متكامل، بينما تعمل الساحة ضمنه علـــى إبـــراز القيمة المعمارية والعمرانية والفنية للوحدة، وبالمقابل المباني تهيكل الساحة وتقدم صورة واضحة عن شكلها ومظهرها، ويتجسد ذلك عند وجود بعض المعايير التصميمية للمباني المحيطة كالارتفاع والطول ونوع الواجهات.

IV - 2 الساحات حسب الشكل والمظهر:

فحسب الشكل يمكن تمييز ما يلي:

الساحات ذات الأشكال المنتظمة.

- الساحات ذات الأشكال التلقائية (عضوية، غير منتظمة).

أما حسب المظهر ونمط التهيئة فيمكن تمييز:

ســـاحات رمزية بتهيئة وسطها: وتعبر عن ساحات تحمل معالجة خاصة لمركزها سواء من خلال المغروسات (الأشجار، البنايات...) أو وجود نافورة أو معالم...، وربما عبارة عن أرضية مبلطة يرتسم عليها رسومات، كما يمكنها أن تتواجد على مستويات مختلفة.

- ساحات تعرض فترات تاريخية مختلفة: تعمل الساحة على إبراز مبان هامة تتوسطها أو تحيط بها والتي نشأت في فترات تاريخية مختلفة، معبرة بذلك عن رموز وخصوصيات كل فترة، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال التواجد بها وبالتالي ملاحظة التماثيل أو النصب التذكارية أو الجداريات وغيرها من الأشياء المشيرة إلى ذلك.

يمكن أيضا إدراج نوعين آخرين من الساحات حسب الشكل والمظهر ويتمثلان في:

الساحات المفتوحة.

الساحات المغلقة.

هذان النوعان من الساحات سنتطرق إليهما في الفصل قادم.

IV - 3 حسب الوظيفة :

تصنف الساحات أيضا حسب الوظائف التي تؤديها، ويمكن تمييز الأنواع التالية:

IV - 3-1 ساحات الحركة :

تعتبرهذه الساحات عنصرا مهيكلا ضمن مخططات حركة المرور والشبكة العمرانية على العمـــوم، إذ تعمل على تنظيم حركة المرور وبشكل أدق تحديد علاقات في التدفقات الناتجة عن

التـــنقلات، كما يمكن لهذا النوع من الساحات أن يشكل مفترق طرق أو عقد تقوم بجمع وإعادة توزيـــع الحـــركة، كذلك يمكن لها أن تتموقع أمام محطة أو على خط حركة فتستعمل كمواقف للســـيارات، وفـــي بعـــض الانجازات سمحت هذه الساحات باحتواء محطات مترو أو قطار أو طرق في الجزء تحت الأرضي لها وذلك بوجود منافذ إلى سطحها.

IV - 3 -2 ساحات تؤدي وظيفة تجارية:

عادة تقع هذه الساحات في قلب المدينة أو عند مخارجها، ولقد انتشر هذا النوع في المدن الإسلامية وكذا مدن القرون الوسطى، وهي غالبا ما تحمل تهيئة بسيطة حتى تمكن من ممارسة التجارة فيها أو ضمن المباني المحيطة بها، كما أنها حملت اسم السوق في الكثير من الحالات، وهو الأمر الذي أفقدها خصوصياتها كمكان للترفيه والتمتع بالجمال.

IV - 3 -3 ساحات المعالم :

يمكـــن لهذه الساحات أن تشكل معلما استدلاليا في المدينة وهذا من خلال مظهرين، الأول أن تصمم وفق مخطط يحرر في وسطها تمثال أو عمود أو نافورة أو نصب...وهذا لإبراز قيمة لشخصـــيات أو أحـــداث أو جماليات عاشتها المدينة، ومشكلة بذلك نقطة مرجعية (معلما) في المديـــنة، كما أنه عادة ما يمر بها شارع أو نهج واللذان يسمحان بإبرازها أو ظهورها من نقاط بعـــيدة، أمـــا المظهـــر الثاني فتكون هذه الساحات محررة في وسطها، في حين محاطة بمباني خاصـــة أو عامـــة تمـــنح لها ومن خلال واجهتها قيم عمرانية ومعمارية وفنية متميزة وهو ما يجعلها معلما من ناحية التصميم.

IV - 3 -4 ساحات المتعة :

وهـــي فضـــاءات تتجسد داخل التجمعات السكانية والنسج الحضرية ذات الكثافة الكبيرة أو المتوســـطة، والغاية منها هي خلق فراغات داخل تلك الأحياء حتى تسمح بتغلغل النور وتجديد الهـــواء، كما تساعد في تحرير البصر (الراحة البصرية)، بذلك تعمل هذه الساحات على التقليل مـــن الملل الناتج من تكاثف البناء وشدته، وإضافة إلى ذلك تعتبر مكانا لروح الجماعة والحياة الاجتماعـــية، مـــثل هذه الساحات الرحبة داخل النسج وأحياء المدن الإسلامية، حيث أنها تسمح بممارسة بعض الطقوس الدينية والاحتفالات المختلفة.

IV - 3 -5 ساحات الاستعراضات والتظاهرات :

مجـــالات واســـعة تحمل عادة تهييئات بسيطة، وتكون على أرضيات مستوية، معدة لأجل العـــروض العســـكرية ومختلف التظاهرات الثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية، ومثل هذه الساحات الساحة الحمراء بموسكو وساحة تاينام في الصين.

ملاحظة:

تـــوجد أحيانا ساحات يمكن لها أن تجمع أكثرمن وظيفة، كما يمكن إدراجها ضمن صنفين فـــي آن واحـــد، كأن تكون الساحة معلمية تضم معلما بوسطها في حين تعمل على تنظيم حركة المـــرور، كـــذلك يمكن أن نجد ساحة للاستعراضات والتظاهرات وهي معلمية من جانب آخر، مـــثل هـــذه الساحات ساحة الكعبة فهي تظم الكعبة الشريفة في وسطها في حين تسمح بممارسة الشعائر الدينية فيها .

الخلاصـــــــــة

تـــم التطـــرق خـــلال هذا الفصل إلى عنصرين مهمين: الأول يعطي الصورة التي يمكن للســـاحة أن تكـــون عليها في المدينة، في حين الثاني يمثل تصنيف الساحات، وانطلاقا من كل ذلك توصلنا إلى ما يلي:

الســـاحة تـــركيبة مـــرنة تتأثـــر بتوزع المباني، فتظهر كعنصر مهم لسد الفجوات في التصميم، وهذا ما أعطاها مكانة مرموقة في خلق التناسب بين المبني والفراغ.

- تعـــد الساحة وسيلة فعالة لحل بعض مشاكل الحركة والاكتظاظ، لهذا فهي تتطلب عملا إبداعيا يساهم فيه مجموعة من المختصين.
- مـــا تم عرضه خلال هذا الفصل يزيل ذلك المفهوم الذي يتناول الساحة على أنها فراغ سلبي ضمن فضاءات المدينة، ويبرر ذلك الأدوار التي تؤديها كتنظيم الحركة وتوزيعها، احـــتواء المباني وهيكلتها، أيضا كونها عنصر فضائي يمكنه أخذ تهيئة مميزة تساهم في التمـــتع وخلق مظهر جمالي مبهج، كما تظهر الحاجة إليها ضرورية في الأماكن الكثيفة البناء فتشكل منطقة مهواة ومعرضة لأشعة الشمس الضرورية.
- إن الصـــورة المجالـــية للساحة لا تستند على معايير أو قوانين ثابتة، بل تتسم بالمرونة وهذا ما يعطيها مكانة أكبر في احتلال مواقع مختلفة وبمساحات وأشكال غير ثابتة، كما

أن الســـاحة تتأثـــر بجوانب عديدة في المدينة كمخطط الحركة، تخطيط النسج العمرانية وكذا قيمة العقار فيها.

- الســـاحة فضـــاء عمرانـــي يمكنه التأقلم والتساير مع الخطط التصميمية والتعميرية في المديـــنة طالما قدر لها احتلال أماكن مختلفة وتجسيدها وفق تصاميم متنوعة، كما يمكنها أن تشـــكل مركـــزا مجالـــيا فـــي المدينة والذي يساهم في تحديد العناصر المعمارية أو المعلمية وهذا من خلال المنشآت المتواجدة فيها أو التي تحيط بها.

-

-

-

-

-

-

-

-

أ-

ب-

ـت

ـث

-
-
-

-

محتويـــــــــات الفصـــــــل

تمهـــــيد:

I - الإدراك

II - السلوك

III - علاقة الإنسان بالمحيط

IV - العوامل المؤثرة في إدراك الفضاءات الخارجية

IV - 1 الراحة في الفضاءات الخارجية

IV - 2 الأمن في الفضاءات الخارجية

IV - 3 الفضاء الخارجي والجمال

IV - 4 التنوع في الفضاء الخارجي

IV - 5 التفاعل الاجتماعي مع الفضاء الخارجي

IV - 6 معنى المكـــان

V - الصورة الذهنية للفضاءات الخارجية " L'imagibilité

V - 1 الصورة عند كـــالن "Gorden Cullen

V - 2 الصورة الذهنية عند كيفن لانش " Kevin Lynch

VI - العنـــاصر المساعدة في إدراك الســـاحة

VI -1 الـــنباتـــات

VI -2 المـــــاء

VI -3 تهيئة الأرضـــية

VI -4 التأثيث الحضري

VII - إدراك انفتاح أو انغلاق الساحة

VIII - النشاط والحيوية في الفضاءات العامة.

الخـــــلاصـــــة

تمهـــــيد:

إن البحث والاهتمام بتطبيقات الساحة وجهنا إلى البحث في ميدان مهم عرف بالادراك، ذلك أنه يقدم لنا فكرة عن أحاسيس الأفراد أثناء تواجدهم بالساحة، كما يعطينا تفسيرا عن تحركاتهم ووضعياتهم وحالتهم النفسية بها، وتظهر أهمية هذا الجانب في استخلاص العلاقة المتبادلة التأثير بين الفضاء من جهة والمستعمل من جهة ثانية، وبالتالي إمكانية التنبؤ بسلوكات الأفراد، انطلاقا من هذا المنظور يمكن توجيه المصممين إلى خلق ساحات أكثر استعمالا ونجاحا، ومن أجل ذلك يأتي هذا الفصل ليقدم لنا مختلف العلاقات المتبادلة بين الفضاء ومستعمليه، وكذلك لمعرفة العوامل التي يمكنها الإسهام في هذه الجوانب.

I - الإدراك:

الإدراك عملية مهمة ووسيلة لاكتشاف الإنسان ما يحيط به سواء كانت عناصر فيزيائية أو حركات اجتماعية، ويمكن للإنسان ذلك بواسطة آليـــات مختلفة كالرؤية السمـــع واللمس والحركة...، التي تسمح له بتكوين صورة ذهنية عن الوسط الخارجي، كما تؤدي إلى خلق انفعالات داخلية له، في هذا الصدد صرح بايلي نقلا عن وود (Wood) أن الإدراك يمكن أن ينطلق من قيام الإنسان بتخزين كل الإشارات الصادرة عن الأعضاء الحسية له والتي تعبر عن أشياء من المحيط الخارجي، فيقوم الدماغ بشرح تلك المعلومات وتجميع القادمة منها من نفس الشيء ثم تحويلها إلى بيانات دماغية معبرة عن الصورة الخارجية بكل تفاصيلها. (Bailly,1978,p163)

يبدو أن الكثير من الباحثين ربطوا الإدراك بحالة الملاحظ داخل المحيط الموجود فيه، وأنه ناتج أيضا عن التجارب الداخلية له، أما علماء النفس فيؤكدون على وجود علاقة بين التطور الذهني للشخص والمحيط الذي يقوم بإدراكه، في هذا السياق أشار فيشار(Fusher) للمكانة التي يحتلها الإدراك في علم النفس، ولقد عبر عنه بأنه آلية تضع بوضوح المعاني والآثار في منهجية فعالة لتخزين وشرح وتحويل المعلومات، كما اعتبر الإدراك بمثابة العامل الوسيط الذي يقع بين الإنسان والمحيط الخارجي، بالإضافة إلى ذلك أكد فيشار على أهمية الإدراك البصري وذلك لأنه يقدم صورة وتفسيرا عن الوسط الفيزيائي. (Fusher,1981)

أما أفكار ربوبورت(Rapoport et Kantor,1967) حول الإدراك فإنها تستند إلى إشارته للإدراك في ثلاث نقاط هي:

إدراك المحـــيط: ويعـــبر في هذه الحالة عن إجابة حـــسية للفرد تجاه المحيط بشكله: الطبيعي والفيزيائي والاجتماعي، وأن لهذا المحيط أثرا في كيفية إدراك الفرد وفهمه، يبرر ذلك تواجده فيه، كما صرح ربوبورت بوجود عوامل داخلية تساهم في إدراك المحيط وتتمثل في شخصية الفـــرد وعاداتـــه وجنســـه وعمره...وأضاف أن هناك تداخل في التأثير المتبادل بين الإنسان ومحيطه وأن كلاهما يساهم في عملية الإدراك.

الشعور والإحساس: ويعبر عن الوجه الذي يفهم فيه الأشخاص المحيط، يترجمون ذلك بالمعاني والدلالات، ويدخل في ذلك ثلاثة عناصر هي: التسمية والتصنيف والنظام، وقد بين ربوبورت أن للمرأة والرجل أحاسيس وعواطف مختلفة عن المحيط مرجعا ذلك إلى الاختلاف في نمط الأنشطة ومكانة كل منهما في المجتمع، كما أضاف أن لهذه الأحاسيس دور في توجيه السلوكات.

تقييم المحيط: وهو منهجية لاستخلاص وتجسيد المعطيات، إذ يقوم على شرح إجابات الأفراد ويتأتى ذلك من خلال الصور التي يمتلكونها عن المحيط، ويضيف ربوبورت أن للقيم والطموحات والمعايير الثقافية والتجارب الداخلية أهمية في تقييم المحيط.

ولقد توصل كابل (Capel) إلى أن لكل إنسان صورة ذهنية عن الأماكن وهي لا تتطابق مع الواقع المجسد في المدينة، ولقد عبر عن ذلك بالجغرافية الشخصية، أما الإدراك من وجهة نظره المجالية فيشكل خريطة ذهنية تتهيكل من ثلاث نقاط هي: السكنات، أماكن العمل ومركز المدينة، حيث تعمل الفضاءات العامة على الربط بينها، كما أشار أن الإدراك اليومي للأماكن السكنية وأماكن العمل يؤدي إلى معرفة الفضاءات في حين هذه المجالات الواقعة داخل الأحياء وأماكن العمل ومركز المدينة هي بالضرورة أماكن معروفة.(Capel,1975)

توصل لوري(Laurie,1986) ومن خلال دراسته للإدراك إلى استنتاج ثلاث عناصر تساهم في حدوث عملية الإدراك وتعرف الإنسان على ما يحيط به وهي :

الشكل: وهو شيء أساسي للإدراك البصري والصوتي، إذ يسمح بتنظيم المظهر، كما أنه يختلف حسب عمر الملاحظ.

- **المخطط المنطقي:** ويعمل على تعديل إدراك الفرد حسب تجربته وثقافته وتعلمه...وهو بذلك يعبر عن العوامل والمؤثرات النفسية، كما أنه يقدم بعدا في فهم الأشياء المدركة.

- **المعلم:** دور المعلم يرتبط بحجم الشيء وعلاقته مع الفضاء، إذ يمكن للشيء أن يكون معلما من خلال لونه وشكله وموقعه وخصائصه...كما تختلف قيمة الشيء كمعلم حسب طريقة ملاحظة الفرد له وكيفية تنقله حوله.

نتيجة:

مما تم عرضه يمكن القول بأن إدراك الفضاءات العامة والساحات يرتبط بعدة جوانب نذكرها فيما يلي:

إدراك الفضاء يتعلق بالفرد أو الشخص نفسه، أي حسب جنسه وسنه وثقافته وعاداته وتقاليده، ولذلك دلالة على أن الفضاء الواحد يمكن أن يدرك بأشكال مختلفة من فرد إلى آخر، وللفرد نفسه حسب الحالة النفسية له.

إن الصورة والهيئة التي عليها المحيط أو الفضاء يمكنها أن تخلق معان إما واضحة أو غامضة، سهلة أو صعبة، وهذا ما يؤثر في كيفية إدراك الإنسان لها، وبصيغة أخرى حسب درجة سهولة قراءة الفرد لهذا الفضاء، كما أن هذه الصور التي يأخذها الفرد عن الفضاء لا تتطابق بالضرورة مع واقعها وإنما تعبر عن حجم الأشياء المدركة، وهي أيضا كفيلة بخلق مشاعر الرفض أو القبول للفضاء.

- إن إدراك الإنسان للفضاء ليس بالضرورة أن يتم في مرحلة واحدة، بل قد ينتج عن عمليات متلاحقة من تردد الإنسان على نفس الفضاء، وفي كل مرة يكتسب معارف جديدة عنه، كما يتمكن من إزالة الغموض عن بعض حيثياته، وهذا من اكتشافه لعناصر وجزئيات جديدة فيه.

II - السلوك:

إن دراسة السلوكات والتصرفات الإنسانية داخل مجال معين تكتسب أهمية بالغة لأنها تقدم صورة عن التأثيرات المتبادلة بين الأشخاص والمحيط، والسلوك حسب معجم العلوم الاجتماعية يعبر عن الحركات والتغيرات والإجابات لأي كان فردا أو مجموعة عن المحيط الموجود فيه، في حين عرف ايتلسون (Ittelson,1976) المحيط بأنه منهجية معقدة يتبع فيها الشخص نظام وترتيب الإطار الفيزيائي المحيط به والذي يسبب له استجابات معينة، بينما صرح بايلي (Bailly,1978,p163) نقلا عن لوين (Lewin) أن المحيط لا يمثل الإطار الخارجي فقط، ولكن يفهم أيضا من العلاقة المتبادلة التأثير بين الفرد والمحيط، ووضع ذلك في المعادلة التالية :

$$C=f(P,E)$$

C :سلوك الإنسان.

- **P**: الشروط الشخصية للفرد.
- **E**: المحيط الذي يتواجد فيه الفرد.

لقد أشار زايسيل(Zeisel) للبحوث المتعلقة بالسلوكات وجه لوجه مع المحيط بأنها القرار والتصرف الذي بواسطته يمكن تصميم وتخيل فضاءات الحياة والعمل والراحة...وتكون أكثر تعلقا باحتياجات الفرد، ولقـد توصل زايسيل إلى تقسيم السلوك إلى مجموعة عناصرهي: الفاعل (المتصرف)، الفعل (التصرف) ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والمحيط الفيزيائي. (Zeisel,1981)

إن العلاقة بين الشخص والمحيط ينتج عنها تصرفات تعبر عن الأحاسيس الداخلية للفرد اتجاه المحيط، يؤكد روتليج (Rutledge) أن الأشخاص غالبا راضون عن المحيط الذي قد ينتقده المصمم، في حين هم غير راضين عن تلك التصاميم التي يضعها المصمم بحزم، وهو ما يبرز مدى الاختلاف في الإدراك بين المستعمل والمصمم، وبذلك تكون السلوكات التي ينتهجها المستعمل داخل محيطه تختلف عن تنبؤات المصمم في أغلب الأحيان. (Rutledge,1976)

III - علاقة الإنسان بالمحيط :

إن تواجد الإنسان ضمن محيط ما يجعله في علاقة معه، في هذا الصدد عرف كانتر (Canter,1975) عدة أنماط من التفاعل بين الإنسان والمحيط، وهذا بعد تقسيمه إياه إلى: محيط حراري ومحيط صوتي ومحيط ضوئي ومحيط طبيعي ومحيط مجالي ومحيط حضري، وهي بالنسبة له مؤثرات خارجية لها أثر في راحة الشخص أثناء تواجده فيه، والتقسيمات لا تختلف عما أشار إليها زوكولاي(Szokolay,1980) في العلاقات الثلاثة التالية:

العلاقة الفيزيولوجية: وترتبط بالمحيط الحراري والضوئي والصوتي.

العلاقة الفيزيائية: وتعبر عن علاقة الفرد بالفضاء وأبعاده حتى يتمكن من احتواء الأنشطة المختلفة له.

 العلاقة البسيكولوجية: هذا النوع من علاقة الإنسان بالمحيط ينقسم إلى عدة أنماط من التفاعلات، حيث يعد نظام الإدراك الأكثر أهمية ووضوحا فيها، والذي من خلاله يتمكن الفرد تحصيل المعلومات عن الوسط الخارجي.

نتيجة:

يـــبدو أن للســـلوك علاقـــة كبيرة بإدراك الإنسان للمحيط، وكذا بوضعيات وشكل المحيط نفســـه، يـــدخل فـــي هذا الأمر جوانب تتعلق بالإنسان وحالته النفسية وعاداته وتقاليده وسنـــه وجنســـــه وكـــل ما يمكن أن يؤثر في الإدراك، وكذلك جوانب تتعلق بالمحيط نفسه، وهذا ما يـــتطلب منا دراسة علاقة الإنسان بالمحيط لما لها من أثر على سلوكات الأفراد، كما يظهر أن بين السلوك والإدراك تداخلا كبيرا وأن كل واحد منهما يساهم في الآخر.

IV - العوامل المؤثرة في إدراك الفضاءات الخارجية:

إن إدراك الإنســـان للمحـــيط الخارجـــي لـــــه علاقة بمؤثرات داخلية تظهر في أجهزته الإدراكـــية وحالته النفسية ووضعياته داخله، كما له علاقة بمؤثرات خارجية أيضا لها أثر كبير على إدراكه للمحيط، يمكنها أن تعكس حالته النفسية وتؤثر عليها، في حين هناك عناصر أخرى لهـــا علاقة بثقافته وتفكيره ا تجاه ما يحيط به، ويمكن تلخيص العوامل المؤثرة في إدراك الفرد للمحيط الخارجي فيما يلي:

IV - 1 الراحة في الفضاءات الخارجية:

إن دراسة الراحة يمكننا من معرفة الحالة النفسية للشخص داخل الفضاء الموجود فيه وهذا كونها عاملا مهما ورئيسيا له، حيث تعد حرارة الجو وحركته ورطوبته...عوامل محدثة ومؤثرة فيها، صرح كانتر(Canter) أن الراحة يجب أن تشكل فائدة مهمة في إدراك الفضاء الخارجي، كما يجب أن تشكل معيارا أساسيا إذا كان الفضاء مصمم على أنه نقطة جدب للسكان.(Canter,1975)

إن الاهتمام بالراحة جانب حاولت العديد من المدن القديمة تجسيده بتصميمها وفق الشروط المناخية الخاصة بها، حيث أخذت بعين الاعتبار حركة الشمس واتجاه الرياح...هذا الاهتمام لم يعد مجسدا في بعض المدن المعاصرة، ولقد أرجع قودمان (Goodman) ذلك إلى بعض سلبيات التطور التكنولوجي، كما صرح أنه وعلى الرغم من توفير التطور التكنولوجي لفضاء مشروط

ومتحكم به داخل المباني إلا أنه أدى إلى إفساد الفضاء الخارجي وجعله غير مريح وغير صحي، وهو أمر تعكسه فضاءاتنا الخارجية من خلال التلوث الجوي وارتفاع درجة الحرار. (Goodman,1968,p251)

لقد أكد سبيرن (Spirn) على أهمية الراحة في الفضاءات الخارجية، كما أشار إلى وجود وسائل فعالة يمكنها أن تساهم في ترقية مناخ الفضاءات الخارجية، ويمكن ذلك من خلال استعمال الأشجار والنباتات، بذلك هو يلمح إلى أهمية استعمال الغطاء النباتي ليس فقط للزينة وإنما أيضا كمعدل للمناخ، كما يقدم لنا فكرة عن المكونات التي يمكنها ترقية الساحات في المدينة وجعلها أكثر راحة. (Spirn,1984)

IV - 2 الأمن في الفضاءات الخارجية:

الأمــن حاجة إنسانية ضرورية أيضا مثله مثل الراحة الجسدية، وانعدامه أو ضعفه يأتي مــن النقص في التحديد المجالي وسوء الرقابة وقلة الإضاءة ونقص النشاط والحيوية...كل تلك الأمور حسب نيومان (Newman,1972) يمكنها أن تساهم في مشكلة الأمن، أما من وجهة نظر هايكشير فإن شكل السكن الجماعي يحطم مصطلح الفضاء الجماعي أو المشترك، فهو لا يساهم فــي الاتصــال بين الأفراد والسكان، كما لا يمكنه تحديد الأجانب عن الحي، وصرح أيضا أن الفضــاءات الــواقعة داخــل الحي لا يمكن اعتبارها آمنة أو جماعية أو عامة مستدلا بذلك من وجود المجرمين وشاربي الخمر وغيرهم من غير المرغوب فيها. (Heckscher,1977,p320)

لقــد درس نــيومان(Newman) الآمن في الفضاءات العامة في عدة أحياء من نيويورك، وتمكــن من تحديد أنماط التصميمات المشجعة للجريمة، فتوصل أن العمارات العالية تنتج معدل جريمة عال بالنظر إلى الفضاء المحيط بها، وهي لا يمكن اعتبارها فضاءات عامة ولا خاصة كمــا أنها لا تنتمي إلى أي فوج سكني، وتشكل أيضا جيبا عمرانيا والذي قد يتم تهيئته على أنه ســاحة صغيرة، ولقد اقترح نيومان كحل لذلك هو توجيه نوافد المساكن بطريقة تسمح بمراقبة الفضاء. (Newman,1972)

IV - 3 الفضاء الخارجي والجمال:

الجمال لا يمثل الترف والبذخ فقط، ولكنه حاجة ضرورية وأساسية، في هذا المضمار أشار لانش (Lynch) إلى أن النوعية الجمالية هي عنصر مسؤول وضروري في الحياة

الاجتماعية واليومية، ولقد عرفها على أنها حوار غير مباشر شديد وعميق بين الفرد والشيء الذي يدركه. (Lynch,1981)

كما يرى لوري (Laurie) أن الجمال عنصر مهم لنوعية حياتنا، وأنه إدراك بصري عال المستوى لمظهر عالمنا الخارجي، ويمكن من تحصيل السعادة والرضى، ولقد قدم التجارب حول الجمال في نمطين: الأول يرتكز على النوعية البصرية للطبيعة حيث يتشكل من وجود الماء والنباتات والأشجار، والثاني فهو ناتـــج مـــن الهندسة واستعمال الأبعاد الرياضية. (Laurie,1986,p179)

إن الاهتمام بجمال الفضاء على العموم والساحة على الخصوص كفيل بخلق صورة قوية تمكن الفرد من اكتساب معان جميلة عن المكان، وبالتالي التواجد به، كما أن الجمال أمر يمكن لمختلف المتدخلين في التصميم المساهمة فيه.

IV - 4 التنوع في الفضاء الخارجي:

يعد التنوع عنصرا تكميليا للوحدة وضروري لأجل إدراكها وكذا الشعور بالارتياح اتجاهها، صرح قودمان (Goodman) أن للتغير والتنوع في الإشارات والدلالات الناتجة عن المحيط الفيزيائي دورا مهما عند الإنسان, كما يعد أمرا ضروريا من أجل التوازن الذهني له. (Goodman,1968,p251)

لقد أثبتت دراسات أجراها باحثين آخرين أن للتنوع أثر على تطور التنظيم الإنساني وعلاقته مع المحيط، في حين علماء النفس يعتقدون أن هذا الخيار اتجاه المحيط يمكن اعتباره سلوكا استكشافيا كما يمكن تحديده في أربعة متغيرات هي:

التعقيد: ينتج من عدم انتظام الدلالات والإشارات الناتجة من العناصر المكونة للمحيط.

الغموض: الإشارات الغامضة تضم عناصر غير واضحة أو محددة، كما تسمح بعدد كبير من التفاعلات الممكنة مع المحيط.

التجديد: يعتبر مكونا مهما في التنوع، فالشيء الجديد يظهر إشارات مختلفة عن الدلالات والإشارات المعاشة سواء لوجودها دون سابق أو كونها جديدة على حياة الإنسان.

المفاجأة : يرتبط التنوع في المحيط بأثر المفاجأة، كما أن أثر هذه الأخيرة هو بدلالة مستوى التنوع والتغير وكذا تآلف الفرد مع المحيط.

IV - 5 التفاعل الاجتماعي مع الفضاء الخارجي:

الكائنات الإنسانية ذات طبيعة اجتماعية في الغالب، وهذا لأن الأفراد يظهرون في حاجة ماسة للتفاعل الاجتماعي بينهم، يبرز ذلك في انتمائهم إلى الأفواج الاجتماعية وتكوينهم للصداقات، وكذا رغبتهم في الاتصال فيما بينهم، يدعم تلك الجوانب الرغبة في التسلية واللهو، لذلك فإن التفاعل المشترك يصبح ضرورة ملحة من أجل تحقيق وضع اجتماعي للأفراد، وتعد الفضاءات العامة أحد الأماكن المميزة لتلك التفاعلات الاجتماعية والمؤمنة لها، وهذا من خلال عملها على تسهيل الالتقاء بين الأفراد، إذ يساعدها في ذلك شكلها وتصميمها وكذا التجهيزات التي تحتويها،إذ أن: "الفضاءات العامة...فضاء للتفاعل ومكان أين كل شخص يمكنه ملاحظة الآخرين ويصبح ملاحظا بواسطتهم..." (Rutledge,1981)

لقد أكد لوري(Laurie) على أهمية التصميم في تسهيل وتمكين التفاعل الاجتماعي، ويتأتى ذلك من خلال خلق نقاط جدب، كما ألحق أن وجود عناصر مثل المقاعد وبعض الأنواع من التأثيث العمراني يمكنه أن يسهل أو يعيق هذه الحاجة الاجتماعية. (Laurie,1986,p179)

IV - 6 معنى المكـــان :

يعبر مصطلح المكان عند للفلاسفة القدامى عن علاقة الإنسان بالمحيط الفيزيائي وما ينتج من أحاسيس اتجاهه، بينما صرح رالف(Relph) بأن الأشخاص الذين يشغلون مكانا ما فلا يمكنهم التواجد من دونه، كما أضاف أن كل شخص في حاجة لأن يبدي علاقة مع مكان ما وهذا من أجل التعريف والتعبير عن وجوده، وكذا كنوع من إبرازه لشخصيته، وأكد رالف أنه حتى يكتسب مكان ما هذه الوضعية عليه إبداء هوية وشخصية خاصة به، وعبر عن ذلك بروح المكان أو هندسة المكان. (Relph,1977,p24)

لقد أقر كانتر (Canter) أن التواجد بمكان معين يعبر عن الحصول وتملك للأحاسيس الظاهرة اتجاهه، كما أكد على أهمية تصميم المكان كوحدة وليس تصميمه كفضاء، وأن الهدف من التصميم هو خلق الأماكن. (Canter,1977,p157)

والساحة يمكنها أن تحمل معنى المكان، إذ يمكنها ذلك من خلال اكتسابها لعناصر أو تهيئة تعبر وبكل وضوح عن هويتها كساحة، كما أن وضوح مكوناتها يمكن أن يعطي تعريفا واضحا عنها، في هذا الصدد اعتبر تشولز (Schulz) مفترق الطرق داخل المدينة بمثابة ساحة تخلق قوة

أكثر لمعنى الالتقاء، وهو ما يستدعي التفكير في محيطها، وصرح أن التجارب اليومية بينت أن الحركات المختلفة هي في حاجة لأوساط مختلفة لتتمكن من السير بطريقة مرضية. (Schulz,1981,p7)

نتيجة:

إن ما تم عرضه عن العوامل المؤثرة في إدراك الفضاءات العامة يقدم لنا فكرة عن وجود المستعمل داخلها، وأن هذه الفكرة تتمثل لديه في الصورة الداخلية المعبرة عن مفهومه لهذه الأماكن، أما أحاسيسه اتجاه الفضاء فتبقى راسخة في دهنه أو تزول حسب الدلالات التي قدمها له، ولقد عبر عن ذلك بالتصور، ومن ناحية أخرى يظهر أن لهذه العوامل التي تم ذكرها أثر كبير في التقبل أو الرفض للفضاء وذلك حسب الظروف التي تواجد عليها، وهو الأمر نفسه الذي يحكم التواجد في الفضاء أو الغياب عنه.

V - الصورة الذهنية للفضاءات الخارجية " L'imagibilité ":

لقد توصلت العديد من الدراسات إلى وجود صورة ذهنية للإنسان عن المحيط الموجود فيه تعمل على توجيه حركته وإدراكه للفضاء، كما تساهم في صنع سلوكاته أيضا، وتعد هذه الصورة كنتيجة للإدراك البصري، وتختلف من شخص إلى آخر، كما يعد التردد على نفس الفضاء عاملا مكونا ومثبتا ومقو لها، وهـــو لا يعـــني إيجابيتها بالضرورة، حول هذا الجانب تبرز العديد من الأفكار نذكر منها أبحاث كالن (Cullen)، لانش (Lynch) وغيرهم.

V - 1 الصورة عند كـــالن "Gorden Cullen ":

بحـــث كـــالن في الأثر البصري للمدينة اتجاه سكانها والذي يكتسبونه من خلال محاولتهم اكتشـــافهم لها، فتمكن من شرح كيف يمكن الحصول على أثر انفعالات الفرد، ووضع ذلك في ثلاث مصطلحات مهمة وتتمثل فيما يلي:

* **حركة الملاحظ:** عند حركة الشخص في المدينة تتولد لديه أحاسيس مختلفة نتيجة ملاحظته وإبصاره لعناصر متنوعة، وهو ما يكون لديه صورا مختلفة عنها ويمكن من ترسيخها في دماغه.

* **وضعية الملاحظ:** يرتبط الإنسان ارتباطا وثيقا بمحيطه ويتأثر به، أما انفعالاته فقد تكون نتيجة لوضعيته فيه، إذ نجد مثلا أن الوضعية الوسطية أو المركزية داخل فضاء معين تمكن

الفرد من أخذ صور مختلفة عن تلك التي يأخذها الفرد من أطرافه أو في نقاط أخرى، كما أنها تختلف حسب حجم الفضاء ذاته، وهذا ما ينتج أحاسيس مختلفة في كل مرة، لذلك تبقى وضعية الإنسان ضمن المجال بالغة الأهمية بالنظر إلى حجم الأشياء التي يمكنه إدراكها.

* **تركيب المحيط:** إن التركيب والتداخل بين مجموعة من العناصر مثل اللون والشكل والحجم والوضوح والغطاء له دور في خلق محيط منسجم أو غير ذلك، كما بينت التجارب الناجحة أن تناغم هذه العناصر قادر على تشكيل محيط متناغم يمكنه لفت الانتباه إليه وخلق صورة ذهنية واضحة وسهلة التذكر.

V - 2 الصورة الذهنية عند كيفن لانش " Kevin Lynch ":

تعـــد أعمال لانش من أهم الدراسات المجالية التي تتناول إدراك وتحسس مكونات المدينة، ولقـــد عرضها في كتابه صورة المدينة " L'image de la cité "، حيث قام فيه بتحليل النوعية البصـــرية لـــثلاث مدن أمريكية هي: لوس أنجلس (Los-angeles)، جيرسي (Jersy)، بوسطن (Boston)، ولقـــد حاول لانش البحث عن وسيلة التعبير الكمي عن الصورة العمومية، وهذا من خـــلال تحقـــيق ميداني يطلب فيه من السكان إنجاز مخطط للمدينة مع تحديد تفاصيله، وهو ما ســـمح لـــه الوصول إلى مستوى الصورة الذهنية لدى كل فرد انطلاقا من ثلاث مركبات هي: الهيكل والهوية والدلالة. (Lynch,1969)

لقد توصل لانش إلى أن الصورة الذهنية تبنى من عملية حركة الذهاب والإياب للملاحظ داخل المحيط، وأن هذا الأخير يصنع صورة متلاحمة يمكن للناس إدراكها بطريقة مترابطة، كما حدد لانش خمس عناصر أساسية هي: الحدود، الأحياء، الأنوية، المعالم والطرق، وصرح بأن هذه العناصر الخمسة كفيلة بوضع صورة كاملة عن المدينة، وأنه من خلالها يتم استعمالها واكتشافها، كما أن التجميع بينها يسمح بهيكلة الوسط العمراني وبتقديم هوية له. (Lynch,1969) عبر لانش عن فكرته تلك بالتصور "L'imagibilité " والذي عرفه بوضوح المظهر وسهولة التعرف عن عناصر المدينة وهيكلتها في مخطط واضح، وأنه بسبب العوامل الحسية يسمح بتوجيه الأمن العاطفي للسكان كما يغذي الفرد بالمعاني، كما يسمح بتشكيل الرموز والذكريات الجماعية، وأكد لانش أن نوعية الأشياء قادرة على إثارة صورة قوية وأنه بسببها أيضا تملك

استمرارية في الوضوح وتصبح أكثر ترسيخا في العقل، وأن هذه الصور تنبعث من حاجة الإنسان لمعرفة محيطه وتمكن من هيكلته له. (Lynch,1969,p33)

والعناصر الخمسة المهيكلة والمشكلة للصورة حسب لانش هي كالتالي:

الطـــــرق (Les Voies): شبكة الطرق هي العنصر الأكثر تمييزا بالنسبة للملاحظ، وهذا لكثرة استعمالها في الحركة والنقل، كما أنها تحيط بمختلف مركبات المدينة من مباني وفضاءات، وهي تمكن من الربط بين مختلف مكونات المدينة وكذلك ملاحظتها وملاحظة كل المركبات المتواجدة على حوافها.

- **الأنوية أو العقد (Les Nœuds):** وتمثل النقـــاط القوية في النسيج الحضري، لانش عرض أمثلة عنها مثل أماكن تقاطع الشوارع ونقاط توزيع الطرق وأماكن التحويل في النقل...، والساحة تمثل نوعا من الأنوية، حيث تتقاطع فيها الشوارع وكذلك تتوزع الحركة إلى اتجاهات مختلفة، بذلك تضمن وظيفة التوزيع والتقاطع، إضافة إلى ذلك ذكر لانش محطات المترو والقطار والنقل البري كأمثلة عن ذلك، وهو يري أيضا أن قوة التعبير البصري للأنوية تتطلب نوعية شكلية تسمح بالوضوح في الاتجاهات والربط بين مختلف الطرق والمباني.
- **المعـــــالم (Les.Repères)** : وهـــي نقـــاط مرجعية تعمل على توجيه السكان داخل النسيج الحضـــري، وذلك من خلال إبصارها ورؤيتها من نقاط مختلفة، يتم ذلك لارتفاعها أو انفرادها التصميمي، كما يمكن رؤيتها من خلال الامتداد الطولي للشوارع المؤدية لها، صرح لانش أنه على المعالم الانتشار في المدينة بمسافات مختلفة لتضمن فعالية التوجيه، وبذلك تساهم في خلق أحاســيس عاطفــية لــدا الملاحــظ والمواطن، كما قدم أمثلة عنها كالعمارات العالية، القبب المذهبة...
- **الحدود (Les Limites):** وتمثل العناصر المستمرة التي لا يعتبرها الملاحظ طرقا مثل حواف الأنهار والطرقات، حدود التوسعات العمرانية، خطوط سكة الحديد...كما عبر عنها لانش بالحواجز الفيزيائية والنفسية لإطار الحياة (المباني).
- **الأحياء (Les Quartiers):** هي العنصـــر الثاني المهيمن في المدينة، وتتحدد بتواجد عدة خصائص مميزة لها تعبر عن نمط المباني والوظائف والفن الهندسي التي هي عليه، وأيضا من أصناف الحياة عليها، وهي بذلك تشكل تمثيلا لهوية المدينة.

نتيجة:

إنه من خلال دراستنا للتصور يمكن القول أنه لا يتعلق بالمكان بمعزل عن الأماكن الأخرى من المدينة وإنما يبدي ترابطا مع مكونات أخرى منها، أما بالنسبة للساحة فيبدوا أنها في علاقة مع مكونات أخرى من المدينة كالمباني المحيطة بها والشوارع المؤدية إليها، ومن جانب آخر الصورة التي يأخذها الفرد عنها لها علاقة بالمكونات الموجودة فيها بوضوح جيد، كما تبرز سهولة القراءة لها والتعرف عليها من خلال عناصر كالتسمية والتصنيف والمعالم التي تحتويها والتي تساهم في خلق صور عنها لدى الفرد، انطلاقا من هذا بحثنا عن العناصر التي تساهم في التعرف على الساحة وإدراكها جيدا.

VI - العنـــاصر المساعدة في إدراك الســـاحة:

تتركب الساحة من عدة عناصر ومكونات يمكنها التعبير عنها، كما أنه لها القدرة على خلق جاذبية نحوها إذا ما أحسن تشكيلها وتصميمها، ولقد أشار سابلي (Sablet,1988) إليها في العناصر التالية:

VI -1 الـــنباتـــات:

تـــركيبة مـــن التهيئة الحضرية تعطي أكثر وجودا وتعريفا للفضاء وهذا من خلال شكلها وظلها وحركتها ورائحتها، كما يظهر أن وجود النباتات داخل الفضاء له عدة مزايا منها:

النباتات تعمل على تثبيت الغبار المتطاير في الهواء، أي بمثابة مصفاة طبيعية للهواء.

- النباتات (الأشجار) لها القدرة على احتواء الضجيج والتخفيف منه.

تساعد النباتات في خلق مناخ محلي وبعث النسيم المنعش في الهواء.

تساعد النباتات في قتل البكتريا.

إضافة إلى هذه المزايا فتواجد النباتات داخل الساحات العامة له فوائد كثيرة تجعل منها عنصرا من عناصر تهيئتها وهذا كونها:

- أداة تهيئة حكيمة وجميلة تساعد في تقسيم المساحات والتقليل من سيطرة المواد الإسمنتية على المجال.
- تنوع النباتات يثري الساحة ويؤثر في أحاسيس الإنسان وانفعاله بالجمال والرومانسية.

- وجود النباتات داخل الساحة يعمل على خلق التوازن والتزاوج بين المكونات الطبيعية والاصطناعية كونه يمثل العنصر غير المطابق لوجود الإسمنت.
- للنباتات تأثير نفسي على الإنسان من خلال الألوان المتنوعة التي تعكسها والروائح التي تطرحها وكذا الظل والهواء المنعش الذي تحتويه.
- وجود النباتات داخل الساحة يخلق لها بعدا ثالثا وهو الارتفاع، كما يمكنه من خلق صور جميلة ومظهر مميز لها، بالإضافة إلى أنه يقدم توازنا بينه وبين المباني المحيطة بها.

إنه وللمزايا التي تقدمها النباتات جعل منها عنصرا مرغوبا من طرف أكثر الناس وأيضا أحد أسرار نجاح بعض الساحات التي أحسنت موضعها بها.

VI -2 المـــــاء :

الماء هو عنصر ضروري للحياة، كما أنه مهم في المظهر الحضري، حيث أثره سحري على الإنسان، وهو يعبر عن الرومانسية في أماكن وجوده، ويعد أحد عناصر جمال الساحة،إذ قال عنه سابلي: " الماء...معجزة حضرية بوجوده تصبح الساحة أكثر جمالا " (Sablet,1988,p5)

أما وجود الماء في الساحة قد يكون في النافورات أو الأحواض المائية أو الشلالات الاصطناعية...إذ يقترب الناس منه لشربه ولمسه والجلوس بالقرب منه والتلذذ برذاذه الطائر في الجو، كما يصدر الماء خريرا له نغمة وروعة على الأذن، بذلك يجلب الزوار اتجاهه من جهة ويبعد عنهم ضجيج الأصوات البعيدة الناتجة من حركة العربات أو بعض الأنشطة الأخرى، ويمكن إيجاز بعض مزايا وجود الماء في الساحات في ما يلي:

الماء هو أداة بصرية تخلق صورة معكوسة للمظاهر المجاورة، أي بمثابة مرآة طبيعية يستمتع الزائر بمشاهدتها.

يحرك تواجد الماء داخل الساحة عناصر الإدراك لدى الإنسان من اللمس والذوق والسمع والرؤية.

- يعمل الماء على توجيه حركة الإنسان لكونه جزء من تهيئة الفضاء.
- يغسل الماء الساحة ومكوناتها فتبدو وكأنها ولدت من جديد.

بذلك يبقى الماء عنصرا حيا وضروريا في الحياة، إذ يرتبط الإنسان بوجوده، كما أن وجوده في الساحات العامة وبشكل مدروس يجعله أداة فعالة في تهيئتها وفي إثارة أحاسيس مستعمليها وهو ما يرسخ الصور الجميلة عنها.

VI -3 تهيئة الأرضــية :

إن لهيئة أرضية الساحة ومن خلال المواد المستعملة والألوان واختلاف مستوياتها تأثير على توجيه حركة الإنسان داخلها، فهناك مثلا أرضيات تعيق الحركة وأخرى تسهلها وخاصة بالنسبة لكبار السن والعجزة والنساء وغيرهم، كذلك يمكنها توجيه حركة العربات داخل الساحة وهذا بتحريمها أو إيجازها.

إن لنوعية تبليط الساحة دورا في التعبير عن ثرائها، فهو يخلق انسجاما ومظهرا جميلا للأرضية ويساهم في إبراز حدودها وكذا التمييز في الاستعمالات، بينما الاختلاف في مستويات الساحة يخلق نشاطا في الحركة وكذا يوجه حركة المياه داخلها.

أما تصميم أرضية الساحة فهو بمثابة الواجهة الأفقية لها والتي يمكن اكتشافها من على المباني المحيطة بها أو المتمركزة بداخلها، وهو ما يمكن الإنسان من رؤية ذلك التناغم بين الألوان والرسومات والمواد المستعملة.

VI -4 التأثيث الحضري:

وهو مصطلح يشير إلى كل الأشياء المستعملة في تهيئة الفضاءات العامة والساحات على الخصوص، ولقد حمل عدة اختلافات حول عناصره، فهناك من يطلق عليه اسم‹‹ المواد الحضرية ››، ولأن هدفنا هو إظهار مزاياه داخل الساحات العامة فإننا سنأخذه على أنه إجمالي الأشياء النافعة أو المزينة للفضاءات الجماعية والحضرية في المدينة والمتواجدة في وضعيات سانحة للسكان بشكل دائم أو مزمن.(Sablet,1988,p137)

إن التأثيث الحضري في الساحات يضم عدة عناصر منها: المقاعد وأعمدة الإعلانات أوالإضاءة وأعمدة الإشارات وغرف الهاتف...، وهناك من يدرج الأكشاك لما تقدمه من خدمات. ويساهم التأثيث الحضري في قراءة الساحات وحياتها واستعمالها، كما يعطي فكرة أعمق عن كونها مكانا للعبور أو فراغا عمرانيا، في هذا المنظور أكد وايت(Whyte) أن وجود الكراسي على سبيل المثال يعرض للعامة فرصة الجلوس والراحة والبقاء لمدة أطول في

الساحة، وهو ما يمكنهم من رؤية أو مشاهدة الآخرين أو الجلوس والاستمتاع بجمال المكان وكدا القراءة أو الأكل...أما وجود عناصر مثل أعمدة الإشارة والإنارة فيضمن الحركة عند أوقات حلول الظلام ويقدم مظهرا ليليا جميلا لها، بذلك يخلق الافتتاح الليلي لها وللمدينة بوجه عام فيعطي صورة عن ثرائها ويمكن من التجمعات الليلية كالاحتفالات على الهواء الطلق وخاصة في الأشهر المعتدلة. (Whyte,1976)

صرح كالن أن عناصر التأثيث الحضري تبرز جمال المكان وتقدم له هوية خاصة به، كما تعكس مدى التطور الذي عرفه مجتمع المدينة، بالإضافة إلى ذلك فهي تساهم في خلق جو خاص بالساحة وتطبيقاتها، أما وجودها فيساهم في تحريك أحاسيس مستعمليها ويمكنهم من أخذ صور جيدة وجميلة عن الساحة. (Cullen,1963)

نتيجة:

إن وجود مجموعة العناصر والمتمثلة في الماء والنباتات والتأثيث وكيفية معالجة الأرض يعبر عن كيفية تهيئة وتنظيم الساحة، كما أن صياغة هذه العناصر يمكن من تقديم نوعية جيدة أو سيئة لها، فتجعل من هذا الفضاء جذابا أو منفرا للإنسان، ممتعا أو غير ممتع، بذلك فهي تساهم في استعمال الساحة وإعطائها مكانة في المدينة، إلا أن تلك العناصر لا تعمل منفردة بل هي في علاقة مع المباني المحيطة أو الموجودة بداخلها والتي تبرز مدى الانسجام معها، فتساهم في إدراك جمالها، وتسمح أيضا بالتعبير عن الرموز التي يوحي بها تصميمها، بالإضافة إلى ذلك يمكن أن توجد بالساحة عناصر أخرى مثل التماثيل أو النصب التذكارية...وهي أشياء هناك من يدمجها ضمن عناصر التأثيث الحضري والتي تعطي هوية للمكان.

إن مجمل العناصر التي تم ذكرها سابقا تعتبر عناصر فيزيائية أو عناصر ثابتة، في حين هناك عناصر أخرى يمكنها إعطاء صورة عن الساحة وهذا من خلال الحركات والتظاهرات الاجتماعية التي تجري فيها.

VII - إدراك إنفتاح أو إنغلاق الساحة:

إن بعض مفاهيم الساحة تتناولها على أنها فضاء مفتوح للجميع على الهواء الطلق، في حين هناك من عرف الساحة انطلاقا من انغلاق مجالها، في هذا الصدد عرف سيت(Sitte)

الساحة بأنها ذلك الفضاء المغلق بالبنايات التي تشكل صورة متلاحمة حولها كما أنها تخلق وحدة لها وتجعل منها أكثر مذلولا، وأكد سيت أن أي فضاء لا يصبح ساحة إلا إذا كان مغلقا. (Sitte,1922,p35)

إن انفتاح أو انغلاق الساحات له أثر على أحاسيس وسلوكات ووضعيات وراحة المستعمل داخلها، ويمكن إدراكه من أحد الحالتين التاليتين أو كلاهما: الأولى من خلال قراءة المخططات، والثانية من خلال تواجد الملاحظ داخل الساحة، ولقد توصل سيت أن إدراك هذه الوضعيات للساحة الواحدة يختلف من شخص إلى آخر، أي أن ساحة واحدة قد تكون مغلقة بالنسبة لشخص ومفتوحة بالنسبة لشخص آخر(Sitte,1922,p35)، ووضع سيت ملاحظات حول انفتاح أو انغلاق الساحة فيما يلي:

- تكون الساحة مفتوحة من خلال وجود مجموعة شوارع تحيطها وربما تخترقها، أو تعزلها عن المباني،فتسمح بإبصارها من نقاط بعيدة عنها.
- إن شكل تمحور الشوارع مع الساحة يمكن أن يحدد انفتاحها أو العكس، كما أن نوعية الشوارع وحجمها وامتدادها وعددها يدعم ذلك، أشار سيت إلى أن وجود ثلاثة شوارع رئيسية على الأقل يكفي للتعبير عن انفتاح الساحة،في حين عندما تتوضع الشوارع بشكل متوازي أو عمودي عند زوايا الساحة المنتظمة الشكل فذلك يخلق شعورا بانغلاقها بالنسبة للمشاهد أو الملاحظ الموجود في الشارع وهذا كونه لا يمكنه اكتشاف النسبة الكبيرة منها، والمشاهد الموجود داخلها كونه لا يمكنه الإبصار إلى نقاط بعيدة عنها.
- انفتاح أو انغلاق الساحة يختلف بين الشخص المتحرك والشخص الثابت.
- انغلاق الساحة يمكن تجسيده من خلال عناصر مبنية كوجود سلسلة من الأعمدة أو سور أو تراصف من الأقواس... وهذا بالرغم من السماح بالإبصار إلى خارجها.
- انغلاق الساحة بوجود سلسلة من المباني تحيط بها لا تترك منفذا لها إلا عبر بوابات أو ممرات تقع أسفلها.

لقد صرح جيبار (Gibberd) أن إحساس الإنسان بانفتاح أو بانغلاق الساحة يدرك بدلالة أبعادها، حيث أكد أن الساحة الكبيرة الأبعاد تخلق انفعالات وأحاسيس تعبر عن انفتاحها، أما الساحة الصغيرة الأبعاد فتخلق انفعالات وأحاسيس تعبر عن انغلاقها. (Gibberd,1972,p69)

أما سبراجن فيربط الشعور بانفتاح أو بانغلاق الساحة بالعلاقة بين ارتفاع المباني ومسافة الملاحظ عليها، أي حسب حقل الرؤيا للملاحظ، بينما يؤكد كالن (Cullen) على وضعية الشخص وردود أفعاله وجها لوجه مع المجال وانطلاقا من تساؤله هل هو داخل هذا المجال أو خارجه، كما أشار أن انغلاق الفضاء يمكن تجسيده من خلال تنظيم عناصر مكونة ومهيئة له مثل الأشجار والأعمدة والنافورات والتماثيل...بحيث أن تنظيمها ووجودها يمكن أن يكون حاجزا أمام الإبصار إلى داخل الساحة أو إلى خارجها. (Cullen,1963)

يعمل انفتاح أو انغلاق الساحة على التمييز بين الاستعمال العام والخاص لها، فلقد شكل مثلا انغلاق الساحة في الكثير من المدن وخاصة في العالم الإسلامي الدلالة على الاستعمال الخاص لهذا الفضاء خالقا ما عرف بمبدأ الحرمة، كما أن الاهتمام بهذا الجانب في تصميم الساحات يمكن أن يكون له علاقة مع الظروف المناخية السائدة، وهو بذلك يعد جانبا مهما في راحة المستعمل، كما يمكن أن يؤثر في سلوكاته، فمثلا إحساس الإنسان بوجوده في فضاء مفتوح يشكل له عائقا نفسيا اتجاه تفكيره القيام بسلوك غير أخلاقي أو جريمة ما وهذا من شعوره بأنه ملاحظ من طرف الآخرين، بالرغم من ذلك فإن الإحساس بانغلاق الفضاءات أتاح الفرصة لتواجد آفات اجتماعية كالسرقة وشرب الخمر وتعاطي المخدرات... (Panerai et autres,1997).

VIII - النشاط والحيوية في الفضاءات العامة:

الساحات العامة أحد أشكال الفضاءات العامة في المدينة، قدر لها أن تكون في خدمة مستعمليها بكل حرية وفي أوقات مختلفة من اليوم، وهذا ما جعل منها أماكنا مفتوحة للنشاط والحيوية، واللذان اعتبرا كعاملين لنوعية ونجاح هذا النوع من الفضاءات، وهذا إذا ما أحسن توظيفها مع العناصر الفيزيائية من جهة والحركات الإنسانية والتظاهرات المختلفة من جهة أخرى، في هذا المنظور يرى تشولز(Schulz,1971) بأن للحيوية أهمية كبيرة في الأماكن العامة، كما أنها عامل مهم في سير حياة الجماعة وتطورها، في حين صرح ريني (Réney,1975) بأن الحيوية هي نتيجة تعدد أوجه الاتصال بين الأفراد في الأماكن العامة وداخل الأحياء، وهو ما يكون شبكة من التعارف لديهم.

والحيوية في الساحة لا تظهر كعامل لجودتها ونجاحها فقط ولكنها عنصرا هاما لتحديدها، كمـــا أنها تتطلب محفزات تتمثل في نوع الوظائف الحضرية المحيطة بها من جهة وخصائصها نفسها من جهة ثانية مثل حجمها ومساحتها وشكلها وتصميمها...، بالإضافة إلى ذلك يمكن خلق الحـــيوية فـــي الساحات من خلال السماح بتواجد الأفراد وبكل راحة، هذه الراحة يمكن البلوغ إلـــيها من خلال حسن التعامل مع العوامل المناخية، أي وجود مناخ مناسب لتواجد الأفراد بأن نؤمن لهم الحماية من أشعة الشمس والرياح مثلا، كما أن وجود عناصر أخرى مثل الكراسي، النباتات، المياه ...يمكنه خلق راحة نفسية للأشخاص أيضا.

إن الحيوية العالية في الساحات العامة ليست دائما عاملا إيجابيا لها، ذلك أنه يمكنها أن تؤدي إلى الملل وهذا نتيجة خلقها للفوضى والضجيج، وهو أمر قد يدخلها في صراع مع طموحات البعض الآخر الذي يسعى وراء الهدوء في مثل هذه الأماكن. "...المدن الأكثر أهمية هي غالبا ممثلة بواسطة حياة ساحاتها الرئيسية... " (Schulz,1985,p66)

الخـــــلاصـــــة

لقد حاولنا خلال هذا الفصل التعمق في العلاقة الموجودة بين الفضاء والإنسان وكذا التأثير المتبادل بينهما، مهتمين في ذلك بكيفية تفهم الإنسان للمكان الموجود فيه وكذا الأحاسيس الناتجة اتجاهه ولقد أفضت محاولتنا لما يلي:

الساحة فضاء عام يمكن من خلال الشكل والصورة التي يعرضها إرسال دلالات تكون لدى الشخص صورة داخلية معبرة عنها، فتخلق مشاعر وأحاسيس يمكنها أن تعبر عن الرضى أو عدمه لها وهذا نتيجة لما توفره من الراحة والأمن والجمال والوظيفة، وهو أمر يمكن أن تساهم فيه العناصر الفيزيائية المتمثلة في:الماء والأشجار والنباتات والتأثيث الحضري...وهي عناصر يمكنها تقوية وإثارة الإدراك لهذه الفضاءات، في حين وجود جوانب أخرى كالتظاهرات والسلوكات يمكنها أن تعطي انطباعات مختلفة عن المكان.

• إن وضعيات وحالة تهيئة الساحة يمكنها أن توجه سلوكات الأفراد داخلها، وهو جانب مهم لأن المعرفة العميقة له تمكن من التنبؤ بالحالات السلبية في التصميم والتهيئة، وبالتالي تجنبها في الإنجازات المستقبلية.

• إن السلوك والإدراك عمليتان متداخلتان ومتكاملتان وأيضا يشوبهما نوع من الغموض إلا أن نتائجهما تبقى من الصعب تعميمها وتجسيدها طالما أن التصرفات الإنسانية متنوعة وغير متوقعة وخاضعة لعوامل أخرى كالسن والجنس والثقافة والعادات والتقاليد...

• يظهر أيضا أنه من خلال معرفة خصوصيات المستعمل وطريقة تفكيره اتجاه الساحة يمكننا التوصل إلى نمط الساحات المفضلة لديه.

• الساحة فضاء يمكنه أن يوجه سلوك الأفراد وكذا التأثير على ثقافتهم، كما يمكنه أن يشكل نقطة معلمية تساهم في توجيه حركتهم وتحديد مكانهم.

إن البحث والاهتمام بالإدراك يمكن أن يقدم لنا فكرة عن الأحاسيس التي يكتسبها المستعمل أو الملاحظ أثناء تواجده بالساحة، كما يمكن من معرفة حالته النفسية، ويعطي تفسيرا عن تحركاته داخلها، لذلك يمكن اعتبار الإدراك عاملا محددا لسلوك وتصرفات الأفراد والجماعات.

محتويـــــــــات الفصـــــــل

تمهـــــيد:

I - التحقيق الميداني (الاستمارة الاستبيانية):

I - 1 أماكن التحقيق:

I - 2 تقنيات التحقيق:

I - 3 نموذج الاستمارة الاستبيانية :.

II - مختلف التحاليل والاستنتاجات من الاستمارة :

II -1 بعد الساحة عن المواطن أو المستعملين:

II -2 تقدير الناس لانفتاح أو انغلاق الساحة:

II -3 أبعاد الساحة في المدينة:

II -4 وضعية وحالة تهيئة الساحات في المدينة:

II -5 العناصر المرغوب تواجدها في الساحة:

II -6 حكم المواطنين على نوعية الساحة:

II -7 أسباب استقطاب الساحة للمواطنين:

II -8 الأوقات المفضلة للمواطنين لزيارة الساحات:

II -9 الأيام المفضلة للحضور إلى الساحة:

II -10 الفصول التي تستعمل فيها الساحات بكثافة عالية:

II -11 التواجد في الساحة أفرادا وجماعات:

II -12 إحساس الأفراد حين التواجد بالساحة:

II -13 الجوانب المزعجة في الساحة:

II -14 أسباب أخرى لعدم استعمال الساحات:

II -15 نظرة النساء اتجاه الساحة:

II -16 أسباب عدم استعمال الأطفال للساحات:

II -17 استعداد المواطن للمساهمة في نشاطات ترقية الساحات:

III - نظرة المهندس للساحات العامة:

III -1 مفهوم الساحات عند المهندسين:

III -2 رأي المهندسين في الساحات من حيث العدد، المساحة والموقع:

III -3 العوامل المؤثرة حسب الأهمية في الحالات السلبية للساحات العامة:

III -4 المقاييس العمرانية المنتهجة في إعداد الساحات في المدينة:

III -5 الجوانب الأخرى المتبعة في إعداد الساحات:

III -6 إعداد الدراسات الاجتماعية قبل تخطيط الساحات في المدينة:

III -7 مشاركة المواطن في إعداد الساحات:

III -8 رأي المهندس حول شدة استعمال الساحة:

III -9 متابعة المهندس للساحات بعد إعدادها لتحديده مدى نجاحه في تصميمها:

III -10 اختلاف مخططات الساحة عن واقع إنجازها:

III -11 الاتجاهات والميولات التي يفضلها المهندس في تصميم الساحات:

III -12 ما هي الساحات التي تنال إعجابك في المدينة:

III -13 ترتيب الساحات حسب وجهة نظر المهندسين:

خـــــلاصـــــة

تمهـــــيد:

الساحة هذا الفضاء المفتوح للجميع، الذي يبدي استعمالات وتطبيقات مختلفة من ساحة لأخرى وكذا في نفس الساحة ومن وقت لآخر، كما أن هذه الاختلافات يمكن استنتاجها من نظرة وحكم وسلوكات الأفراد وما يمكن أن يؤثر عليهم من ظروف سائدة في الساحة، كما يمكن أن يرجع ذلك إلى اختلاف في نظرة المهندسين وعملهم في إعداد هذه الأماكن وما يمكن أن ينتهجونه في تصميمها.

إن البلوغ إلى أسباب الاختلاف بين نظرة المستعمل اتجاه الساحة وأعمال المهندس في هذا الميدان شكل هدف الدراسة خلال هذا الفصل، وهذا بغية الوصول من جانب إلى معطيات أكثر تكميلا وتحليلا لما ورد في الفصل السابق ومن جانب آخر هو البحث في الفرضية المتعلقة بموضوع البحث، وكوسيلة في هذه الدراسة اعتمدنا على الأسلوبين التاليين:

الاستمارة البيانية والموجهة إلى عامة مستعملي الساحة.

المقابلة والموجهة إلى المتدخلين في إعداد الساحات العامة (المهندسين).

I - التحقيق الميداني (الاستمارة الاستبيانية):

استجواب موجه للأشخاص والمواطنين على اختلاف شرائحهم بغية معرفة آرائهم حول الساحات العامة، وأهميتها عندهم، ومن أجل ذلك عمدنا تحديد ما يلي:

I - 1 أماكن التحقيق:

لقد تم العمل الميداني على الساحات المختارة آنفا:

1. ساحة الشهداء(الرحبة).
2. ساحة السينما (ساحة العقيدين).
3. ساحة أول نوفمبر.
4. الساحة المحاذية لجامعة محمد بوضياف.

I - 2 تقنيات التحقيق:

للوصول إلى شمولية الدراسة وضعنا النقاط التالية كتقنية في إنجاز الاستجوابات:

تجرى الاستجوابات خلال ساعات مختلفة من اليوم: في الصباح، بعد الزوال وفي المساء.

يتم استجواب شرائح مختلفة من المجتمع على اختلاف أعمارهم، جنسهم ومستواهم.

 تتم النسبة الأكبر من الاستجوابات مع الأشخاص المتواجدين في الساحة ثم المارين بها أو حولها، في حين نسبة قليلة متبقية تتم مع الأشخاص المتواجدين في المحيط القريب سواء مقيمين أو عمال وخاصة في الأبنية والمحلات المشرفة على الساحة.

• تم اختيار مئة (100) استجواب على الأكثر لكل عينة، والذي قام بإجرائه فريق عمل متكون من مجموعة طلبة من معهد التسيير والتقنيات العمرانية بعد تعريفهم كيفية أداء الاستجواب بشكل لائق.

I - 3 نموذج الاستمارة الاستبيانية :

نموذج الاستمارة (أنظر الملحق رقم:01) يتضمن مجموعة من الأسئلة والتي تتمحور حول ما يلي:

شكل وحالة الساحة.

استعمال الساحة .

الإدراك في الساحة.

• دور الساحة.

II - تحليل نتائج الاستمارة :

بين التحقيق عدة معطيات قد تساعدنا في فهم جوانـــب مخـــتلفة تتعلق بالساحة.

II -1 بعد الساحة عن المواطن أو المستعملين:

إن تحديد هوية مستعملي الساحة يمكن أن يقدم لنا تفسيرا عن تواجد الناس في ساحة عدا الأخرى، كما يمكن أن يبرز لنا الأهمية التي تظهرها كل ساحة عن الأخرى، وذلك وخصوصا عند مستعملين من أماكن بعيدة عنها، سيما في حالة تواجد ساحات في منطقتهم،وتفيد نتائج الاستبيان في هذا المضمار ما يلي:

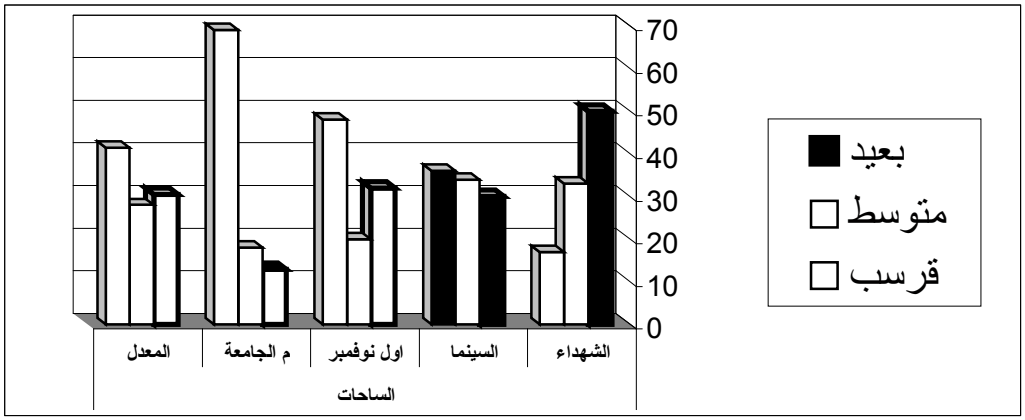

المخطط 01: منحنى يبين موقع الساحة من مقر سكن المستعمل

فيما يتعلق بسؤال المتواجدين عن قرب أو بعد أو توسط مكان الساحة بالنسبة إلى مكان إقامتهم تبين لنا أن ما يقارب **41,46%** يقرون بقربها منهم، في حين **30,48%** يرونها بعيدة، وهذا ما يقدم تفسيرا أن المتواجدين بالساحة هم من السكان المقيمين في المحيط القريب منها، إلا أن هذه النتائج تختلف من ساحة لأخرى حيث نجد:

بالنسبة إلى ساحة الشهداء 50% يقيمون بعيدا عنها مقابل **17%** يسكنون بالقرب منها.

أما ساحة العقيدين (السينما) فنجد إجابات متقاربة في الحالات الثلاثة.

في حين ساحتي أول نوفمبر والمحاذية للجامعة فنسجل نسب عالية من المستجوبين يسكنون في المجال القريب منها.

نتيجة:

يمكن استنتاج من تحليل المعطيات السابقة ما يلي:

- هناك تفاوت في استعمال الساحات بحكم تواجد ساحات يقصدها الأفراد من نقاط بعيدة وساحات أخرى لا تعكس هذه الأهمية.
- الساحات تختلف في مدى استقطاب الناس إليها وذلك حسب الموقع الاستراتيجي أو الدلالة التاريخية لها، ومن جانب آخر حسب تواجد التجارة فيها أو حولها.

على المصمم أن يفكر بالدرجة الأولى في المحيط القريب(المستعملين) من الساحات.

II -2 تقدير الناس لانفتاح أو انغلاق الساحة:

بطرحنا لتساؤل حول انفتاح أو انغلاق الساحة توصلنا إلى مجموعة نتائج بيناها في المنحنى الموالي:

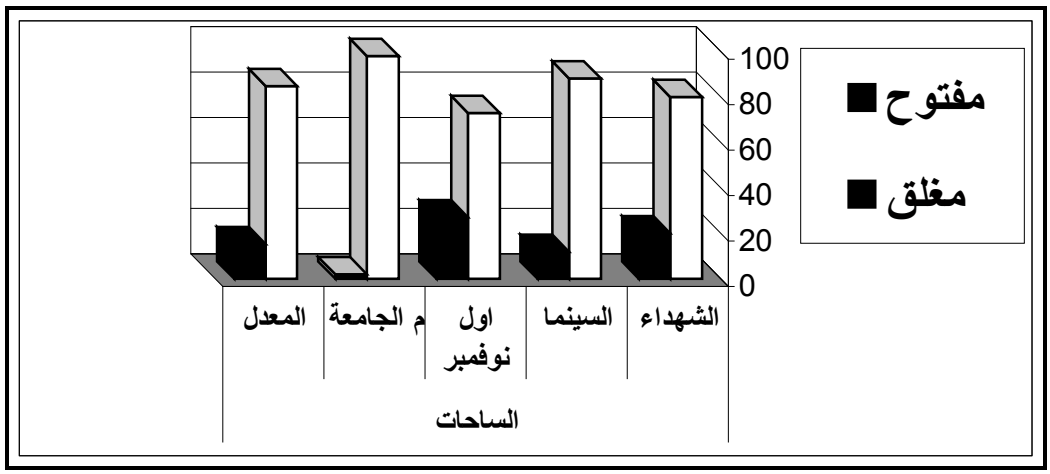

المخطط 02 : حكم المستعمل بانفتاح أو انغلاق الساحات

من المنحنى يتبين لنا أن الساحات هي مفتوحة عند كثير من الناس وبنسبة 84.75**%**، بينما فـــئة قلـــيلة تقـــدر نسبتها بـــ15.25**%** تراها مغلقة، وهو الأمر الذي يدعمه أعمال إعادة التهيئة لبعضها، والتي عرفت إزالة السياج أو الحائط لأسباب أمنية، وهو الشيء الذي جعلها مكشوفة أمـــام الجميع، فالانفتاح في نظر الناس لـــه علاقة مع حرية استعمال هذه الأماكن وخاصة في غياب سور لها، وأيضا يرتبط من جانب ثان باتساع الفضاء نفسه.

II -3 أبعاد الساحة في المدينة:

بالنسبة للسؤال المطروح حول أبعاد الساحات هل هي كبيرة، متوسطة، صغيرة فإنه قدم لنا إجابات متفاوتة والتي عرضناها في المخطط التالي:

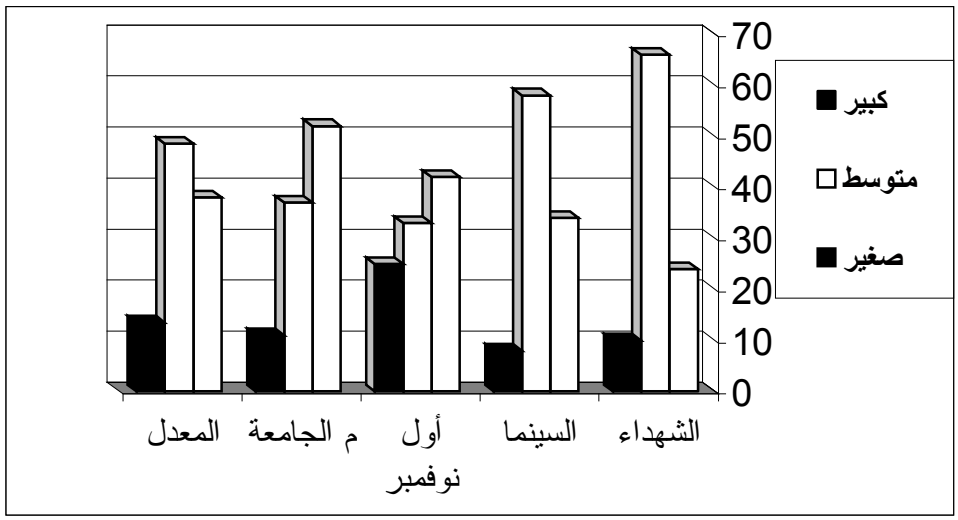

المخطط 03: نظرة المواطن لأبعاد الساحات

بالنسبة لمجمل الساحات فتغلب الإجابة على أنها متوسطة الحجم وذلك بنسبة 48.5% وهي نسبة ليست بعيدة عن التي تعبر بكبر حجمها 38% ، أما النسبة التي ترى أن أبعاد الساحة صغيرة فتقدر بـــ 13.5% ، في حين على مستوى الساحات المختارة فنجد:

الساحة المحاذية للجامعة تبدو كبيرة وبنسبة كبيرة 52% ، في حين هي صغيرة عند الآخر وبنسبة 11%، وهي تصريحات لا تتباعد عن واقع مساحة الساحة والمقدرة ب 11000 م^2.

بالنسبة لساحة أول نوفمبر فنجد التقديرات غير متفاوتة بشكل كبير في الحالات الثلاثة، في حين مساحتها الفعلية فتقدر 1594 م^2 .

في ساحة العقيدين (السينما) نجد أن أكثر من النصف 58% يعتقد أنها متوسطة المساحة، في حين مساحتها الفعلية فتقدر بـــ 10000 م^2 .

- ساحة الشهداء نجد أن ما يقارب الثلثين يرونها متوسطة الحجم، بينما 10% يراها صغيرة، أما مساحتها الحقيقية فتقدر بـــ 3900 م^2 .

الاستنتاج:

إن شكل وتهيئة وتأثيث الساحة تعد جوانب يمكنها أن تعطي صورة عن حجمها، ذلك أن ساحتين بنفس الحجم يمكن أن يقدم المستعمل عنهما رأيين مختلفين، وهذا حسب المظهر والتطبيقات التي قد تتميز بها كل واحدة، من هذا فتقدير الحجم هو في علاقة مع أهمية الساحة، تصميمها وتهيئتها، كما نجد كذلك أن حجم أو مساحة الساحة هو في علاقة مع هيكلتها سواء بالمباني أو الطرق والشوارع المحيطة بها.

II -4 وضعية وحالة تهيئة الساحات في المدينة:

الساحة فضاء عمراني معرض للتدهور عبر الزمن، وهذا التدهور يختلف من ساحة إلى أخرى وكذا في الساحة نفسها، ويعود ذلك إلى نوعية التهيئة وكذا المواد المستعملة، وهو ما يكون نظرة مختلفة عند المستعمل حيال ذلك، من أجل ذلك سألنا المستعمل حول حالة الساحة الموجود فيها، فتوصلنا إلى النتائج والتي بيناها في المنحنى التالي:

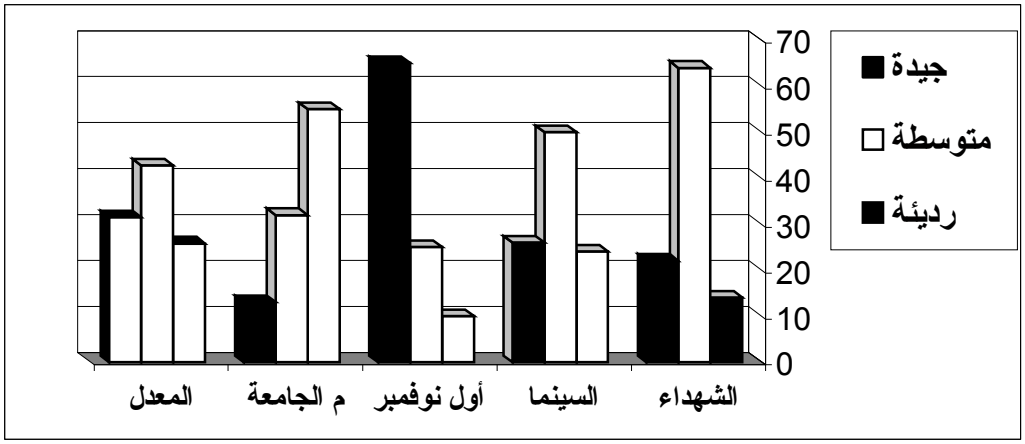

المخطط 04 : منحنى يبين حكم المواطن على حالة الساحة

إن أغلبية ساحات المدينة تظهر في حالة من المتوسطة إلى الرديئة بنسب 42.75% 31.5% على الترتيب، في حين 25.75% من المستجوبين يقدرونها بالجيدة، وهذه النتائج لا تتطابق مع كل الساحات حيث نجد أن:

- الساحة المحاذية للجامعة جيدة بنسبة 55% من المستجوبين مقابل 13% يقدرها بالرديئة.

  ساحة أول نوفمبر هي رديئة بنسبة 65% وعند مستجوبين آخرين جيدة بنسبة 10%.

- أما ساحتي السينما والشهداء فهما في حالة متوسطة وبنسب تقارب النصف أو تفوق قليلا، ولقد ربطت هذه المعطيات بحداثة بعضها وكذلك التدخلات الأخيرة على الأخرى، بينما ساحات أخرى تعرف الإهمال وهو ما زاد من تفاقم حالتها.

الاستنتاج:

إن لشكل التهيئة علاقة بتدهور الساحة أو العكس، ذلك أن تواجد النباتات والأشجار يتطلب عناية كبيرة من طرف المسؤول، ومن جهة أخرى حماية لها ووعي بأهميتها من طرف المستعمل، بالإضافة إلى ذلك إن نوعية المواد المستعملة في الساحة يمكنها أن تساهم في تدهور حالتها بمرور الوقت، لذلك فالساحة في حاجة دائمة إلى مراقبة وتدخلات للمحافظة على نوعيتها الفيزيائية.

II -5 العناصر المرغوب تواجدها في الساحة:

الساحة فضاء يستعمله المواطن ليلبي بعض من طموحاته فيها، وحتى نبلغ ساحات تتوفر عن ما يبحث عنه المستعمل أو المواطن سألنا المتواجدين بها عن بعض الجوانب التي ترغبهم فيها.

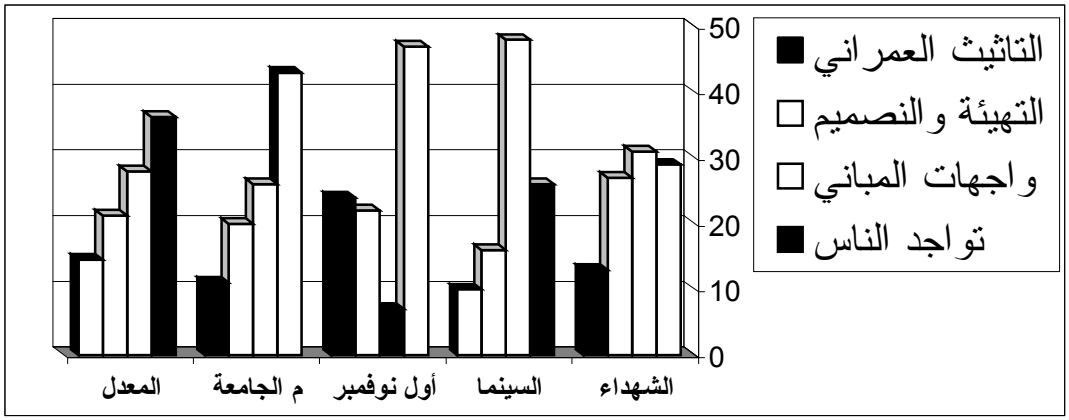

المخطط 05: جوانب اهتمام الناس بالساحة

من المنحنى يتبين لنا أن نسبة 36.25**%** من الناس يفضلون الساحات الأكثر تأثيثا وتهيئة بالعناصر الطبيعية كالنباتات والأشجار...، وكذلك بعض العناصر الفيزيائية كالنافورات والأكشاك وغيرها، في حين نسبة أقل من الناس تقدر بـــ 28**%** يولون الاهتمام الأكبر بالتهيئة (التصميم، الأبعاد، الشكل...)، بينما نسبة الذين يهتمون بما يحيط بها من مباني وواجهاتها فهي لا تتعدى 21.25**%** ، والنسبة الباقية 14.5**%** فيفضلون تواجد الناس بها.

الاستنتاج:

نستنتج من خلال المعطيات أن التأثيث العمراني وعناصر كالنباتات والنافورات تلعب دورا كبيرا في استقطاب الناس، لكن ما نلاحظه في الواقع وبالنسبة لأغلبية الساحات هو افتقارها إلى التأثيث العمراني، كما يبين المنحنى أن الأقلية من مستعملي الساحات يحبذون تواجد الناس بها، وهذا ما يظهر في الساحة المحاذية للجامعة مثلا11**%**، أيضا واستنادا إلى الإحصائيات نلاحظ أن العينات من الساحات تعرض تفاوتا في توفير ما يفضله المستعمل إلا أن عنصر التأثيث والتهيئة هما المعتبران بالدرجة الأولى شريطة أن يحققان قدرا من الهدوء.

II -6 حكم المواطنين على نوعية الساحة:

إن سؤال المواطن عن نوعية الساحة هل هي جميلة، متوسطة أو رديئة الجمال يمكننا من معرفة بعض العناصر التي قد تساهم في جمالها، ومن أجل ذلك طرحنا هذا النوع من التساؤل، والشكل التالي يعرض لنا النتائج المتوصل إليها:

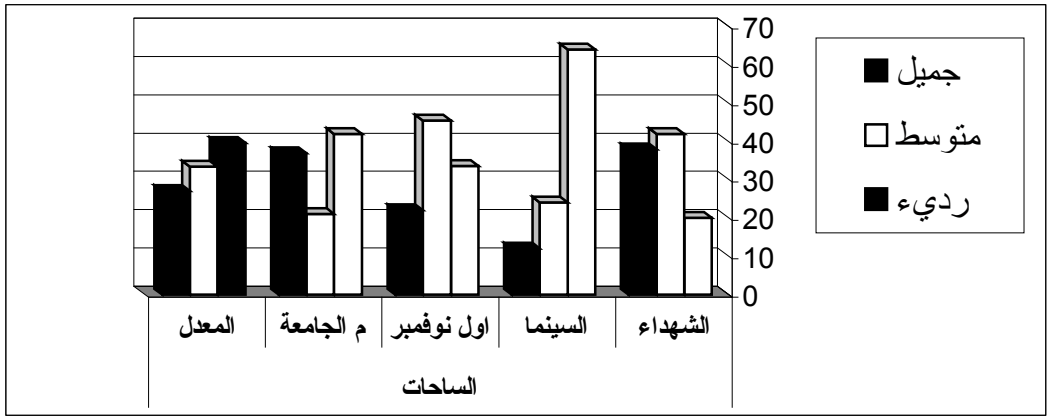

المخطط 06: حكم المواطن على نوعية الساحة

إن نسبة 39.63% من المستجوبين يرون أن الساحات تتمتع بالجمال وهذا بالنسبة للعينات المختارة، في حين لا تتعدى النســبة 27% للذين يرونها رديئة، إلا أنه يظهر أن ملاحظات المستجوبين تختلف حسب العينة إذ نجد أن :

بالنسبة لساحة السينما فما يقارب الثلثين 64% يراها جميلة مقابل 12% يصفها بالرديئة.

بالنسبة للساحة المحاذية للجامعة فتقييمها متقارب بين الجميل والرديء وبنسب42% و37% على التوالي.

بالنسبة لساحة الشهداء أين نجد 38% يصفها ضمن الرديء مقابل 20% يصنفها بالجميلة.

ساحة أول نوفمبر تتقارب بين المتوسط والجميل وبنسب 45.5% و33.5% على الترتيب، ولا يتعدى الرديء 22%.

الاستنتاج:

نستنتج أن التقييم الإيجابي لجمال الساحة قد يكون سببه:

وجود تناسق بين مختلف الفضاءات:أماكن الجلوس والأشجار ومساحات خضراء والتصميم.

- وجود مساحات مختلفة في التهيئة والتصميم ومستويات الأرض في نفس الساحة.

ومن الملاحظ أن ساحة أول نوفمبر تحتوي لبعض خصائص ساحة السينما لكنها تظهر أهمية أقل وهذا ما يقدم استنتاجا على أهمية المحافظة عن جمالها.

II -7 أسباب استقطاب الساحة للمواطنين:

لمعرفة بعض الجوانب التي يأتي المواطن من أجلها إلى الساحة طرحنا عليه تساؤلا يدور حول هذا الجانب، ولقد حددنا بعض النقاط مثل حبه للمكان يستقطبه إليها للتجوال، الجلوس أو

الالتقاء بالآخرين، كما يمكن استعمالها للعبور أو للشراء، في حين تواجد بعض الآخر لعدم وجود أمكانا آخر يقصدونها، فحصلنا على مجموعة معلومات بلورناها في المخطط التالي:

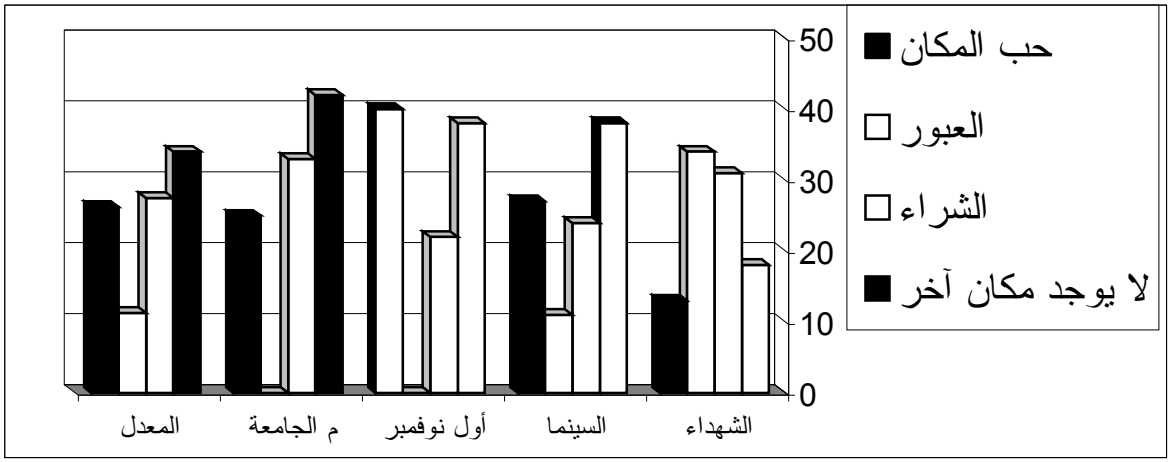

المخطط07 : أسباب استقطاب الساحات للمواطنين

بالنسبة للأسباب التي تؤدي بالأفراد الذهاب إلى الساحات وجدنا أن حب المكان يأتي في الدرجة الأولى عند 34% من المستجوبين، في حين 27.5% منهم فيعبرونها فقط، أما النسبة الثالثة من المواطنين 26.25% فإنها لا تجد أماكن أخرى لترتاح بها لدا يأتون إليها، بينما النسبة القليلة والأخيرة من المستجوبين 12.25% فيقصدون الساحة من أجل الشراء، هذا على العموم أما بشيء من التفصيل فنجد:

نسبة 38% من الناس يقصدون ساحة السينما لحبهم لها، ونسبة أقل منها 27% من الناس هم الدين لم يجدوا أماكن أخرى يقصدونها، في حين النسبة الثالثة 24% فيستعملونها للعبور، وأما النسبة المتبقية فهم الذين يأتون للشراء من حدودها أو عليها(شراء العملة...).

النسبتان الأكبر في ساحة الشهداء هما 36% و31% وتمثلان الشراء والعبور على التوالي، وهذا كون الساحة تحتل القلب القديم للمدينة وكذا كونها نقطة تجارية هامة، في حين نسبة ضعيفة 13% فتمثل الذين لا يجدون مكانا آخر يذهبون إليه وخاصة بالنسبة لكبار السن الذين يقطنون المحيط المجاور لها أو الذين يملكون تاريخا مشتركا معها.

بالنسبة لساحة أول نوفمبر فإننا نجد نسبة 40% من المستجوبين هم الذين لا يجدون أماكن أخرى يقصدونها وخاصة في المحيط القريب منها، في حين نسبة 38% يقصدونها للتجوال أو الجلوس لا سيما وأنها تحتوي على الأشجار ونافورة مياه، أما الذين يعبرونها فتقدر نسبتهم بـــ 22%، ومن العناصر التي تحد من هذا العبور هو وجود سور من السلاسل يحيط بها.

 أما الساحة المجاورة للجامعة فالنسبة الكبيرة 42% يستعملونها للجلوس وخاصة من طرف الطلبة الجامعيين، في حين 33% هم الذين يعبرونها في أوقات الدراسة، والساحة غير مخصصة للتجارة 0%، في حين النسبة المتبقية لا تجد مكانا للجلوس في المحيط المجاور عدا الساحة 25%.

الاستنتاج:

نستنتج مما سبق أن التجارة العشوائية المنتشرة في الساحة أو على أجزاء منها تقلل من أهميتها ومن استعمال الآخرين لها، كما أن افتقار الأحياء إلى مناطق وفضاءات منافسة لها هو من أسباب تواجد الناس بها، بينما موقعها، شكلها وتصميمها يمكن أن يجعل منها نقطة عبور.

II -8 الأوقات المفضلة للمواطنين لزيارة الساحات:

إن معرفة الأوقات المفضلة لاستعمال المواطن للساحات يمكننا من تحديد جوانب أخرى ككيفية معالجتها وتصميمها وكذا التنبؤ بحجم استعمالها، بالإضافة إلى مدى ارتباطها بالحياة الاجتماعية.

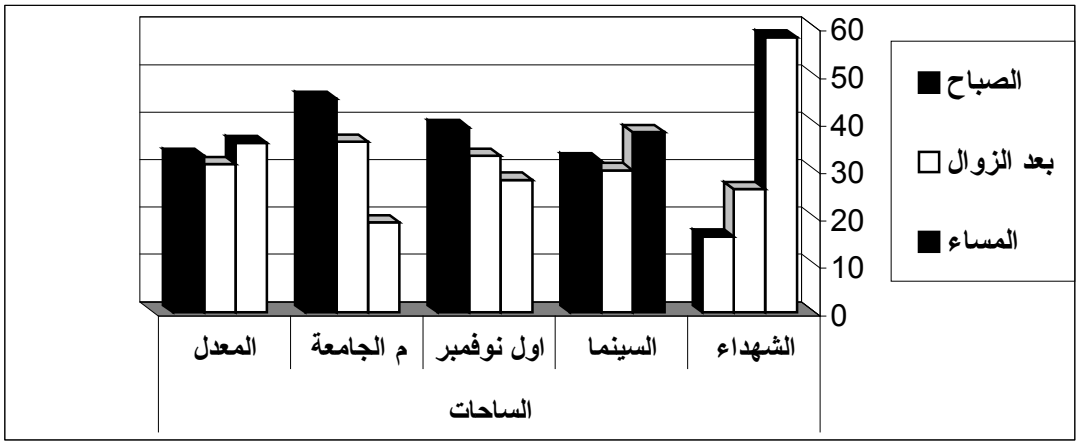

المخطط 08: أوقات استعمال الساحات

يبدو أن زيارة الساحة تتم في أوقات مختلفة من النهار، وهو الأمر الذي تعكسه النسب المتقاربة على العموم، أما على مستوى كل ساحة فنجد ساحتي أول نوفمبر والمحاذية للجامعة هما الأكثر استعمالا بالمساء وبنسب تقارب النصف في حين الساحتين الأخرتين فنجد استعمالهما الكبير في الفترة الصباحية، وتجدر بنا الإشارة إلى أن استعمال بعض الساحات بالمساء هو من طرف أشخاص أو فئات منحرفة كما هو الأمر في ساحة السينما.

الاستنتاج:

يمكن القول أن التجهيزات المحاذية للساحة تلعب دورا مهما في استعمالها، كما أن موقعها ضمن مجموعة الأحياء يجعل استعمالها كبيرا وخصوصا في الفترة المسائية لتفرغ أغلبية السكان من العمل.

II -9 الأيام المفضلة للحضور إلى الساحة:

إن استعمال الساحات يختلف حسب الأيام، ولمعرفة السر في ذلك طرحنا هذا التساؤل على مستعمليها، والنتائج المتوصل إليها صغناها في الشكل التالي:

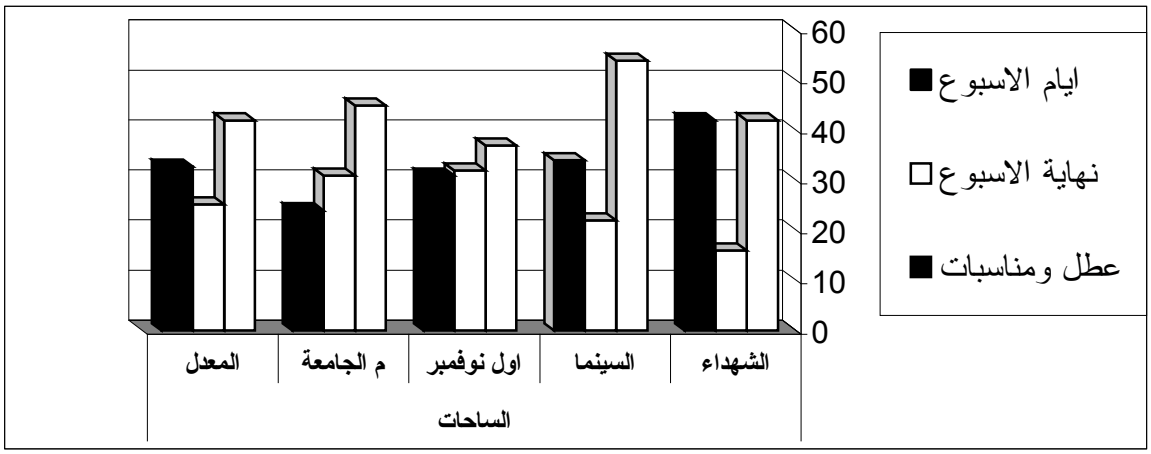

المخطط 09 : أيام استعمال الساحات بكثافة اكبر

من المنحنى البياني نلاحظ أن استعمال الساحات يكون بشكل كبير أيام الأسبوع وهذا ما أشارت إليه نسبة 42% من المواطنين، كما تشهد الساحات استعمالا ونشاطا وحيوية أيضا خلال المناسبات والعطل وبنسبة 32.75%.

الاستنتاج:

يظهر أن استعمال الساحات الكبير يتم خلال أيام الأسبوع كونها ساحات جوارية تقع ضمن أحياء أو مجموعة أحياء، لذلك يقصدها الناس للراحة عقب ساعات العمل .

II -10 الفصول التي تستعمل فيها الساحات بكثافة عالية:

إن معرفة فصول استعمال الساحات يبين لنا مدى ارتباطها بالجانب المناخي من جهة ومن جهة ثانية ارتباط المستعملين بجوانب أخرى كالعمل أو الدراسة، لذلك حاولنا معرفة فصول استعمال الساحات بأكثر كثافة، فتوصلنا إلى ما يلي :

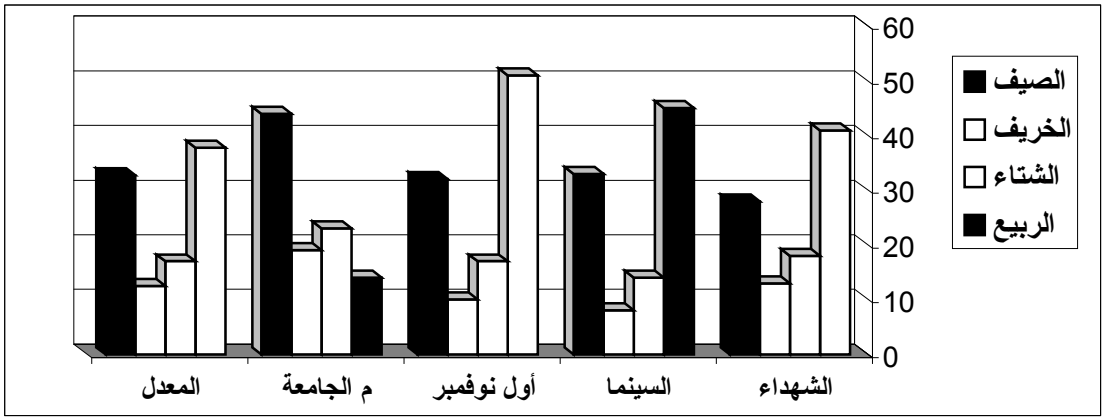

المخطط 10: فصول استعمال الساحات

نلاحظ أن الساحات هي أكثر استعمالا في فصلي الصيف والربيع وهذا وفق النسب التي قدمها المستجوبين37.75**%** و32.75**%** على الترتيب، بالمقابل نجد أن أقل استعمال لها هو في فصلي الشتاء بنسبة 17**%** والخريف بنسبة 12.5**%** ، وبشيء من التفصيل نجد:

* ساحتا الشهداء والسينما هما الأكثر استعمالا في الصيف وهذا ما يفسر حسن تعاملهما مع الجانب المناخي، إذ تظهر ساحة الشهداء صغيرة ومغلقة مما جعلها توفر التظليل والحماية من أشعة الشمس بالإضافة إلى تواجد أروقة مغطاة على إحدى جوانبها، أما ساحة السينما فمن خلال تواجد الأشجار والنباتات وكذا تراصف من الأقواس عملت على توفير الظل والهواء المنعش، وهو نفس الجانب الذي يمكن ملاحظته في ساحة أول نوفمبر أين تنتشر الأشجار وسور من الأقواس على طول حدودها لكن في غياب الحالة الجيدة لها.

* أما الساحة المحاذية للجامعة فهي أقل استعمالا في الصيف لجانبين:

معظم مستعمليها هم من الطلبة حيث يعودون إلى منازلهم خلال العطلة الصيفية .

• تعرض الساحة الشديد لأشعة الشمس لحداثتها وبالتالي صغر الأشجار، ومن جانب آخر اتساعها يجعلها لا تتعامل مع الجانب المناخي بشكل جيد.

الاستنتاج :

إن المعالجة المناخية أثناء تصميم الساحة له أهمية بالغة في تواجد السكان بالساحة.

II -11 التواجد في الساحة أفرادا وجماعات:

إن الساحة عبارة عن مكان للحياة الاجتماعية وهو ما عبر عنه الكثير من الباحثين، إلا أن تواجد الأشخاص قد يكون في شكل أفراد أو جماعات، وهو الأمر الذي يمكن أن تحكمه جوانب

من استعمالها، لهذا السبب حاولنا معرفة أسباب تواجد الناس في الساحة جماعة أو أفرادا رابطين ذلك بالظروف المختلفة لها، فتوصلنا إلى المنحنى التالي:

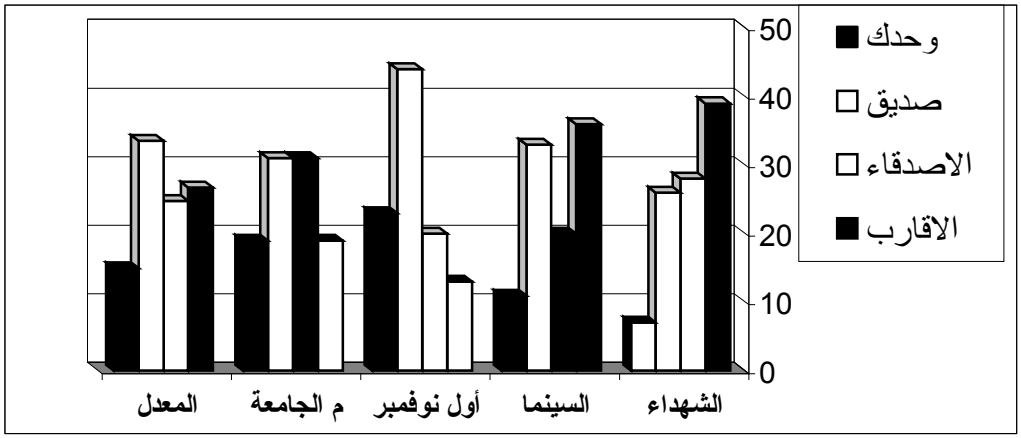

المخطط11: وضعية تواجد الناس بالساحة

الأغلبية يقصدون الساحة وحدهم أو رفقة صديق، وهذا ما يظهر في أغلب الساحات وبنسب تتراوح بين 26.75% و24.75%، في حين النسبة الأكبر33.5% يتواجد فيها الناس في الساحة رفقة الأصدقاء (جماعات)، وما يمكن ملاحظته هو قلة نسبة تواجد الأفراد رفقة أقاربهم 15% وهذا كون معظم الساحات هي فضاءات مفتوحة للجميع على اختلاف سلوكاتهم، أما تحليل ذلك على مستوى كل ساحة فنلاحظ:

في الساحة المحاذية للجامعة النسبة الأكبر31% تفضل الجلوس رفقة صديق أو مجموعة من الأصدقاء خاصة وأن معظم المستعملين طلبة، في حين نسبة أقل للمتواجدين مع الأقارب أو على انفراد 19%.

ساحة الشهداء فنسبة 39% هم الذين يتواجدون بمفردهم وهذا كون أغلبيتهم متقاعدين وكبار السن ولا يجدون مكانا أفضل للجلوس فيه من هذه الساحة وكذا لارتباطها بتاريخهم، في حين النشاط التجاري وحركة المرور الكثيفة يحدان من جلوس الأقارب بها.

ساحة السينما يقصدها الكثير بمفردهم 36% بحثا عن الهدوء وكذا لإعجابهم بها.

- ساحة أول نوفمبر يتجمع الأصدقاء فيها بنسبة عالية تقدر بـــ44%، في حين يقصدها الأفراد مع أقاربهم بنسبة 23%، بينما يجلس فيها الأشخاص مع رفيق لهم بنسبة 20%، وربما يجلسون لوحدهم 13%،كل ذلك يدل عن تواجد الساحة ضمن أحياء سكنية تتجسد فيها العلاقات الاجتماعية، كما يفسر ذلك نقص مثل هذه الأماكن على مستوى هذه المنطقة.

الاستنتاج:

أن للوظيفة الغالبة على الساحة وشكل تهيئتها وأماكن تواجدها دورا كبيرا في تحديد نوع تواجد الأفراد بها أي أفرادا أو جماعات.

II -12 إحساس الأفراد حين التواجد بالساحة:

إن إحساس الفرد اتجاه المكان الموجود فيه يظهر في علاقة مع الجوانب التي قد تربطه به كما أن معرفة إحساس الفرد حول تملك المكان أو أنه غريب عنه يمكننا من معرفة إمكانية مساهمته وتأثيره على هذا الفضاء، وللبلوغ إلى هذه الغاية طرحنا سؤالا على المتواجدين بالساحة والذي يتناول إحساسهم بالانتماء إلى الساحة أو عكس ذلك.

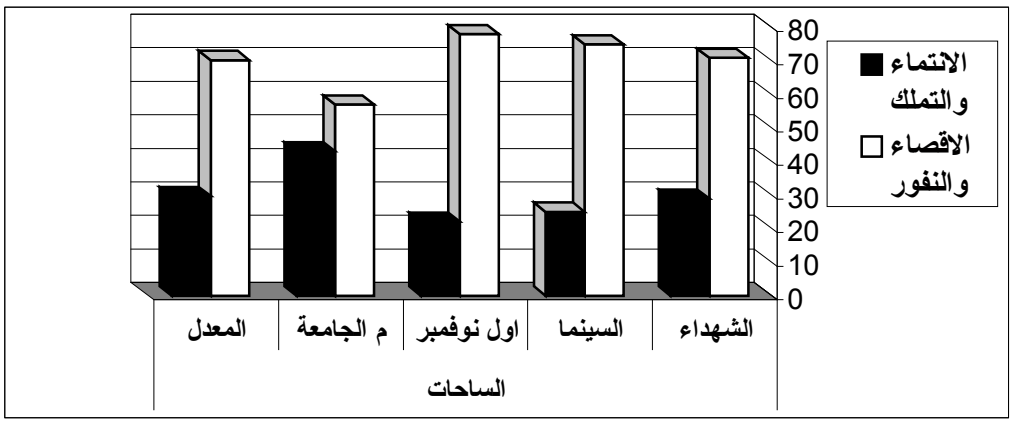

المخطط 12: إحساس المواطن بتملك الساحة

نلاحظ أن نسبة كبيرة من المستجوبين 70.25% يشعرون بالانتماء وتملك هذا النوع من الفضاءات، ويظهر ذلك تقريبا في أغلب الساحات، كما أن هذا الشعور تحكمه جوانب عديدة نذكر منها:

تاريخ الساحة وخاصة تلك التي تعود إلى أزمنة قديمة، إذ يشعر المواطن أنها تنمو معه وأنها جزء منه ومن ماضيه.

تواجد الساحة ضمن الحي يجعل مستعمليها يشعرون بأنها حق وملك لهم.

الاستنتاج:

انطلاقا من ذلك يمكن استنتاج أن الأخذ بآراء المستعمل حول تصميم الساحة وتهيئتها أمر ضروري ينطلق من شعوره بتملكها، كما أن هذا الجانب له فائدة في أمور تسييرها، في حين إحساس المواطن اتجاهها فله علاقة بتعايشه مع المكان.

II -13 الجوانب المزعجة في الساحة:

الساحة فضاء تتفاوت استعمالاته من ساحة إلى أخرى وهذا حسب تعامل كل منها مع الجوانب التي لا يحبها المواطن، وللوصول إلى تحديد ما يكرهه المواطن في هذه الأماكن وبالتالي أخذها بعين الاعتبار طرحنا تساؤلا حول بعض الجوانب التي قد تزعجه فيها، وبينا ذلك في الشكل التالي:

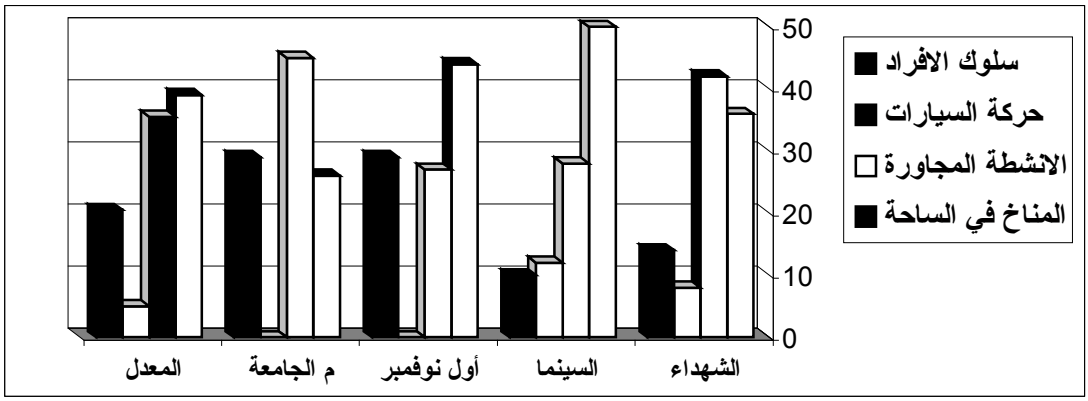

المخطط 13 : الجوانب المزعجة في الساحات

يتبين لنا أن الجوانب التي تشكل إزعاجا في الساحة تظهر بصفة كبيرة في تأثيرات داخلية تتعلق بسلوك الأفراد وكذا تأثيرات خارجية تتعلق بهيكلة الطرق وحركة المرور حولها وما يمكن أن تنتجه من ضوضاء، وهذا ما يبرز أن نسبة 35.25**%** هم الذين يشكون من حركة المرور ونواتجها، في حين نسبة 39**%** فتعبر عن الذين يتذمرون من سلوكات الأفراد، أما على مستوى كل ساحة فنجد ما يلي:

في ساحة السينما نسبة 28**%** من المستجوبين يشكون من إزعاج السيارات لهم، وهذا خاصة وأن الساحة تقع بين طريقين رئيسيين في المدينة، وإلى جانب ذلك نسب أكبر تقدر بـــ 50**%** من المستجوبين والتي تعبر عن التذمر من المنحرفين.

أما ساحة الشهداء فنجد نسبة 42**%** تعبر عن الذين يشتكون من كثافة حركة السيارات وهذا لتواجد مفترق طرق مهم فيها.

أما الساحة المحاذية للجامعة فهي تقع في زاوية مفترق طريقين أحدهما للحركة الثقيلة والثاني طريق رئيسي وهو ما شكل مصدرا للإزعاج لها، ولقد عبرت عن ذلك نسبة 45**%**.

• ساحة أول نوفمبر وإن كانت تحيط بها طرق من الدرجة الثانية فهي أيضا تشكل جانب إزعاج للمستعمل وخاصة الأطفال.

الاستنتاج:

إن تمحور الطرق حول الساحات أو تواجدها بداخلها عامل مهم في تحديد مدى استعمالها وأهميتها، وإذا كانت الطرق تعد مصدرا للضجيج والتلوث وحوادث المرور فالتعامل مع هذا الجانب يعد ضروريا في التصميم وأيضا من ناحية تحديد الموقع الجيد للساحة.

II -14 أسباب أخرى لعدم استعمال الساحات:

تدعيما للبحث في جوانب عدم استعمال الساحات قمنا بتحديد جوانب أخرى والتي ربما قد تعبر عن إهمال في التسيير أو رقابة هذه الأماكن، ولقد قدمناها في الشكل التالي:

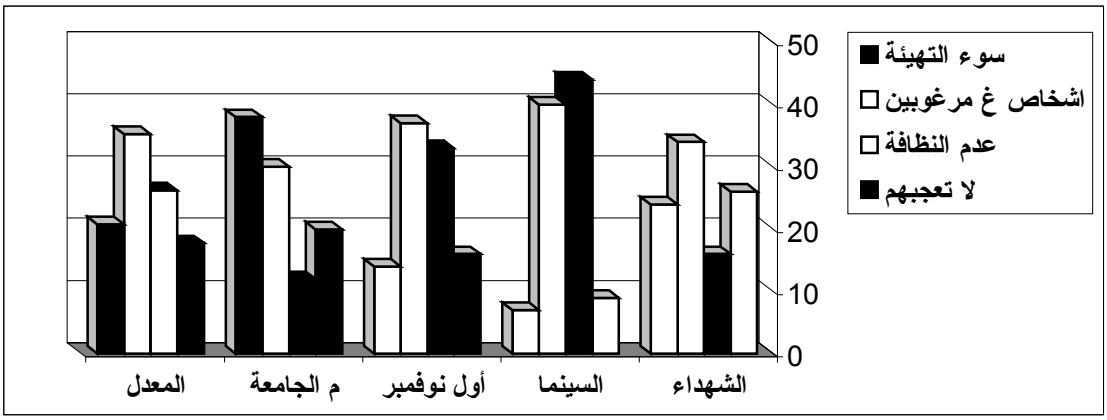

المخطط 14 : أسباب عدم استعمال الساحات

تتواجد أسباب أخرى تعبر عن عدم الاستعمال الجيد للساحة ومن المنحنى نترجمها في جانبين:

أسباب اجتماعية تتعلق بأخلاق وسلوكات الأفراد، فوجود ذوي الآفات الاجتماعية يشكل سببا كبيرا في عدم استعمالها وهذا ما أشارت إليه نسبة 44% من المستجوبين بساحة السينما، وفي ساحة أول نوفمبر فنجد نسبة 33% من المستجوبين تشير إلى نفس السبب، بينما تقل النسبة في ساحتي الشهداء 16% والساحة المحاذية للجامعة12%،ويفسر ذلك مايلي:

- انفتاح الساحة أمام الجميع وهذا ما يظهر في الساحة المحاذية للجامعة، إضافة إلى استعمالها الكبير من طرف طبقة مثقفة تمثل الطلبة الجامعيين.

- موقع الساحة من المدينة وكذا تواجد الناس الكثيف يشعرهم بأنهم مراقبون من طرف بعضهم، كما أن تواجد رجال الأمن يساهم في ذلك.

طريقة تصميم وتهيئة الساحة وكذا تلاحمها مع المباني، وهو الجانب الذي قد يوفر أماكن غير مرئية من طرف الآخرين، فتستغلها بعض الفئات غير المرغوبة كشاربي الخمر.

- قلة الاعتناء بالساحة يجعلها مهجورة من طرف الناس، وبذلك تعطي الفرصة لفئات أخرى.

كما نجد أسبابا أخرى تحط من استعمال الساحة وأهميتها وهو جانب النظافة فيها وهذا ما عبرت عنه نسبة 35.25% وهو الأمر الذي يعكس غياب التسيير في هذه الأماكن.

أما عدم الإعجاب بالساحة وسوء التهيئة فإنه يظهر اختلافا من ساحة لأخرى، من ذلك فالقليل من يبدي عدم إعجابه بساحة السينما07%، في حين يرى أن تهيئتها سيئة ما يعادل 09% من المستجوبين، وهو الأمر الذي يعكس مكانة الساحة المرموقة من ناحية التصميم والتهيئة وهو أمر لا يختلف عن واقعها.

الاستنتاج:

إنه قبل التفكير في تصميم وإنجاز الساحة يجب التفكير في الأمور المتعلقة بتسييرها، صيانتها، نظافتها والحفاظ عليها، وكذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار الفئات المختلفة التي يمكن أن تستعملها.

II -15 نظرة النساء اتجاه الساحة:

بما أن الساحة فضاء وجد للاستعمال الحر من طرف مختلف فئات المجتمع، فإننا نبحث في استعمالها حسب الجنس، من هذا الجانب تبادر لنا تساؤلا هل النساء في حاجة لمثل هذه الأماكن، ولعل ما يبرر تساؤلنا هذا هو انفتاح الساحة لاستعمال النساء في أماكن أخرى، وللوصول إلى معرفة أسباب استعمالهن أو عدمه للساحات طرحنا ذلك في شكل تساؤل وجه إليهن، والنتائج بينها في الشكل التالي:

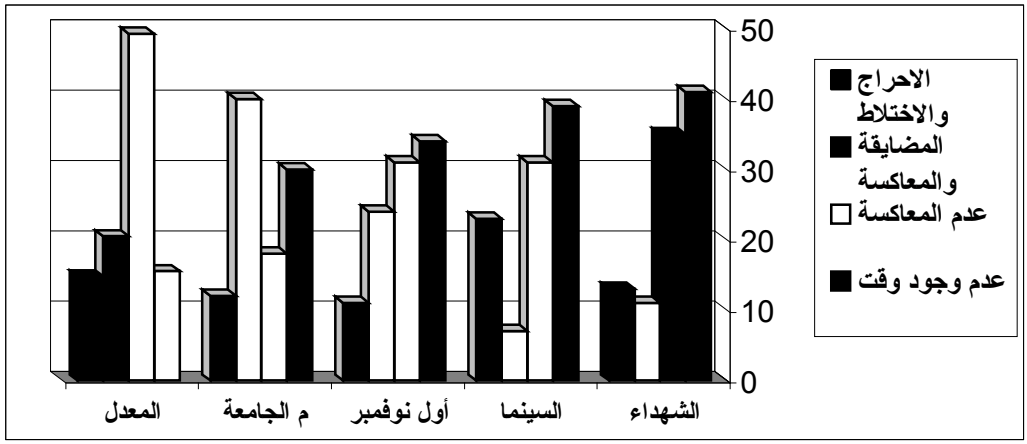

المخطط 15: أسباب عدم استعمال النساء للساحات

يمكن دعم الأسباب المشار إليها في النقطة السابقة بجوانب أخرى التي تتعلق بفئات ممكن استعمالها للساحة كالنساء، وذلك بسؤالهن عن شعورهن حول الساحات.

الملاحظ أن نسبة من المستجوبات 15.5**%** يشعرن بالإحراج من الاختلاط فيها وما يمكن أن يسبب لهن من معاكسات ومضايقات، وهو الأمر الذي أشارت إليه نسبة49.25**%** منهن، في حين نسبة 20.5**%** من المستجوبات لا يجدن حرجا في الاختلاط وهذه النسبة مثلت في الغالب المثقفات من النساء أو اللاتي يدرسن أو يعملن، بينما النسبة المتبقية والمقدرة 14.75**%** فهي تعبر عن اللواتي لا يجدن وقتا للجلوس في مثل هذه الأماكن.

الاستنتاج:

إن طبيعة التقاليد ونوعية حياة الأفراد وثقافتهم سبب آخر في تحديد مدى استعمال الساحة، لذا يجب التفكير به قبل وبعد إنجاز الساحة، كما أن انعدام الأمن هو جانب يجب توفيره للسير الحسن لعمل الساحة والتصرف الحر للأفراد فيها.

II -16 أسباب عدم استعمال الأطفال للساحات:

إن من بين مستعملي الساحات فئة الأطفال، إذ يملكون طموحات ضمن هذا المجال، ويتواجدون في ساحات عدا الأخرى،ويبين الشكل التالي سبب ذلك:

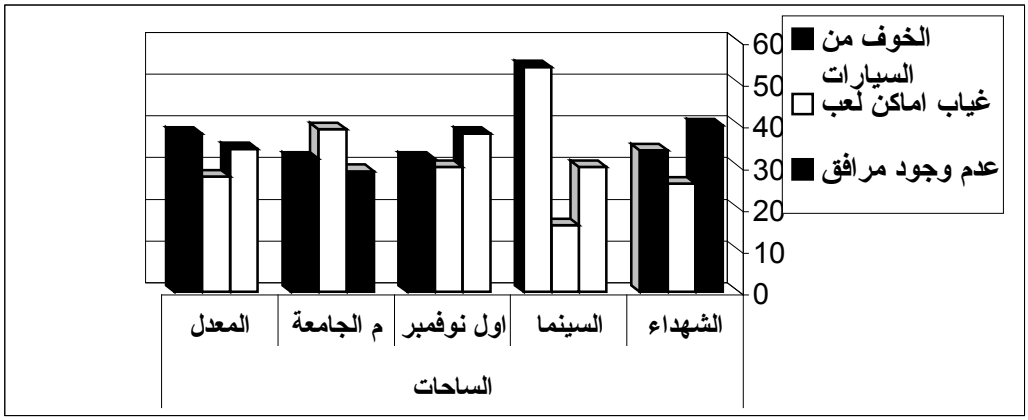

المخطط 16 :أسباب عدم استعمال الساحات من طرف الأطفال

يسعى الأطفال دوما للبحث عن أماكن للعب عليها، إلا أنه هناك بعض الأسباب والتي قد تحول دون ذلك، لذلك طرحنا تساؤلا حول هذا الجانب، ويبدو أن العناصر الثلاثة أي الخوف من السيارات، غياب أماكن لعب مخصصة وعدم وجود مرافق لهم هي من الأسباب التي تدفعهم لعدم استعمالهم للساحات بشكل كبير، وهذا ما عبرت عنه نسب متقاربة من الإجابات (34.25%، 27.25%، 38%) لكن هذا الأمر لا ينطبق على كل الساحات إذ نجد:

* في ساحة الشهداء 40% من المستجوبين يبدي خوفه على الأطفال من حوادث المرور، وهو الأمر الذي يبرره تواجد مفترق طرق مهم في المدينة في مجالها الضيق، من جانب آخر الساحة لم تصمم لاستقبال هذه الفئة من المجتمع، كما أشارت نسبة 26% من المستجوبين إلى عدم تواجد أماكن للعب الأطفال.

* في ساحة السينما وبالرغم من قلة الخوف على الأطفال داخل الساحة لوجود ممرات مخصصة للراجلين وإضافة إلى التنوع في المساحات(أرضية مبلطة، أرضيات عشبية، أماكن مشجرة...) إلا أن نسبة 54% من المستجوبين يرجع السبب إلى عدم وجود مرافق للأطفال، بينما الحالات الثلاثة هي متقاربة في الساحتين المتبقيتين.

الاستنتاج:

نستنتج أنه من الأسباب المساعدة في اتساع استعمال الساحات حتى تسمح للأطفال بهذا الامتياز نجد:

الجانب التربوي والمتمثل في الدور الذي يمكن للأولياء تأديته كاصطحاب الأولاد إلى الساحة.

• جانب خاص بالتهيئة العامة للمدينة، وما يمكن أن توفره من أمن خاصة من الحوادث، وهذا الأمر يتطلب اهتماما بوضع الساحات ضمن مناطق توفر حماية أكبر من أخطار السيارات.

تهيئة الساحة نفسها وما توفره من متطلبات وطموحات الأطفال، وأيضا توفيرها للأمن داخلها.

II -17 استعداد المواطن للمساهمة في نشاطات ترقية الساحات:

الساحات مجال عمراني معرض للتدهور إذا لم يحسن الاهتمام به، من أجل ذلك أردنا معرفة إسهام المواطن أو المستعمل في تحسينه، ولقد طرحنا التساؤل التالي: هل أنت مستعد أن تساهم في تحسين حالة الساحة ؟ وكيف ذلك؟ والإجابات صغناها في المنحنى التالي:

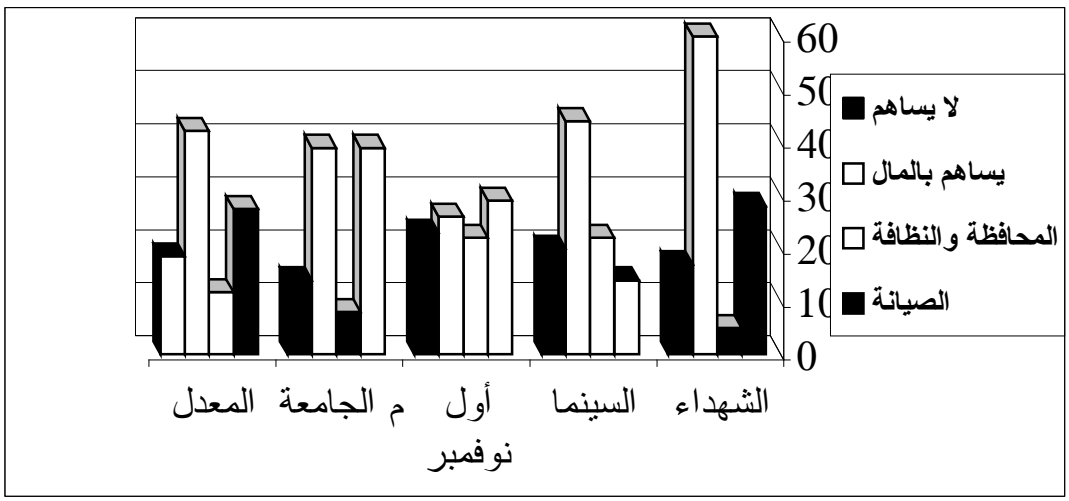

المخطط 17 :طرق إسهام المواطن في ترقية الساحة

المنحنى يظهر أن النسبة الكبيرة من المواطنين 42.25**%** أبدت استعدادها للمساهمة بالجهد، وذلك من خلال المحافظة والنظافة، لكنها لا تبدي استعدادا للمساهمة بالمال أو الصيانة، وهذا ما عبرت عنه النسبتين 11.75**%** و18.5**%**على الترتيب، أما النسبة الثالثة27.5**%** فلقد أبدت عدم استعدادها للمساهمة في تحسين الساحة.

الظاهر من كل هذا أن المساهمة في الساحة تتعلق بالجانب المادي، حيث أن الكثير يرى أن الساحات هي ميدان عام ترجع فيه المسؤولية للمسير فقط أي الجماعات المحلية.

الاستنتاج:

نستنتج أنه هناك انبعاث جديد قد يساهم في تسيير الساحات ويتمثل في إشراك المواطن في ترقية حالتها الفيزيائية، وهو الأمر الذي يمكن القيام به بعدة طرق كمساهمة المواطن في

نظافتها، المحافظة على مكوناتها، أما الإسهام بالمال فهو يرتبط بالوضع المادي للمواطن من جهة ومن جهة ثانية يتعلق بإحساسه أن هذا المكان هو ملك له أيضا ولذا يجب المساهمة فيه.

III - نظرة المهندس للساحات العامة:

يعتبر المهندس المسؤول عن تصميم الساحات وكذا إعطائها المكانة الهامة، وذلك من خلال الأفكار التي يتبناها في إعدادها، كما يعد هو المسؤول عن إيجاد أنماط مختلفة منها وبأدوار مختلفة كذلك، لذلك يعود نجاح أو إخفاق هذه الأماكن إليه، ومن أجل ذلك تطلب منا البحث في مدى توفيق المهندس في هذه الأمور وكذا ماهية الطرق أو الوسائل التي يرتكز عليها عمله، كما حاولنا معرفة نظرته للساحة التي تختلف عن نظرة المواطن البسيط، لهذا وخلال هذه المرحلة عمدنا إلى إجراء عملية المقابلة مع المهندسين، اعتمدنا فيها على طرح أسئلة محددة في شكل استمارات بيانية(الملحق 02)، ومع ترك هامش من الحرية للمستجوب.

لقد توصلنا من خلال عملية المقابلة إلى عدة معطيات ونتائج صغناها في جداول(انظر الملحق 03) والتي حولناها إلى منحنيات، أما مختلف التحاليل والنتائج فنقدمها فيما يلي:

III -1 مفهوم الساحات عند المهندسين:

يتبين لنا من مقابلتنا مع المهندسين مجموعة مفاهيم نذكر أهمها فيما يلي:

52% من المهندسين أشار للساحة بأنها مكان ضروري في المدينة، وهو موجه للراحة والترفيه، كما يمكن من خلاله تذوق جمال وهندسة المباني المحيطة به.

31% من المهندسين يرى الساحة بأنها مكان لاكتشاف نمط الحياة الاجتماعية في المدينة، وأيضا لمعرفة تقاليد المواطن وطبيعة العلاقات القائمة بين الأفراد.

17% من المهندسين يفهم الساحة بأنها مكان يعبر عن ماضي المجتمع وثقافته، كما يمكن أن يشكل نقطة سياحية في المدينة.

أما النسبة المتبقية فلقد قدمت مفاهيما متنوعة للساحة.

ونلاحظ أن هذه المفاهيم تدور حول الراحة والترفيه أو حول العلاقات الاجتماعية، في حين هي لم تعط مفهوما محددا وواضحا للساحة طالما أنها أشارت إليها من جوانب يمكن لفضاءات أخرى احتواؤها كالحديقة أو الشارع أو غيرها.

III -2 رأي المهندسين في الساحات من حيث العدد، المساحة والموقع:

تم استجواب المهندسين حول النقاط الثلاثة التالية:عدد الساحات، موقعها ومساحاتها والنتائج المتحصل عليها بينها في المنحنى التالي:

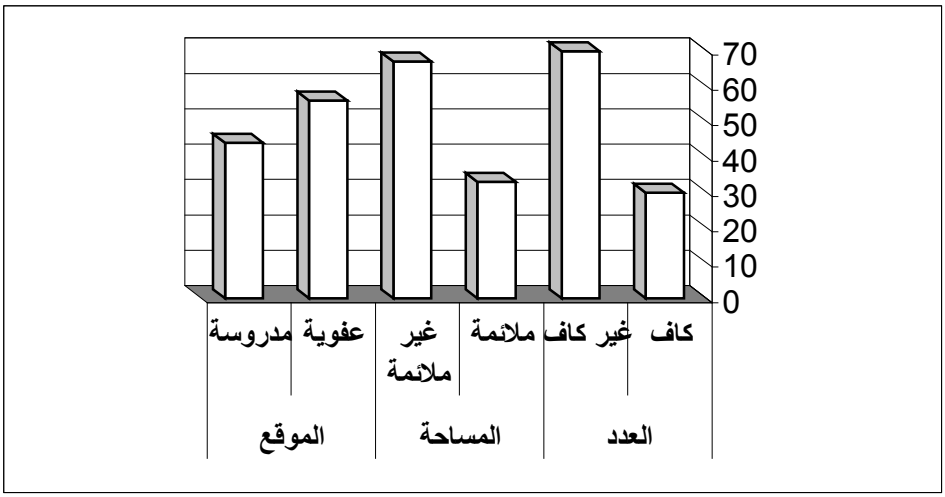

المخطط 18 :رأي المهندس حول عدد، مساحة وموقع الساحات

الملاحظ هو أن 70% من المهندسين يرون أن عدد الساحات في المدينة غير كاف، في حين 30% يعتقدون أنه كاف، أما بالنسبة للمساحة فنجد 67% تصرح بعدم ملاءمة المساحة مع عدد المواطنين الموجهة لهم على مستوى الأحياء أو ضمن مجال المدينة، في حين السؤال عن مواقع الساحات قادنا إلى أن 56% من المهندسين يرون عفوية مواقع الساحات مقابل 44% يرونها مدروسة وملائمة، كما أن هذا الرقم لحالة المواقع العفوية بالنسبة للمواقع المدروسة يمكن ملاحظته على أرض الواقع أين نرى تواجد للساحات في أحياء دون الأخرى وكذا تواجد أكثر من ساحة في منطقة واحدة وعدم وجودها في مناطق أخرى من المدينة، وهذا ما يفسر التموقع والتقسيم غير عادل للساحات.

الاستنتاج:

رغم عدم إعطاء المهندسين لمعايير واضحة إلا أنهم يرون أنه هناك حاجة إلى عدد أكبر من الساحات في المدينة، أما بالنسبة لقلة الساحات فقد يعود ذلك لعدة اعتبارات منها عدم أخذها بعين الاعتبار أثناء التطور العمراني وكذلك القيمة العقارية المرتفعة للأراضي داخل المدينة، إذ أصبح في غالب الأحيان تفكير المسير أو المهندس محصور على الجانب المادي بالدرجة الأولى فكلما يرى مساحة شاغرة في المدينة إلا وفكر في تحويلها إلى مشروع استثماري ولا

يولي الاهتمام للحاجة إلى الفضاء، أما بالنسبة لعفوية مواقع الساحات فمن أسباب ذلك هو كونها مساحات متبقية في التصميم أو الإنجاز والتي لم يتم دراستها كمشروع عمراني متكامل.

III -3 العوامل المؤثرة حسب الأهمية في الحالات السلبية للساحات العامة:

من العنصر السابق أي رأي المهندس حول موقع، مساحة وعدد الساحات توصلنا إلى نتائج تعبر عن واقع سلبي للساحات، وهذا الأمر أدى بنا إلى التساؤل عن أسباب ذلك، والشكل التالي يقدم لنا بعض الإجابات عن ذلك:

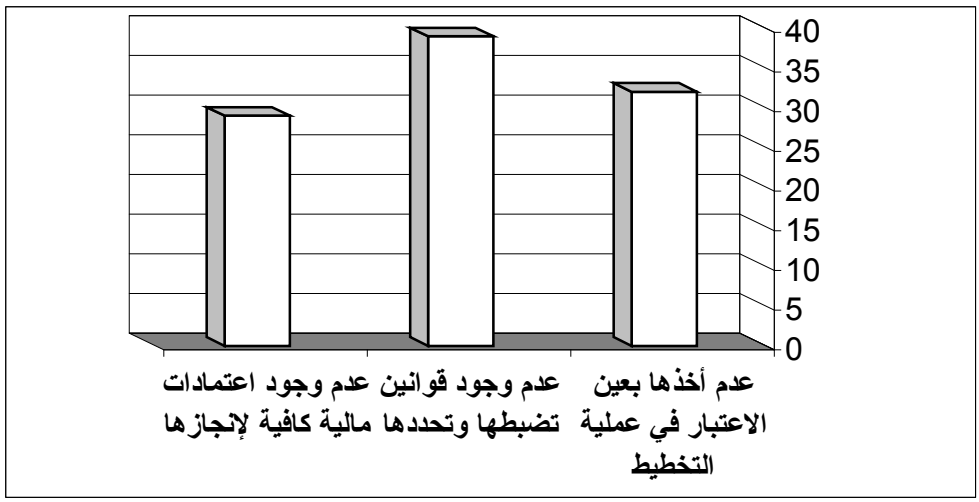

المخطط 19 :عوامل إهمال الساحات

نلاحظ غياب قوانين أو معايير أو مقاييس خاصة بالساحات العامة وهذا حسب إجابة 39**%** من المهندسين، في حين 32**%** منهم يرجع الوضعية غير المدروسة للساحات إلى عدم أخذها بعين الاعتبار في عملية تصميم وتخطيط المدينة، بينما 29**%** من المهندسين فيرى أن نقص الاعتمادات المالية للساحات هو سبب قلة عددها وصغر مساحتها و سوء توزيعها بالمدينة.

الاستنتاج:

الساحات العامة في المدينة لا تحظى بنفس الاهتمام والاعتبار الذي تتمتع به المنشآت والمباني، وهذا ما أدى إلى تجاهلها في التصميم والإنجاز.

III -4 المقاييس العمرانية المنتهجة في إعداد الساحات في المدينة:

للوصول إلى إجابات حول هذا الجانب تم طرح التساؤل التالي على المهندسين: هل تتبعون مقاييس علمية في إعداد الساحات في المدينة ؟ والإجابات تمت صياغتها في المنحنى التالي:

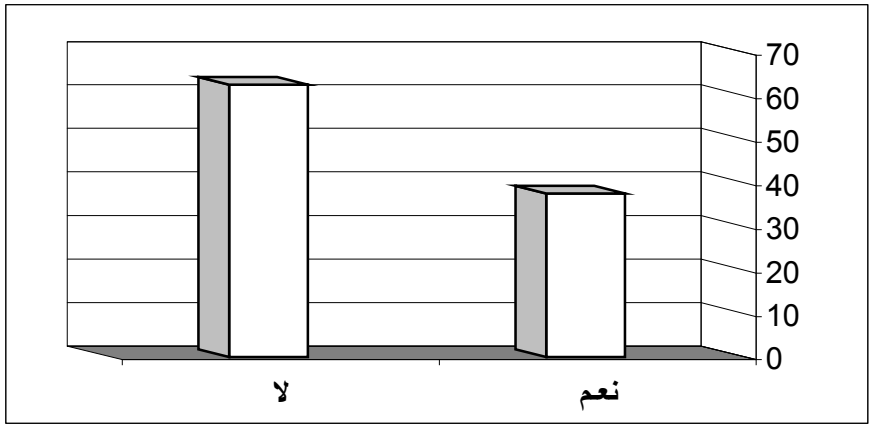

المخطط 20 :اعتماد طرق علمية في إعداد الساحات

إن نسبة كبيرة من المهندسين 62.5 **%** تشير إلى غياب قوانين تمس تصميم الساحات العامة،كما صرحت أيضا بنقص المختصين في التعامل مع مثل هذه الاماكن، أما نسبة 37.5**%** فيقر بوجود توصيات عامة تتناول الفضاءات العامة، وذلك من خلال مخططات كمخطط شغل الأراضي (POS) والمخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير(PDAU)، حيث يمكن أن تخضع الساحات إلى معاملات مثل معامل شغل الأرض(COS)، معامل استغلال الأرض(CES)، لكن يظهر هناك غموض كون أن هذه المخططات والعوامل لا تزال تجد صعوبات في تطبيقها على أرض الواقع، كما أنها لا تحمل نقاطا تعنى بالساحات بشكل مباشر.

الاستنتاج:

هناك غياب للمقاييس أو المعايير العلمية والعمرانية التي تتناول الساحات من حيث التصميم والشكل والتهيئة، هو الأمر الذي يكون قد ساهم في عدم وجود ساحات تحضى بدراسات أو نماذج أكثر فعالية.

III -5 الجوانب الأخرى المتبعة في إعداد الساحات:

لقد طرحنا تساؤلا على المهندسين حول مسايرة إعدادهم للساحات للميزات التالية:

عادات وتقاليد المجتمع، خصائص المنطقة المناجية ونوعية الحياة الاجتماعية، وهذا لتحديد مدى تأثير هذه الجوانب على الساحات وترتيبها، وما توصلنا إليه نعرضه في الشكل الموالي:

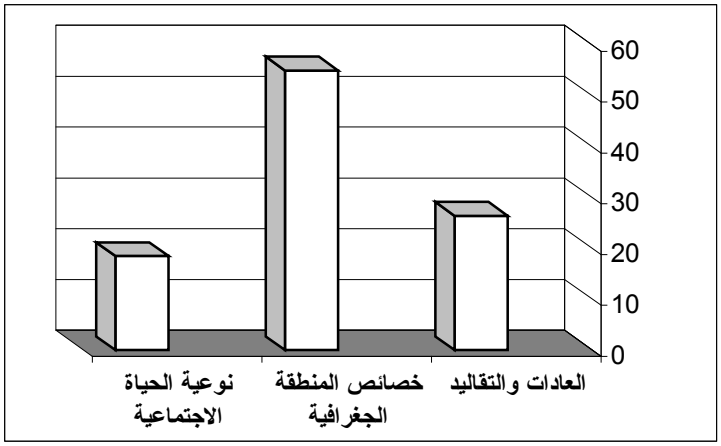

المخطط 21 : تأثير بعض الجوانب على تصميم الساحات

نسجل أن نسبة 55% من المهندسين يعتمدون على الخصائص المناخية للمنطقة كعامل في إعداد الساحات، في حين 26.5% منهم يولون العادات والتقاليد الأهمية في التصميم، أما النسبة المتبقية 18.5% منهم فتعطي الأهمية لنوعية الحياة الاجتماعية.

الملاحظ هو أن العادات والتقاليد ونوعية الحياة الاجتماعية هي جوانب ليس من السهل على المهندس تجسيدها على الساحات، لكن يمكن ترجمتها من خلال كيفية عمل هذه الأخيرة أو تسييرها وصيانتها.

أما بالنسبة لانتهاج الجانب المناخي فإنه لا يظهر كذلك في الكثير من الساحات، حتى أن بعضها عبارة عن مساحات مبلطة واسعة معرضة للشمس والرياح، رغم ذلك هناك ساحات أخرى تظهر بعض الاهتمام بهذا الجانب ولو بطريقة غير مقصودة وذلك باستعمالها الأشجار، الأقواس وغيرها من العناصر الفيزيائية الممكن استعمالها في هذا الجانب.

الاستنتاج: إن الجانب المناخي أمر مهم في إعداد الساحات وتصميمها لذا يجب وضع معايير ومقاييس تسهل وتوضح تعامل الساحة مع هذا الجانب.

III -6 إعداد الدراسات الاجتماعية قبل تخطيط الساحات في المدينة:

من هذا المنطلق تم سؤال المهندسين حول إعدادهم لدراسات اجتماعية قبل تصميم الساحات، والنتائج نطرحها في المنحنى التالي:

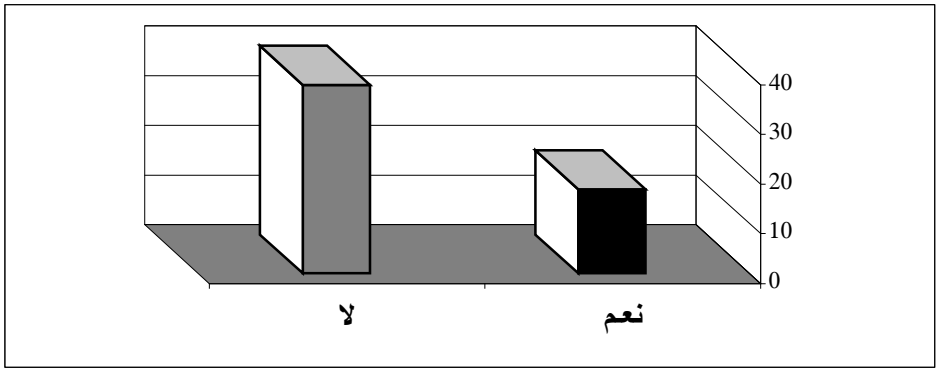

المخطط 22 : اعتماد الدراسات الاجتماعية في إعداد الساحات

إن نسبة كبيرة من المهندسين 66.25% تشير إلى عدم وجود دراسات فعلية وميدانية تجرى قبل تصميم الساحة، كما يشيرون أن إعداد الساحات يتم حسب أفكارهم وإبداعاتهم، في حين نسبة صغيرة تقارب الثلث 33.75% ترى أنه هناك استعمال للدراسات الاجتماعية في إعداد الساحات، ويمكن ذلك من خلال التحقيقات الميدانية، لكن ما يبدوا في الواقع هو غياب تواجد مثل هذه الدراسات.

الاستنتاج :

الدراسات المسبقة في إعداد أو تصميم الساحات كالاجتماعية منها تعد مهمة وكفيلة لإعطاء الساحة توافقا وتوفيرا لرغبات مستعمليها، بالرغم من ذلك مازال اعتماد هذه الطريقة يلاقي إهمالا، وهو ما كان سببا في ابتعاد الكثير منها عن رغبات المستعمل من هذه الأماكن.

III -7 مشاركة المواطن في إعداد الساحات:

طالما أن الساحة هي مكان موجه لاستعمالات العامة والخاصة فلما لا يتم إشراك المواطنين في تصميمها وإعدادها، من هذا المنظور طرح التساؤل على المهندسين، فكانت الإجابات موضحة في المنحنى التالي:

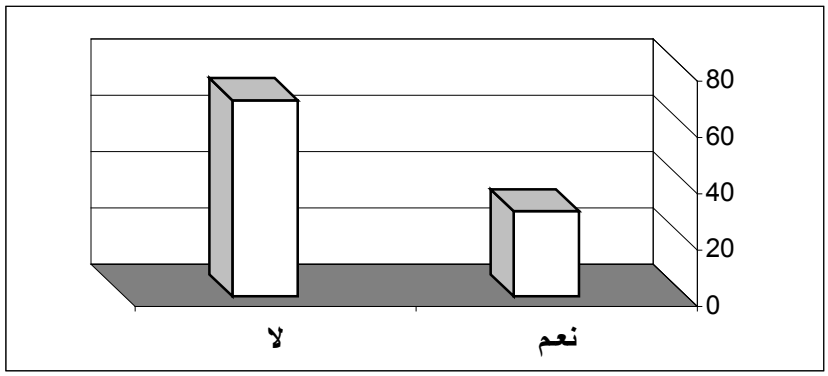

المخطط 23 : إشراك المواطن في إعداد الساحات

لقد صرحت نسبة 69.75% من المهندسين بانفرادهم في تصميم الساحة، وأنهم لا يشاركون المواطنين في ذلك، في حين 30.25% من المهندسين قدموا رأيا مخالفا لذلك، حيث يرون إشراك المواطنين أمرا مهما في التصميم وكذا في الحصول على ساحات أكثر وظيفية واستعمالا إلا أنه توجد صعوبة في كيفية تجسيد الكثير من رغبات الأفراد على مخطط الواقع.

الاستنتاج:

يمكن القول أن الفراغ الموجود بين المهندس ومستعملي الساحات كان سبب فعالا في عدم إشراك الموطنين في إعدادها، بالتالي عدم تجاوبها مع رغبات المواطن؟

III -8 رأي المهندس حول شدة استعمال الساحة:

حول هذا الجانب تم طرح سؤال يستقصي عن شدة استعمال المواطن للساحات، والنتائج بلورناها في المنحنى التالي:

المخطط 24 : رأي المهندس حول شدة استعمال الساحات

إن نسبة كبيرة من المستجوبين تفوق النصف 56.89% ترى أن استعمال المواطنين للساحات ضعيف، في حين نسبة ضعيفة 13.79% ترى أن تواجد الناس بالساحة كثيف، ولقد أشار المهندسين إلى عدة أسباب لاختلاف شدة استعمال الساحات نذكر منها:

* تهيئة الساحات وتصميمها البسيط حتى أن بعضها تظهر خالية من العناصر التجميلية.

الساحات عناصر عمرانية جديدة على المجتمع من حيث التصميم، وهذا ما جعلها تبدو بعيدة عن ثقافة المواطن اتجاه هذه الأماكن.

الاستنتاج:

من بين أسباب الاستعمال الضعيف للساحات هو كونها لا تستجيب وتتماشى مع أفكار المواطن لا من ناحية ثقافته ولا من ناحية احترام عاداته وتقاليده حين استعمالها.

III -9 متابعة المهندس للساحات بعد إعدادها لتحديده مدى نجاحه في تصميمها:

إن طرح هذا التساؤل هو لمعرفة ما إذا كان المهندس يبحث دائما عن الساحات الأكثر نجاحا من خلال مراقبته لها بعد عملية إنجازها وبالتالي استخراجه للنقاط المهمة وكذا معرفته للأخطاء المرتكبة حتى يتم تجاوزها في المشاريع المستقبلية، ولقد توصلنا إلى ما يلي :

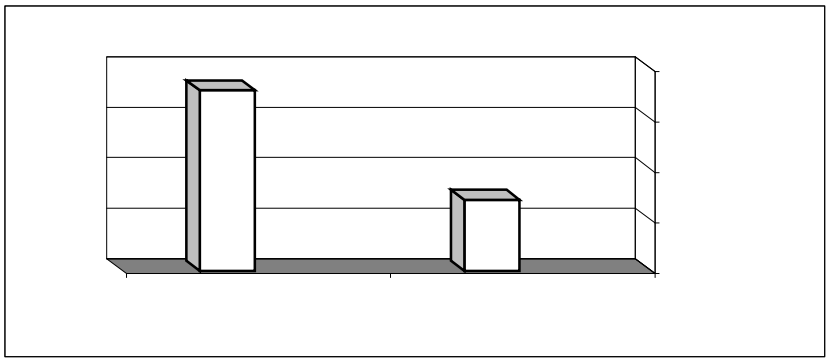

المخطط 25 :مراقبة المهندسين لأعمالهم عقب الإنجاز

لا تبدو هناك صلة بين تصميم الساحة وإنجازها من جهة ومرحلة استعمال المواطن للساحات من جهة ثانية، وهذا حسب ما أشار إليه نسبة 71.66**%** من المهندسين حيث يرون أنهم غير مسؤولين عما يجري في الساحة بعد إعدادها وتجسيدها على أرضية الواقع.

الاستنتاج:

إن عمل المهندس لا يتوقف على التصميم قدر ما يمكن أن يتعدى إلى الملاحظة والتمعن في أعماله وهذا ليتمكن من معرفة مدى نجاحه وصحة الأفكار التي تبناها في ذلك.

III -10 اختلاف مخططات الساحة عن واقع إنجازها:

إنه لمعرفة مدى تطابق المخططات مع الواقع وبالتالي التوصل إلى أسباب ذلك تم طرح ذلك كتساؤل على المهندسين، فكانت النتائج كالتالي:

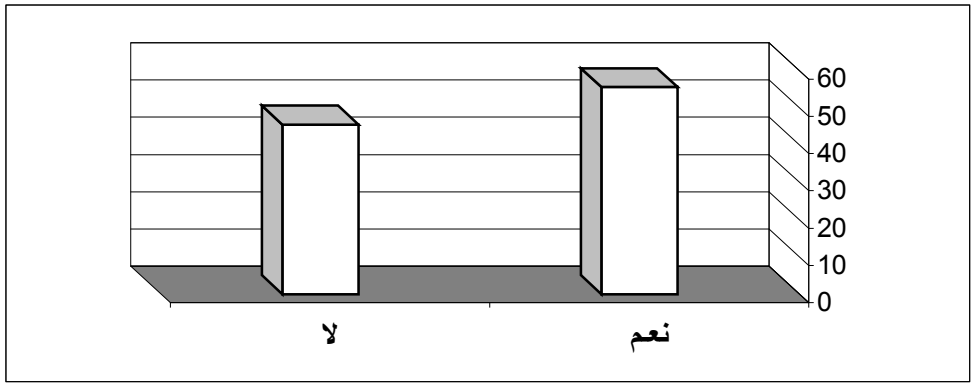

المخطط 26 :اختلاف مخططات الساحة عن واقعها

نلاحظ أنه هناك تقارب بين النسبتين، إلا أن النسبة الأكبر54.5**%** من المهندسين ترجح وتؤكد على اختلاف الواقع عما هو في المخططات، ولقد أرجعوا ذلك إلى عدة أسباب:

التماطل والتأخر في إنجاز المشروع ربما قد يجعله يتأثر بعوامل خارجية تؤدي إلى تغييره.

- التقدير المالي للمشروع قد يحد من تقديم المهندس لعمل جيد في تصميم الساحات.

نتيجة :

إن عدم الاستقرار في إنجاز المشاريع المتعلقة بالساحات العامة قد يخل من احترامها للمخطط المصممة عليه.

III -11 الاتجاهات والميولات التي يفضلها المهندس في تصميم الساحات:

يتواجد اليوم أشكالا عديدة من الساحات، إذ أن كل مجتمع يصمم الساحات التي تخصه وحسب أفكاره، بل حسب أفكار المهندسين، التي قد تأخذ اتجاهات مختلفة وربما تستند إلى أفكار دخيلة عن مجتمعهم وهذا لتأثرهم بأفكار وحضارات أخرى، من أجل ذلك حاولنا معرفة نظرة المهندس اتجاه أنماط من الساحات مع تحديد المفضلة عنده، وهذا الأمر لمعرفة الأفكار والنمط الذي يتبعه المهندس في إعداده لها، فحصلنا على الشكل التالي:

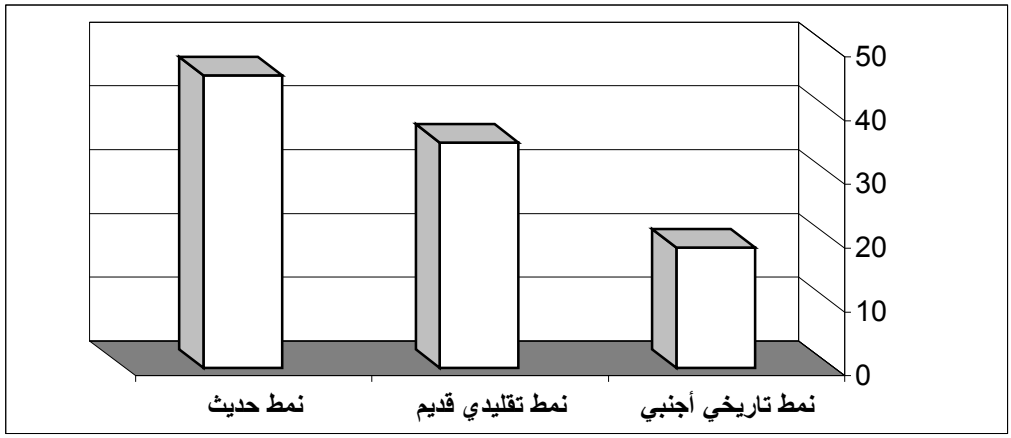

المخطط 27:نمط الساحات المفضل عند المهندس

يبرز هنا أن الأغلبية 45.84% يصممون الساحات وفق الأفكار الحديثة وما تحمله من استعمال للمواد الحديثة في التهيئة وكذا لعناصر أخرى من التأثيث، أما النسبة الأقل منها فتتمسك بالأنماط القديمة والمحلية وهذا بنسبة 35.30% من المهندسين، أما الذين يتبنون الأفكار والنمط الأجنبي فتقدر نسبتهم بـــ 18.86% ، ويبدو ذلك من خلال المحافظة على بعض الرموز القديمة والمرتبطة بالماضي والاقتباس من جماليات الساحات القديمة عند حضارات غربية، وهذا الأمر مع إضفاء نوع من التجديد كاستعمال المواد الحديثة التي تتماشى مع التطورالحالي.

الاستنتاج :

إن عدم وجود أنماط مرجعية واضحة من الساحات كان السبب في تواجد أشكال عديدة منها في نفس المدينة، وهو ما أعطى أهمية لأخرى عن سواها.

III -12 ما هي الساحات التي تنال إعجابك في المدينة:

تقريبا معظم المستجوبين يصنف الساحات التي تم اختيارها كعينات للدراسة في الفصل السابق وتتمثل في: ساحـــة الشهداء، ساحـــة السينما، ساحة أول نوفمبر والساحة المجاورة للجامعة، في حين يضيف بعض الآخر ساحة قصر العدالة، إلا أن هذه الأخيرة لم يتم إدراجها ضمن العينات المنتقاة في الدراسة للأسباب التي سبق ذكرها ومن جانب آخر كونها صنفت ضمن الحدائق وليس الساحات.

الاستنتاج:

مما توصلنا إليه أيضا أن إجابات المهندسين حول إعجابهم بتلك الساحات لا يختلف عن واقعها وهذا راجع إلى التدخلات الأخيرة على مستوى الكثير منها.

III -13 ترتيب الساحات حسب وجهة نظر المهندسين:

لمعرفة ترتيب الساحات المأخوذة كعينات للدراسة وذلك حسب التصميم، التهيئة، الاستعمال والأهمية، طرحنا ذلك على شكل تساؤل على المهندسين والذي أوصلنا إلى ما يلي:

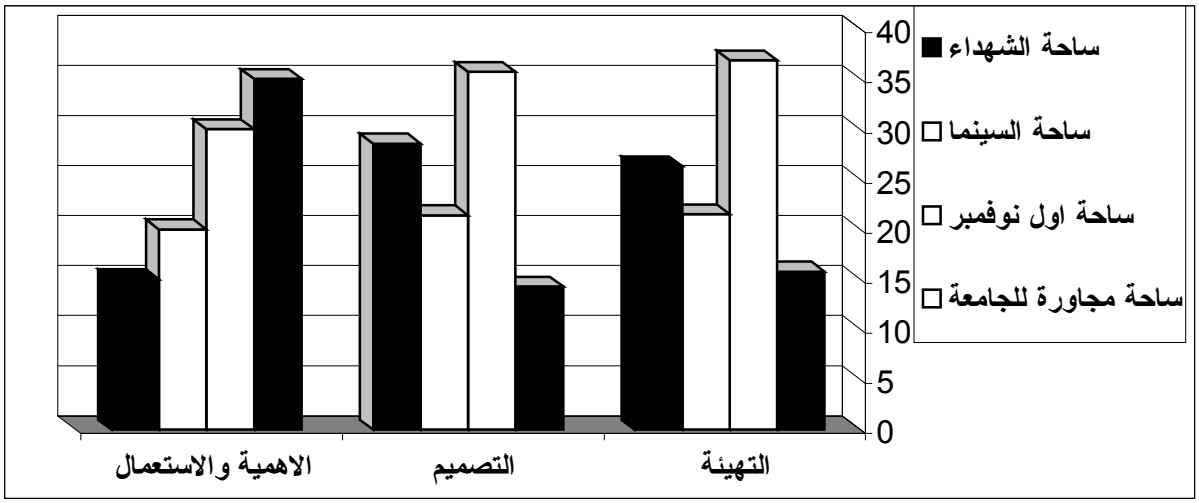

المخطط 28 :ترتيب للساحات عند المهندسين

* لقد صنف ما نسبته 36.84% من المهندسين ساحة السينما في الصف الأول من ناحية التهيئة، كما احتلت نفس المرتبة من ناحية التصميم وبنسبة 35.71%، وهو ترتيب منطقي مع ما تم عرضه عن الساحة في الفصل السابق وكذا مقارنة مع بقية الساحات.

* صنفت ساحة الشهداء في المرتبة الرابعة من ناحيتي التصميم والتهيئة وهذا بالنسب15.78%و 14.28% على الترتيب، رغم هذا فلقد سجلت المرتبة الأولى من ناحية الأهمية وهذا راجع لتواجدها في قلب المدينة القديم وكذا انتشار الخدمات التجارية حولها، وهو الأمر الذي تفتقر إليه بعض ساحات المدينة.

* أما الساحة المجاورة للجامعة احتلت المرتبة الثانية من جانب التهيئة والتصميم وبنسب 26.31 % و28.57% على التوالي، ويرجع ذلك إلى حداثتها، لكن هذا الأمر لم يصنفها أحسن من سابقتها لعدة جوانب تم الإشارة إليها سابقا.

* في حين ساحة أول نوفمبر فتتواجد في الرتبة الثالثة من جانبي التهيئة والتصميم حسب المستجوبين وبنسب 21.5% و21.42% على التوالي، وهذا للإهمال والتسيب الذي تعرفه بالرغم من الإبداع في تصميمها وتهيئتها، بينما تجاوزت هذه الأخيرة ساحة الجامعة من حيث الأهمية وهذا لعدة جوانب نذكر منها:

 وجودها ضمن مجموعة من الأحياء تفتقر إلى مثل هذا النوع من الفضاءات.

بالرغم من إهمالها إلا أنها تحتوي على الأشجار الكبيرة ونافورة مياه.

أبعادها تظهر تناسبا بين الطول والعرض على عكس الساحة المحاذية للجامعة والتي تمتد بشكل متطاول جدا.

الاستنتاج:

إن لكيفية تصميم الساحة وتهيئتها أهمية كبيرة في إبراز مكانتها، كما أن الحالة الفيزيائية الجيدة للساحة تدعم ذلك، لكن هذا وحده غير كاف إذ يعمل تواجد الأنشطة المختلفة على استقطاب الناس إلى الساحة أيضا.

خـــــلاصـــــة

مما تم عرضه في هذا الفصل وما قمنا به من استجواب للمواطنين كطرف مستعمل للساحات وأيضا للمهندسين كطرف مصمم لها استخلصنا إلى ما يلي:

آراء الناس حول تصميم الساحة وتهيئتها لا تتفق مع ما يضعه المهندس، وهنا يظهر عمق الفجوة بينهما.

يظهر أن أهمية الساحة بالنسبة للمواطن تظهر من الحاجة إلى الكثير منها على مستوى المدينة وهو ما يدعمه المهندسين كذلك، وأن هذا الجانب يقدم لنا فكرة عن الحاجة إلى الساحة كفضاء مهم وضروري، كما يوصلنا إلى أن الاستغناء عنها غير ممكن مادام المواطن يريدها.

أما فيما يخص تصميم الساحة فإننا استخلصنا غياب نماذج معينة من الساحات تستند في تصميمها إلى المعايير العلمية الواضحة أو التي ترتكز على قوانين إلزامية وهو الأمر الذي أعطى حرية في عمل المصمم .

إنه وبالرغم من السير قدما نحو انتهاج التخطيط والتصميم في إنجاز وتعمير المدينة إلا أن هذا الاهتمام بالمباني ونوعية التجهيزات لم يصل إلى المستوى المطلوب طالما أنها ما تزال تهتم بعناصر عدا أخرى، في حين إهمال بعض الفضاءات الحضرية كالساحات يبرره عدم وجود نصوص قانونية واضحة تعنيها بشكل مباشر سواء من ناحية الإعداد أو الاستعمال، بالإضافة إلى عدم تخصيص مبالغ مالية كافية لها، انطلاقا من هذه الجوانب احتلت الساحات مرتبة أقل من المباني ولم تضعها في تكامل معها وهو الشيء الذي قلل من مكانتها وأهميتها،

فجعلها لا تبدي انسجاما ولا تناسبا مع المحيط الواقعة فيه لا من ناحية الحجم ولا العدد ولا النوعية الشكلية لها.

الساحة إنتاج المهندس، لكن غياب مختصين حقيقيين في هذا الجانب أو معرفة واسعة لها وكذا انفراد المهندس بالعمل دون الأخذ بآراء المستعملين(المواطنين) أو انتهاجه طرق تأخذ رغباتهم بعين الاعتبار جعل منها فضاء لا يستجيب لما يريده المستعمل الحقيقي منها كما أدى إلى تراجع أهمية وجودها في المدينة، بالإضافة إلى ذلك نلمس حاجة المهندس إلى ظوابط علمية ومعايير نوعية خاصة بالساحة.

إن من بين أسرار استعمال الساحة واستمرارها هو كونها مكان عمل البعض، وكذا كونها تشكل أحد أماكن ممارسة الحياة الاجتماعية في المدينة، إلا أن العادات والتقاليد قد تقف عائقا أمام بعض استعمالاتها، لهذا يجب الأخذ بعين الاعتبار لهذا الجانب، ومن جهة أخرى يرتبط استعمال الساحات بثقافة المجتمع، وهو أمر على المصمم مراعاته في إعدادها.

من أسباب الاستعمال الكثيف للساحات هو توفيرها للراحة بمختلف أنواعها، سواء من ناحية حسن التعامل مع الظروف المناخية وما يتسنى من توفير الظل والحماية من أشعة الشمس والرياح...،أو من ناحية الراحة النفسية التي يمكن تجسيدها من خلال تصميم وتهيئة الساحة بالنباتات واستعمال المياه ومختلف عناصر التأثيث العمرانية التي تعكس القيم الجمالية العالية، كما لا ننسى الراحة المتأتية من توفير الأمن سواء من السيارات وما يمكن أن تسببه من حوادث وخوف وتلوث وضجيج...أو من الأفراد خاصة المنحرفين، بالإضافة إلى ذلك فإن الحالة الفيزيائية ودرجة النظافة هما جانبان مؤثران في استعمال المواطن للساحة.

الساحة فضاء عام وهو الأمر الذي ربما قد يخلق اختلافات في استعمالها من جهة، كما يمكن أن يغير من حالتها، لهذا فالساحة تتطلب رعاية دائمة سواء للسير الحسن لمختلف تطبيقاتها أو للتحسين من حالتها والمحافظة عليها،كما إن هذه الجوانب تظهر في حاجة إلى توصيات أو قوانين التي تشرف عنها الجهة المسؤولة عليها كالجماعات المحلية، وأن إسهام المواطن قد يخلق حلا مساعدا في إدارة الساحة وذلك بهيكلته ضمن وضعية قانونية تتيح له التدخل سواء في استعمالها أو في ترقيتها، في حين قلة اهتمام المواطن بهذه الأماكن قد يقلل من أهميتها وحالتها وبالتالي بروز ساحات أقل أهمية في نفس المدينة.

الـمــلــخــص

الســـاحة العامـــة من أهم الفضاءات الحضرية. ولقد اتخد هذا العنصر العمراني منذ القدم أشكالا عديـــدة ومختلفة مثل الآقورة، الفوروم، الرحبات ...كما أدى وظائف حضرية متعددة كأماكن للاحتفالات المختلفة ونقاط للتجمعات السياسية وأماكن للتجارة....

أمام التطورات الحديثة للمجتمعات والمدن لم تحتفظ الساحات بتلك الوظائف والدلالات التي كانت تمـــتلكها قديما، وقد يظهر ذلك من خلال الإهمال الذي عرفه العديد منها، إظافة إلى التراجع في الوظائف والأهمـــية التـــي اكتسبتها سابقا، أما الاحتياج الكبير للمجالات فأصبحنا نسجل تواجد ساحات مختلفة في المدينة لا تعكس أي نمط ولا تختص بوظيفة معينة.

التفاوت في أهمية واستعمال الساحة قادنا إلى البحث في جانبين، يتعلق الأولمنها بالمستعمل لهذه الأماكن وما طرأ عليه من تغير في حياته الاجتماعية والثقافية، والثاني بمصمم الساحات، ونهدف من هذا إبراز أهمية الساحة ومعرفة أسباب عزوف الانسان عنها.

اعـــتمدنا فـــي بحثنا على تحليل مقارن لعيينات من مدينة المسيلة بالجزائر، باحثين عن العوامل المؤثـــرة في الساحة، وكذا نظرة كل من المستعمل والمصمم، لنصل إلى تحديد مجموعة من النتائج التي يمكنها أن تسهم في تحسين الوضعية المزرية لساحات مدننا الحالية وترقيتها.

RESUME

La place publique est une espaces urbains importantes, dont cet element urbain a pris différentes formes depuis l'antiquité: agoras, forums , parvis de cathédrales…

La place a rempli des fonctions urbains divers dans la ville : espaces des fêtes, point de rencontres politiques, lieu d'échanges commerciaux…,mais face aux développement urbains et sociaux actuels les places n'ont pas pu préserver les rôles et les significations qu'elles assuraient

La négligence subie par les places publiques ,la regression des fonctions et la diminution de l'importance qu'elles présentaient jadis, attestant de cette situation desolante. De plus il est facilement observable que les places sont produites sans référence à des typologie particuliéres et avec une absence de fonctions déterminer.

Ce constat nous ont conclut à mené une rechercher d'une part sur l'usager des places et les changement sociauxet cultureles qu'il vit, et d'autre part sur le concepteur de cette catégore d'espacees urbains. ce travail se fixe comme objectif de montrer l'importance de la place et en plus de déterminer les principales causes de la situation alarmente des places d'aujourd'hui.

En cette recherche une analyse comparative a été entreprise sur un échantillon regroupant plusieures places d'une ville : Msila en Algerie, en plus une enquéte a été menée à la fois auprés d'usagers et de concepteurs des places publiques, don't elle a permis l'abottissement a une serie des resultas pouvant contribuer a l'amélioration de la situation alarmente des places publiques de nos villes.

الخلاصة العامة

الساحات العامة من بين الفضاءات الحضرية الهامة للمدينة، وهي ذلك المكون الذي عرفته المدينة مند القدم، والذي ظهر في أشكال متنوعة وبوظائف عديدة، إلا أنها اليوم وفي العديد من المدن تتخبط في الكثير من المشاكل التي يعكسها إهمال هذه الفضاءات أو بعضها،ان ما أفرزته تلك التغيرات الواسعة في ميادين كثيرة كالسياسية والاجتماعية... وتعمير المدن وتصميمها أدى لظهور ساحات متفاوتة الأهمية والاستعمال،مما يطرح تساؤلا حول دور المصمم في ذلك.

انطلاقا من هذا طرحنا موضوع الساحات العامة، هادفين لإبراز أهميتها وكذا الوصول إلى مختلف الجوانب التي يمكنها أن تساهم في ترقيتها وجعلها أكثر وظيفية وأهمية في المدينة.

لقد تبين لنا أن الساحة تعبر عن مجال حيوي في المدينة، إذ يمكن لها أن تحتوي وظائف حرة ومتعددة ومنظمة أو عفوية، و تتأثر بمختلف التطورات التي تعرفها المدينة أو المجتمع، وأن لكل حضارة أو مجتمع خصوصياته في مجال الهندسة والتعمير أنتجت أشكالا مختلفة للساحات،كما مكنت الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لها أداء تطبيقات ووظائف مختلفة.

لقد أخذت الساحة مفاهيم مختلفة حسب التغيرات التي انتابتها وكذا حسب وجهات نظر متباينة تختلف بين المعماري والعمراني وعلماء الاجتماع...، إلا أنها تبقى تعبر عن مكان صمم لهذا الغرض أو نتيجة إجماع عام يصنفه كساحة، ولو في غياب شكل عام لها.

إن الساحة تعبر عن عنصر فضائي أكثر منه مساحة مهيأة من أرض المدينة، ولها علاقة بالمباني المحيطة بها، والتي تعطيها شكلا معينا، كما تكتسب أهمية بالغة وذلك لاعتبارها من الحلول المثلى لملأ الفراغ الكائن بين المباني، ولكونها حلا مناسبا في النقاط التي تلتقي فيها مجموعة من الطرق، كما تتسم الساحة بالمرونة وعدم وجود مقاييس عمرانية واضحة طالما هي تتأثر بتخطيط النسج العمرانية أو طريقة التعمير في المدينة وكذا شبكات الطرق فيها، إلا أن هذه الأمور لا تعد سلبية كليا لأنها تفتح الباب أمامها كي تصبح أكثر تنوعا، وهذا ما يعطي إثراء لها، يدعم ذلك إمكانية احتلالها أماكن مختلفة من المدينة وبأشكال متنوعة، وهذه الأمور

قدمت لنا نماذج كثيرة من الساحات اتسمت بوظائف وتطبيقات مختلفة أشرنا إليها في الفصل الثالث أين ربطناها بعمل المختص أو المهندس في التوفيق بين التصميم والدور.

إن تنوع وغزارة الأدوار التي يمكن للساحة أن تؤديها جعل منها مكانا متميزا، وهذا ما جعل منها فضاء عمرانيا ليس من السهل إقصاؤه من المدينة، وهو الأمر الذي تدعمه حاجة شرائح اجتماعية مختلفة من المجتمع كل حسب طموحاته من هذا المكان.

إن العلاقة المتبادلة بين الساحة والإنسان يمكن أن تنتج من خصائص الساحة نفسها وما تحمله من شكل ومكونات...، وكذا من حالة الفرد النفسية وعمره وجنسه وثقافته...،بل هناك مكونات من الساحة قادرة على خلق انفعالات مختلفة لكل فرد، وهي أيضا متغيرة بين الأفراد، ويمكن أن يظهر ذلك من خلال سلوكاتهم، في حين المعرفة الجيدة لهذا الجانب تمكن الباحث من التنبؤ بسلوكيات الأفراد أو الجماعات، وبالتالي استوجب عليه أخذها بعين الاعتبار في إعداد الساحات، كما يمكن أيضا لشكل ومظهر الساحة أن يشكل صورة راسخة في الدماغ تنتج من خلال مكونات مثل تواجد عناصر طبيعية وفيزيائية كالأشجار والمياه والتأثيث الحضري وغيرها، أو عناصر غير فيزيائية تتمثل في التظاهرات والأحداث التي تجري في الساحة، وهذه الصورة تمكن الشخص من توجيه حركته في المدينة، وأيضا الاحتفاظ بحدث أو ذكرى أو مكان في مخيلته، إلا أن هذه النقاط تعبر عن فلسفة معقدة ليس من السهل تعميمها طالما أنها في علاقة مع الفرد نفسه.

من خلال الدراسة العمرانية لساحات مدينة المسيلة يمكن التاكيد أن الساحة فضاء يمكن أن يتأثر بخصائص التعمير والهندسة في المدينة وخاصة بالانتقال من التعميرغير المخطط إلى التعمير المخطط، وما يمكن أن يحمله هذا الأخير من إيجابيات بإمكانها أن تحسن من الوضعيات المجالية للساحة كالتي تتعلق بشكلها ومكوناتها وتهيئتها وكذا علاقتها بالمحيط المجاور لها، كما أن هذه الجوانب قادرة على خلق انسجام اكبر على مستوى الساحة ومحيطها إلا أن غياب أنماط واضحة ومرجعية للساحات ومعايير خاصة بها وكدا الاهتمام بالمجال المبني أكثر جعلها لا تمثل إلا حلا تعويضيا عن الفراغات المتبقية في التصميم، بالإضافة إلى ذلك تعرف بعض الساحات إهمالا من المستعمل وعدم إحساسه بأهميتها باعتبارها فضاء عمومي لا يقع تحت مسؤوليته.

إن العناصر الطبيعية (الأشجار،الإعشاب،المياه...) ذات أهمية كبيرة للساحة، إذ تساهم في جلب الأفراد إليها وذلك من خلال توفيرها الظل والهواء المنعش، وبذلك تخلق مناخا محليا مصغرا أكثر تكييفا وتنوعا، إلا أن هذه العناصر تتطلب العناية الكبيرة، وهو الأمر الذي قد يدفع المصمم التركيز على سيطرة العناصر الاصطناعية كالإسمنت والبلاط مثلا في تهيئة الساحة،مما يزيد في عبء البلدية باعتبارها مسيرة لها.

يظهر أن المدينة في حاجة إلى عدد كبير من الساحات التي تتطلب انتشارها عبر الأحياء ومختلف التجمعات السكنية لاستفادة الجميع منها بشكل عادل وديموقراطي، كما يتوجب عليها الأخذ باعتبارات عديدة كالظروف المناخية والتهيئة الجيدة والمتنوعة والتي تستعمل عناصر مختلفة كالنباتات والمياه والتأثيث الحضري المختلف...، بالإضافة إلى ذلك على الساحات الاستجابة لمختلف الحاجات التي يمكنها أن توفر راحة المستعمل كالأمن والتنوع في المجال...وأيضا دون نسيان تصميم الساحة وفق الحياة الاجتماعية للمستعمل، كما إنه وللوصول إلى ساحات مرضية للمستعمل يتطلب الأمر إشراكه مع المهندس أو المصمم في الإعداد لهذه الأماكن، وهذا من خلال الأخذ بآرائه وتجسيدها، وهو الأمر الذي يمكنه أن يقدم لنا نماذج متنوعة من الساحات تختلف باختلاف رغبات المواطن أو المستعمل.

إن غياب نماذج واضحة من الساحات ارجع لعدم وجود ظوابط علمية ترتكز على القوانين، المعايير، المبادئ وغيرها مما يمكنه أن يتحكم في إعدادها وإدارتها، وهو ما يعكس ضعف سياسات التعمير المنتهجة التي تأخذ الاهتمام بجانب المبني في الدرجة الأولى مقابل إهمال للفضاءات المفتوحة خاصة الساحات.

إن عمل الساحة لا يقتصر في إعدادها فقط وإنما يتعدى إلى مراقبة مستمرة لنوعيتها وحالتها الفيزيائية وكذا استعمال الناس لها، وهي جوانب يمكن أن تهتم بها الهيئات المشرفة على الساحة، إلا أنها تصبح أكثر فعالية إذا ما أشرك المواطن فيها كونه المستفيد الأول من هذه الأماكن.

يمكن اعتبار الساحة بمثابة عضو من جسد يمثل المدينة فان قيل عن هذه الأخيرة أنها تلد وتنمو وتشيخ ولا تموت بل تجدد شبابها صح القول على الساحة هذا أيضا، وهو الأمر الذي يتطلب جملة من النقاط يجب أخذها بعين الاعتبار نوجزها في ما يلي :

- الساحة تركيبة فضائية تبدي علاقة وطيدة بينها وبين المحيط، لهذا ننصح بتصميمها وفق مخطط يسهل إدماجها مع المباني المحيطة، ومن جانب آخر يجب على هذه المباني أن تعكس صور جمالية من خلال معمارها وألوانها وشكلها...وهو نفس الأمر الذي يجب للساحة أن تعمل على إظهاره، كما يساعدها في هذا الأمر تنوعها في التهيئة والتأثيث.
- الساحة عنصر مهم من المدينة لهذا يجب وضع دراسة شاملة للمدينة تسمح بانتشار عدد مقبول منها وفق منهجية عادلة ومرتبة تنطلق من ساحات على مستوى الأحياء وصولا إلى الساحة الرئيسية للمدينة.
- ننصح بان تنجز الساحات وفق تهيئة مدروسة ومتنوعة تسمح بتواجد شرائح مختلفة كتخصيص أماكن للكبار والأطفال...
- تصمم الساحة وفق مخططات تسمح بالشفافية وهذا لخلق نوع من الرقابة من طرف البعض للآخر، وهو الأمر الذي قد يخفف من انتشار الآفات الاجتماعية بها.
- تصمم الساحة حسب خصوصيات المجتمع الموجهة له سواء من ناحية حجمه، أو عاداته وتقاليده، وهذا الأمر يستدعى من المصمم إنجاز دراسة اجتماعية لمستعملي الساحة ولو في المجال القريب.
- على المهندس في إعداده للمخططات التي تحتوي على ساحة الابتعاد قدر الإمكان عن تحويل المساحات المتبقية إلى ساحات، حتى لا يحط من نوعيتها، وللوصول إلى هذا ننصحه استعمال الأشكال البسيطة والمنتظمة في التقسيمات الترابية، كما يمكنه أيضا البلوغ إلى ساحات مدروسة بشكل جيد من خلال وضعها ضمن المبادئ الأولى في التصميم، فيضع الساحة في تمحور جيد مع الشوارع والطرقات وخاصة للعلاقة المتبادلة بينهما، في حين يحاول اختيار التجهيزات التي تحيط بالساحة وهذا دون خلق مشاكل بالنسبة للتجهيزات لأداء مهامها.
- على المصمم التفكير في حيوية الساحة وذلك من خلال المباني الهامة المحيطة التي قد تدير بعض نشاطاتها عليها مثل المراكز الثقافية...كما أن استعمال خدمات صغيرة من استغلال أجزاء من الساحة يزيد من استعمالها.

- على المهندس آو المهيأ إرساء بعض العناصر الطبيعية أو الاصطناعية في الساحة مثل النباتات ونافورات المياه والكراسي وأعمدة الإنارة الجميلة وخلق أماكن مظللة أكثر...
- ننصح المصمم بوضع تركيبات مبنية تعبر عن خصوصيات المنطقة أو تاريخها أو ثقافتها...وأيضا لوحات اشهارية أو دليل للمدينة وهذا ما يجعلها نقطة استقطاب وتوجيه للسياح ومختلف مستعملي المدينة.
- الساحة فضاء معرض للتدهور بمرور الوقت، لهذا يجب أن تخصص لها عائدات مالية وهذا ليتمكن من تحسينها بين الحين والآخر، ويمكن ذلك من انتهاج عدة طرق من بينها:
- تجهيز الساحة مثلا بالألواح الإلكترونية المخصصة للإشهار، وهذا حتى يتسنى لها الاستفادة من عائدات الإشهار.كما يمكن وضع غرف للهاتف،الإنترنت وغيرها من الخدمات.
- فرض غرامات مالية على مخالفي بعض القوانين في استعمال المكان.
- يمكن الحصول على الأموال من خلال بعض التظاهرات التي قد تجرى في الساحة كالمعارض الصغيرة على الهواء الطلق وربما حتى الحفلات (الساحة في بعض الدول تجرى عليها بعض مراسيم الزفاف واحتفالات مختلفة....).
- يمكن لبعض ممارسي الهوايات والمهن البسيطة المساهمة في الساحة كالرسامين، ملتقطي الصور،أصحاب الأكشاك...
- يمكن الإسهام في ترقية الساحة كالعناية والنظافة ويكون ذلك من خلال عمليات التوعية بأهمية المكان وانه بمثابة ملك للمواطن وعليهم المحافظة عليه.
- بالنسبة للساحات المتواجدة بين مجموعة من المباني العامة مثلا فان هذه الأخيرة يوكل إليها بعض إجراءات الحماية والرقابة لها.
- إن من بين مشاكل استقرار الساحات هو غلاء العقار، وكأحد الحلول على المصمم تجسيد فكرة ازدواجية الوظيفة للعقار كأن تحمل الساحة في الجزء التحت الأرضي لها محطات مترو(أمر جسدته بعض المدن المتقدمة) مواقف للسيارات،محلات تجارية،خدمات...
- نؤكد على توفير الإضاءة الجيدة للساحة مع محاولة التلاعب بالأضواء وهذا لتمكين من استعمالها لساعات متأخرة من الليل .

- على الساحة أن تبدي تهيئة غير ثابتة وهذا لخلق التنوع والتجدد للمكـــان، ويمكـــن ذلـــك بالتغيير مثلا من أماكن بعض التاثيثات من حين إلى آخر، أيضا التغيير من الألوان وكـــذلك استعمال الأشجار التي تعطي تغيرا في اللون والشكل من فصل إلى آخر،بذلك تجعـــل هـــذه الجوانب من الساحة فضاء أكثر مرونة وتنوعا واستعمالا.
- على المصمم إشراك المواطن في تصميم الساحات حتى يحسسه بأنها جزء مـــن أملاكـــه وبالتالي عليه المحافظة عليها والإسهام في إنجازها وبطريقة طواعية وهذا ما يجعله يحـــب المكان.

بالنسبة لاستعمالات الساحة فانه يمكن خلق تطبيقات واستعمالات في الساحة في ظل الظروف التالية:

- تصمم الساحات وفق مخطط مفتوح يكفل لها الأمن وهذا من خلال ملاحظة ومراقبة البعض للأخر.
- تنجز الساحات على مستوى الأحياء في أماكن تسمح برؤيتها من طرف عدد كبيـــر مـــن المواطنين وهو الأمر الذي قد يطمئن الأولياء على استعمال الساحة من طرف الأطفال.
- تحسيس المواطن بأهمية المكان وضرورة الإسهام في المحافظة عليه.

ختاما نشير إلى أن العديد من التوصيات تبقى دون فائدة ما لم يتم وضعها ضـــمن أطـــر قانونية أو في مقاييس علمية، وهو الأمر الذي يستدعي تقنين بعض جوانب اســـتعمال الســـاحة وكذا وضع معايير خاصة بتصميمها وربما وضع نماذج منها.